الأزهر

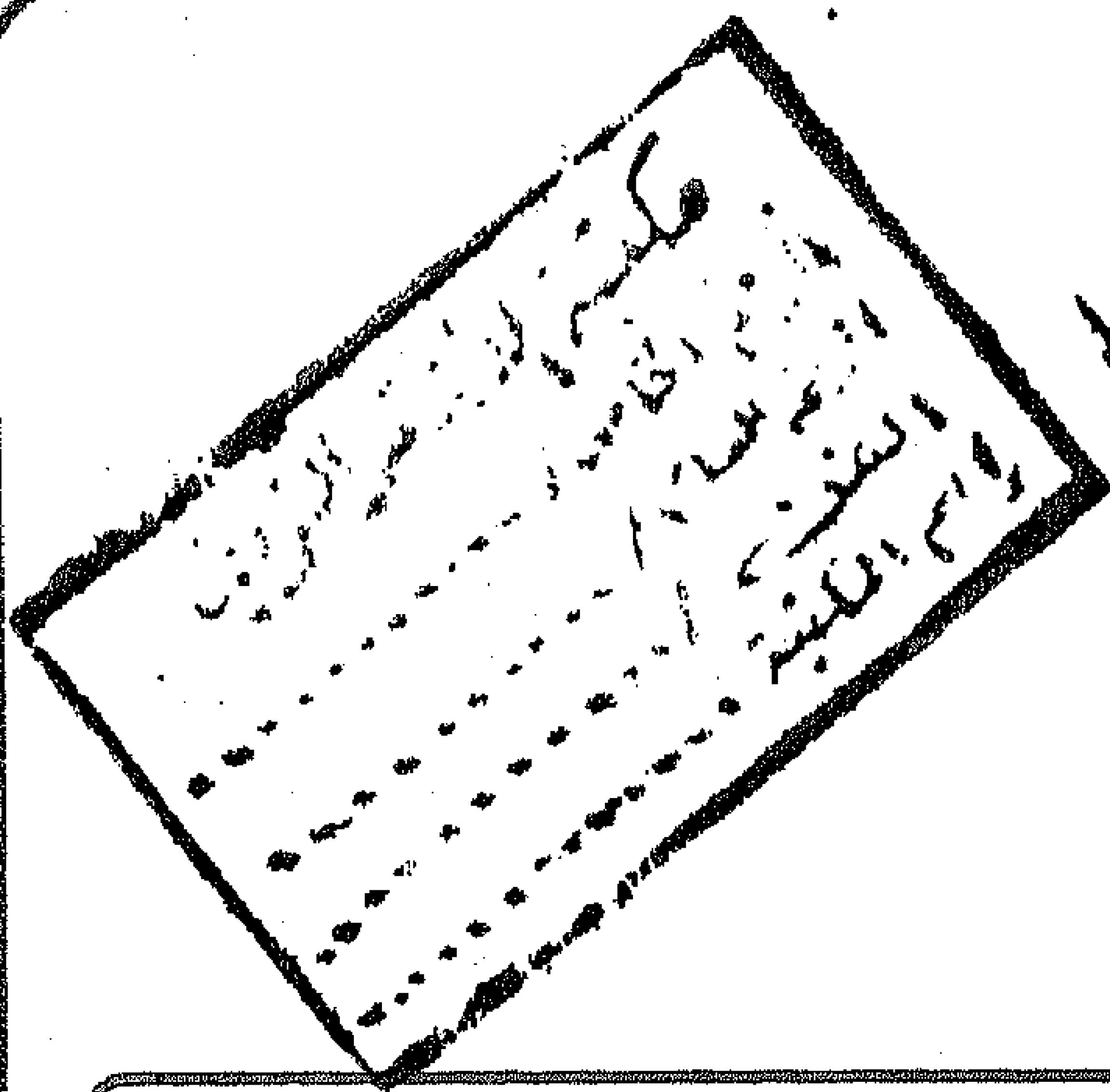
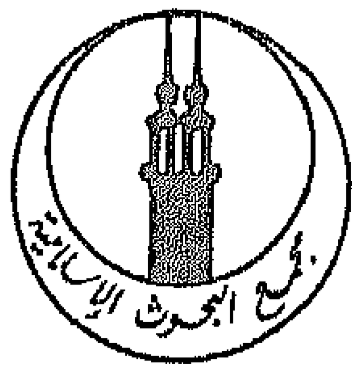
مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦ - الجزء «٦» السنة «٧٩»

هدية العدد
الإسلام فى جنوب شرق آسيا

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ
شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ

طهروا مصر من البهائية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر

مجلة شهرية جامعة يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف فى مطلع كل شهر عربى

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

المشرف العام

الشيخ/ إبراهيم عطا الفيومى

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومى

مدير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

سكرتير التحرير

أحمد السيد تقى الدين

الاشتراك السنوى

داخل مصر ١٨ جنيهاً مصرياً - الدول العربية ٥٠ دولاراً أمريكياً

أوربا وأمريكا ٨٥ دولاراً أمريكياً - اليابان وشرق آسيا ١٢٠ دولاراً أمريكياً

عن طريق قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة ت: ٥٧٨٦١٠٠ - ٥٧٨٦٢٠٠

المراسلات باسم: مدير التحرير - مجمع البحوث الإسلامية - م. نصر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - يوليو ٢٠٠٦م - الجزء السادس - السنة التاسعة والسبعون

افتتاحية العدد

من أمراض المجتمع

فزع الجار من الجار

أصبح خوف الناس من الناس بلاء موجعا يسبب من المشكلات المستعصية ما لا طاقة لرب الأسرة باحتماله، ويولّد من الأزمات الطارئة ما كان القوم فى غنى عنه لولا هذا الخوف المزعج الكريه، وقد يستغرب القارىء ذلك بادىء ذى بدء، ولكن الحقائق الأليمة تنطق بهذا الخوف بما لا يستطيع باحث أمين أن يتجاهله، وكان فى النظرة المتأنية والعقل البصير ما يجتث هذا الخوف باجتثاث أسبابه، ولكن ما طرأ على المجتمع من ملابسات شاذة، وكماليات مظهرية صارت بتكرارها ضروريات ملزمة لا مفر منها، كان مصدر الأزمات الطاحنة التى ينوء الكثيرون تحت أثقالها المتراكمة، وقد كان فى غلاء الأسعار الملتهب يوما بعد يوم، وعجز المرتبات الناحلة عن استيعاب الضروريات ما يلزم العقلاء بمعالجة أمورهم على وجه مريح قانع، ولكن الغلاء يشتعل ويستفحل، ثم تكون الكماليات أمرا لا مفرّ منه، خوفا من انتقاد الناس، وتوقيّا من ألسنة تتلمس أوجه النقص لدى المعارف والزملاء، فإذا لم تجد هذا النقص على وجه صريح حاولت أن تختلقه اختلاقا، وأخذت تتلذذ بشيوعه وإعلانه على نحو بغيض.

كلام الناس

جاءنى إنسان فاضل يشغل منصب المدير العام فى إحدى المرافق الحكومية، وكان تلميذا لى بالمدرسة الثانوية منذ عهد بعيد، وظلّت أواصر الود وطيدة بينى وبينه إذ يحرص على مراسلتى فى المناسبات الداعية، ويتفضل بزيارتى من وقت لوقت، فهو صاحب الفضل الأول فى تدعيم هذه الصداقة الكريمة، وقد زارنى ذات عشية، ووجدت فى ملامحه ما يدل على عدم الارتياح، فسألته عن حقيقة ما يشغله، فقال لى فى أسف: كنت أود لو أتاح الله لى مسكنا فى منزل متواضع أعيش به مع أسرتى حيث لا يجاورنى أحد، لأنى أسكن فى عمارة ذات شقق وأدوار، وقد توشجت صلاتنا بالجيران على نحو طبيعى لا نشاز فيه، ولكن هذه الصلات أصبحت تجر علىّ من المتاعب المادية ما لاطاقة لى به، فأصبحت أعانى رهقا شديدا فى استواء معيشتى، وإذا أردت أن أنكمش فى حدود مقدرتى المادية، ثار أولادى وغضبت زوجتى، ومصدر غضبها الأول هو الخوف من كلام الناس.

ووجد زائرى منىّ اهتماما بحديثه، فواصل القول فى ارتياح، وقال: فى العيد الماضى -عيد الأضحى المبارك- ارتفع ثمن الأضاحى، بحيث أصبح الخروف المتواضع يُباع بأكثر مما أقبضه من مرتبى الشهرى، فلم أجد ضرورة تدفعنى إلى أن أتكلف ما لا أطيق، ولكن جارة كريمة تفضلت بزيارة زوجتى، وأعلنت أنّ زوجها قد اشترى عجلا، لهذه المناسبة، وأنه سيفرّق اللحم أمام العمارة حيث يجتمع المحتاجون، كما أن الجيران سيذبحون الخرفان فقط، ولن يبلغوا مبلغ ما تضحى به، وكأنها تقول إن منزلتها قد أصبحت فوق الجميع، وما رحلت هذه المتغطرسة حتى جاءت زوجتى إلىّ عابسة تصرّ على أن نذبح، ولا نكون موضع انتقاد! قلت: إننا نذبح لله لا للناس، ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها، فثارت وتجهمت، وجاء الأولاد، وكلهم يؤيدونها، ثم نزل الفرج من السماء على غير انتظار، إذ حدثنى أخى من القرية تليفونيا بأن زفاف ولده فى ليلة العيد وأنه يدعو الأسرة جميعها إلى تشريفه بهذه المناسبة، فأسرعت لأخبر الأسرة بهذا الحل الموفق، وأعددنا العدة للرحلة الميمونة التى أنقذت الموقف، واطمأنت الزوجة لأنها -كما قلت- وجدت العذر المقبول أمام الجيران، فلن ينبسوا بالملام!

وأسأل نفسى أى عذر؟ وهل وقع ذنب يوجب الاعتذار؟

هذه واحدة، أما الثانية فشبيهة بها وقد وقعت فى الصيف الماضى، إذ انتهت الدراسة بعد عناء الدروس الخصوصية التى لم تقتصر على طلاب المدارس بل تعدتهم إلى طلاب الجامعة! حيث فرض الأستاذ الدكتور ألفين فى المادة الواحدة، وذلك ما جعلنى أستدين، وألعن الأيام التى دفعت بأولياء الأمور إلى الشقاء المرير، وقد تهيأت فئة من سكان العمارة إلى المصيف فى أماكن أقلها الاسكندرية ورأس البر! وجاءت زوجتى ومعها الأولاد يُصرون على رحلة المصيف كما كنا نفعل من قبل، قبل فراغ اليد والجيب، فأعلمهم أنّ ذلك مما يستحيل هذا العام، فأنا مدين وقد أواصل الدين فى العام المقبل كى أفى بحاجة الدروس الخصوصية! ومرّ بنا أسبوع لم يَخْلُ من نزاع، وَصَل إلى درجة الغضب من الزوجة، فالبكاء من الأطفال، ثم نزل الفرج من السماء، إن كان المرض يُدعى فرجاً فقد مرضت زوجتى، واستدعى الأمر مراجعة الطبيب يوما بعد يوم، وأصبحت الرحلة الصيفية فى هذا الموسم ممتنعة تماما، ومع ذلك فالأولاد غاضبون، ومنهم من يقول: إننى السبب الأول فى مرض زوجتى، لأنها تأثرت كثيراً بامتناعى عن المصيف، وذلك ما يجعلها فى مستوى أقل من مستوى الجيران! وقالت إحدى بناتى: إن الجزار الذى يسكن معنا فى هذه العمارة قد ذهب بأسرته شهرا كاملا، فهل لا يقدر المدير العام على رحلة تستمر أسبوعاً واحداً، فقلت لها فى ألم: يا بنيتى، إن ما يكسبه الجزار الكريم فى اليوم الواحد أكثر مما يقبضه المدير العام فى الشهر الطويل! فماذا تقولين؟

الكماليات أصبحت ضروريات

كان حديث صاحبى بالغاً موضع التأثير من نفسى، فحاولت أن أخفف عنه بعض ما يتلبسه من شجن، وأذكر أنّى قلت له: إنى أعرف رجلاً فاضلاً من طِرازك فوجىء بالأعباء الكمالية التى لا يُطيقُ دَفعها، فرأى بعد تفكير أن يُشرك زوجته فى تيسير العسير، وكانت ذات حصافة وقناعة، فقال لها: سأضع راتبى فى يدك جميعه، لتتصرفى فيه كما ترين، وعليك أن تقنعى الأولاد بما يجب أن يكون من

الاعتدال والقصد، فقدَّرت الموقف حقّ قدره، ولم تُرهق الأب الكادح فى مطلب لا يناله، وسارت السفينة باتزان فى هبة العاصفة، ورضى الأولاد بالأمر الواقع، فلم يعقدوا موازنة بينهم وبين الجيران! فعليكَ أن تُحاول ذلك مع زوجتك، لتكون عوناً لك بدل أن تُثقل عليك بما لا تطيق.

وهنا يجب أن نتساءل، لماذا كثرت الكماليات فى هذا الزمن، ولماذا أصبحت لدى الكثير من الضروريات! وقد كُنا فى الجيل الماضى نَرى ربّ الأسرة آخذاً أولاده وزوجته بالحزم، فلا يتطلّعون إلى ما لا يملكون، وكانت الحياة تجرى رخاءً، بحيث يفيض المرتب فى كثير من الأحيان عن حاجة المنزل، فيدخر منه إلى حين! ولن نعجز عن الجواب الصحيح، حين نُوازن بين البيت والمدرسة والجامعة فى الماضى وفى الحاضر.

كانت الأم فى المنزل كأنها مُدرّسة فى المدرسة، تَرعَى شئون الأطفال، وترشدهم إلى النهج الصحيح خطوة خطوة، فهى تفرضُ عليهم آداباً من السلوك، وتقيم علائقهم مع أطفال الجيران على نحو من الحزم يمنع التأثر والتطلّع إلى ما ليس باليد، وتساعد على هدوء المنزل للاستذكار بعد العودة من المدرسة، وإذا رأت من سلوك الإبن ما لا ترتضيه وجّهته وحذرته، وقضت على أسباب التنافس بين أبنائها. ويأتى الوالد بعد الظهيرة فلا يلمس غير ما يحب من الهدوء، واعتدال الرغبات، والتفكير فى الغد الذى لابد أن يحين بأعبائه، وكل ذلك قد ساعد على النشأة الهادئة، والاعتدال السديد.

هذا هو المنزل، أما المدرسة فقد كانت مثالاً للمساواة العادلة، لا يتقدم فيها التلميذ على زميله إلا بما يبذل من الجهد والمثابرة، وقد يكون الأول فى الفصل الدراسى ابن عامل صغير أو فلاح أجير، فيلاقى من التشجيع ما يزيده التفاتاً إلى واجبه، أمّا دروس التربية الرياضية وأوجه النشاط المختلفة فى الجمعيات الطلابيّة، فتدفع إلى التنافس الشريف، وتجعل من التلميذ رجل المستقبل فى اتّزانه وضبط عواطفه، فإذا انتقل إلى الجامعة وجد المجال الرحب لإنماء قواه الفكرية وحُسن التعامل مع النظراء، والمساواة هى الميزان السائد فى التعامل، دراسةً ورحلةً، ونشاطًا، وذلك ما يمنع الإنسان أن يتطلع إلى حظوة خاصة، أو مكانة ملحوظة لاتصاله بمسئول كبير.

الأم والأب تخليا عن دورهما والمدرسة فقدت روح المساواة

ونتنقل إلى المنزل والمدرسة والجامعة الآن، فماذا نجد؟ لقد تخلت الأم تماما عن رسالتها التربوية، وانتقلت عدوى التليفزيون إلى الأطفال، فكثرت بواعث الشجار والتنافس وعَادَى الأخ أخاه، لما لحظه من ميزة فى عقله أو سلوكه، وتطلّع إلى رُفقائه من أبناء الجيران طالباً ما ليس بيده ممّا يملكون، فإذا عَاد الأب المرهق من عمله، لم يجد من أعصابه ما يُتيح له الجلوس الهادئ مع أبنائه ولم يعبأ بما يسمع عن مشاجراتهم، وقد تكون الأم عاملةً فترجُع فى حاجة إلى الراحة بعد أن تؤدى حاجات المنزل، وبهذا فقد الابن درس التربية العملية فى بيته، وأسلمته الظروف الجديدة إلى ميوله الذاتية دون ضبط أو توجيه.

والمدرسة، فقدت رُوح المساواة تماما، فليسَ بها من أوجه النشاط العملى ما يجمع الطلاب على عمل تربوى يتيح لمواهبهم الكامنة أن تَلوح، ولن يترأس من الطلاب غير ذَوى الثراء، ممّن يجيئون إلى المدرسة فى العربة الخاصة، ويَرتدون الحلل الزاهية ولهم مكانتهم عند متصيّدى الدروس الخصوصية من المدرسين، وإذا كُنا قد افتقدنا أوجه النشاط تماماً فى هذا المحيط، فإن الدروس العملية فقد فُقدت تماما، وأصبحت مظهرية تُدوّن عناوينها على السبورة فقط، والناظر والمفتش والمدير يَعلمون ذلك تماما، ولا من نكير! فأىّ خلق إنسانى ينمو فى هذا الهرج الهائج، وكيف يتربّى التلميذ على نماذج طيبة من السلوك الحميد؟

وخريج الجامعة لا يعرف شيئا عن تخصصه

والجامعة بأعدادها المكدّسة فى المدرجات، بين قُعُود ووقوف، لا تتيح للطالب نوعاً من المعرفة الصحيحة، فضلاً عن أن تُتيح له نوعاً من التربية الصالحة! وقد يَحمْل المتخرج دَرجة الليسانس أو البكالوريوس، وهو لا يَعرف شيئا عن تخصّصه! ذكر الدكتور مهدى علام -رحمه الله- أنّه سأل ممتحنا فى لجنةٍ من لجان الجامعيين المتقدمين إلى بعض الوظائف. وكانَ ممّن تخرج فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب، سَأَلَه عن الصّومال أين هى؟ فقال: إنها فى أوروبا؟ وحين لحظ هيئة الاستنكار قال: لا، إنها فى أمريكا!! وهذا ممّن درس الجغرافيا، ونال درجة الليسانس! أفنقرن أبناء الجيل الماضى بطلاب اليوم! ذلك رجع بعيد!

الخوف صنع الفساد

وأعود إلى خوف الناس من الناس فأذكر أن ما سطرته عنه، أهون وأضأل من خوف سِواه. ذلك هو خوف الكثير من الناس أن يقولوا كلمة الحق فى وجه الظالم الآثم، وليتهم اعتصموا بالسكوت فلم ينطقوا بخير أوشر. ولكنهم انساقوا إلى المديح الكاذب فى مداهنة بغيضة، وأخذوا يُبدون من مظاهر الولاء ما ينكره الممدوح نفسه، إذ هو فى أعماقه يزدريهم كل ازدراء.

لقد زكمت الأنوف لدينا رائحة المرتشين واللصوص من ذوى المناصب فى مجلس الشعب، وإدارات البنوك، ومجال الاستيراد والتصدير، وكانَ الحق كل الحق أن يلاقوا بالازدراء والتحقير، ولكن خوف الناس من الناس جَعل السفلة من الوصوليين يُقابلونهم بالإعزاز والتوقير! وقد يقوم شرير من مُدعى الوجاهة الكاذبة بجريمة اغتيال، ويجتهد المحامون فى تبرئته بالباطل. وتؤثر العائلة بنفوذها فى تهديد الشهود فيعدلون عن قول الحق، ويخرج المجرم من القفص، فماذا يحدث؟ نجد هؤلاء الذين يعتقدون فى صميم قلوبهم إجرامه، وفحش جنايته، يُسارعون إلى الاحتفاء بتكريمه، ويحجون لمنزله مبتهجين، ويصفقون له، وكأنّه جاء بنصر مبين، ويسارعون بتهنئته فى الجرائد اتقاءً لشره، وخوفاً من عقبى مغاضبته، بل تجد الثرى ينتزع الأرض غصباً من الضعفاء، ويقدّم الأدلة الزائفة تبريراً لما ارتكب من الجرم، ولا يستطيع المجنى عليه مقاومة هذا الحشد المزدحم المتربص به، ويصدر الحكم وفق ما توجبه الأدلة المصطنعة، وإذ ذاك يُسارعُ مَن يعلمون علم اليقين أن البرىء فى حكم القضاء مجرم أمام الله، يأتون للتهنئة ويستنكرون أن يعارضه معارض! بل قد يُرشح أحد هؤلاء نفسه لمجلس الشعب أو لمجلس مشابه، فيجد آلاف المؤيدين من الخائفين، ويعلوا الهتاف باسم الغاصب دون نكير، ولو كان لدينا رأى عام يحترم الحق. ويحتقر الظالم الغاصب، ما تمّت هذه المسرحيات الهزلية، ولما كان اللصوص وأشباه اللصوص فى مقدمة الصفوف وجاهةً واستعلاء! وأغرب ما فى الأمر أن أحدهم يُتهم صراحةً بالدعارة، ويُقابله الناس بالتحية، خيفة من بطشه، أليس هذا الخوف القاتل ممّا يحتاج إلى دواءٍ حاسم يرتفع بنفوس المرضى من وَهدة الرّياء إلى منزلة الصدق والإخلاص!

التعليم الصحيح وسيلة لإيقاظ الشعور الهامد


مصطفى كامل


محمد عبده

لقد وصفت بعض مظاهر الخوف فى ناحيتيه المختلفتين، وبقى أن أشير إلى ما أعتقده وسيلة حاسمة لعلاجه. وقد لا أكون مؤهلاً لتحديد هذا العلاج كما ينبغى أن يكون، ولكنى أسترشد بموقف سابق للأستاذ الإمام محمد عبده حينَ رأى الأمة المصرية قد أصابها الفتور القاتل بعدَ إخفاق الثورة العرابية، فسكن الصوت الوطنى الذى ارتفع قبل الثورة، ولولا صيحات مصطفى كامل ما شعر أحد أنّ البلاد مُصابة بالاحتلال لانصراف كلّ مصرى إلى شأنه الخاص، هُنا رأى الإمام محمد عبده أن يكونَ التعليم الصحيح وسيلةً لإيقاظ الشعور الهامد، وتطلّع الأمة إلى المستقبل عن طريق شديد لا تكتنفه العثرات.

وأنا أرى تبعاً له أن تكون التربية الصحيحة فى المنزل أولاً ثم فى المدرسة والجامعة ثانيا هى التى تقضى على الانهيار الخلقى الملموس، فإذا رجعت للمنزل رعايته الصحيحة فى إنماء الحاسة الخلقية لدى الطفل، وبعث عوامل الصدق والوفاء والقناعة فى كيانه الآخذ فى التدرج، ثم جاءت المدرسة لتؤكد معانى الحرية والصراحة، ومُحاسبة المخطىء على خطئه، وإثابة المحسن على إحسانه فى جوّ من المساواة الحقيقية التى لا تغلفها الأهواء، ثم كانت الجامعة هادية إلى ترسيخ هذه المعانى سلوكا وعملاً قبل أن يكون ذلك كلمات تسطر فى المذكرات دون تنفيذ، إذا تمّ ذلك على وجهه البصير، فإنَّ الأمل فى الإصلاح الخلقىّ يتحقّق على وجهه المنشود، وإن الخوف القاتل من الجهر بالحق، والمداهنة المقيتة لذوى الانحطاط الوضيع، مما سيمحق أثره فى نفوس تعشق الفضيلة وتمقت الإرهاب الدنىء، أما الخوف من انتقاد الجيران، وعيون المتطلعين إلى ما لا يعنيهم من المواقف، فسيكون تاريخا أليما مضى ولن يعود، وهذا ما نرجوه.

التربية الخلقية

إن التربية الخلقية يجب أن تعود، وإنّ الغضب من الانحدار الخلقى فى المجتمع يجب أن يحفز الغاضبين إلى تغيير سريع فى كل ما يتصل بأدوات التعليم والإعلام ليأخذ كل مواطن ما يستحق من الإجلال أو الإهمال وفق سلوكه الصريح، وختاماً أستأذن القارىء فى أن أقصّ عليه قصة لطيفة، تصور مدى خوف الناس من الناس، وبطلتها امرأة ريفية ساذجة، فقد فوجىء أهل القرية بها ذات صَباح تصيح فى الشارع صارخة، فتجمّع حولها الناس يسألونها ما شأنها؟ فقالت فى تشنّج مزعج! ابنتى الطائشة، هَربت منّى، وعقدت قرانها على ابن فلان، دون أن أعلم، وواصلت الضجيج، فجعل الناس يُصبّرونها، ويقولون الزوج شاب مستقيم فلا تفزعى، ورَجعتُ إلى المنزل دون أن أشهد هذا الموقف، فقالت لى والدتى -رحمها الله- اذهب يابنى إلى فلانة، فصبّرها وطيّب خاطرها، أنت طالب فى الأزهر وتعرف تتكلم. وأطعتُ أمىّ، وذهبتُ، فوجدت الجارة متماسكة طبيعية لا يُوجد فى ملامحها بعض ما يدلّ على الفجيعة، فبدأت أقول، يا خالتى (وكل امرأة فى سن والدتك فى الريف النبيل هى خالتك) ابنتك تزوجت على سنة الله، ولم تعمل شيئا يغضب الله، فلم تغضبين وتفزعين؟ ففوجئت بها تقول: «أعرف ذلك تماما، ولكن أولاد الحرام من حولى سيملئون البيت ويقولون: بنت قليلة الأدب. بنت عديمة التربية، ماشية على حل شعرها، فأردت أن أقطع لسانهم، وأستريح من شرهم بما صنعت، والحمدلله انقطع (الواغش) ولم يأت إلا مَن يصبّرنى ويقول مثلك: تزوجت على سنة الله ورسوله!» وقد سعدت بحديثها وخرجت مسرورا، أقول فى نفسى: ويل الناس من الناس! ولم أكن حفظت بعدُ قول الشاعر:

وَمَا سَاءَنى إلاّ الّذين عَرَفْتُهُم ... جَزى اللّه خيراً كلَّ مَنْ لَسْت أَعْرِفُ

***

د. / محمد رجب البيومى

تفسير سورة آل عمران

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ
وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ
اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨)
وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

(الآيات من ١٠٦ إلى ١٠٩)

قوله - تعالى -

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾

بياض الوجوه وسوادها محمولان على الحقيقة عند جمهور العلماء. وذلك لأن اللفظ حقيقة فيهما، ولا دليل يوجب ترك هذه الحقيقة فوجب الحمل على ذلك.

قال الآلوسى: قال بعضهم يوسم أهل الحق ببياض الوجه وإشراق البشرة تشريفاً لهم وإظهاراً لآثار أعمالهم فى ذلك الجمع. ويوسم أهل الباطل بضد ذلك.

والظاهر أن الإبيضاض والإسوداد يكونان لجميع الجسد إلا أنهما أسندا للوجوه، لأن الوجه أول ما يلقاك من الشخص وتراه، وهو

أشرف أعضائه واختلف فى وقت ذلك فقيل: وقت البعث من القبور وقيل وقت قراءة الصحف[1].

ويرى بعض العلماء أن بياض الوجوه هنا المراد منه لازمه وهو الفرح والسرور، كما أن سوادها المراد منه لازمه أيضاً وهو الحزن والغم وعليه يكون التعبير القرآنى محمولا على المجاز لا على الحقيقة.

قال الفخر الرازى ما ملخصه: وهذا مجاز مشهور قال - تعالى:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾

[النحل / ٥٨]

ويقال: لفلان عندى يد بيضاء وتقول العرب لمن نال بغيته وفاز بمطلوبه: ابيض وجهه ومعناه الاستبشار والتهلل.. ويقال لمن وصل إليه مكروه: اربد وجهه واغبر لونه وتبدلت صورته.. وعلى هذا فمعنى الآية: أن المؤمن يرد يوم القيامة على ماقدمت يداه، فإن رأى مايسره ابيض وجهه بمعنى أنه استبشر بنعم الله وفضله، وعلى ضد ذلك إذا رأى الكافر أعماله القبيحة محصاة عليه اسود وجهه بمعنى أنه يشتد حزنه وغمه»[2]

والظرف «يوم» فى قوله ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ ﴾ إلخ منصوب على أنه مفعول به بفعل محذوف والتقدير: اذكر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه والمراد الاعتبار والاتعاظ ويجوز أن يكون العامل فيه قوله ﴿ عَظِيمٌ ﴾ فى قوله قبل ذلك

﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أى أولئك الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات لهم عذاب فى هذا اليوم الهائل الشديد الذى تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود فيه وجوه الكافرين والفاسقين.

وفى وصف هذا اليوم بأنه تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه تهويل لأمره. وتعظيم لشأنه وتشويق لما يرد بعد ذلك من تفصيل أصحاب الوجوه المبيضة وأصحاب الوجوه المسودة، وترغيب للمؤمنين فى الإكثار من التزود بالعمل الصالح وترهيب للكافرين من التمادى فى كفرهم وضلالهم.

والتنكير فى قوله ﴿ وُجُوهٌ ﴾ للتكثير. أى تبيض وجوه عدد كثير من المؤمنين وتسود وجوه كثيرة للكافرين.

وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى:

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾

[الزمر / ٦٠]

وقوله - تعالى:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

[القيامة / ٢٢ - ٢٥]

(١) تفسير الآلوسى جـ٤ ص٢٥.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ٨ ص١٨١

قال صاحب الكاشف: «البياض من النور والسواد من الظلمة. فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه وابيضت صحيفته، وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه. ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمة الباطل وأهله(٣).

ثم بين – سبحانه – حال الذين اسودت وجوهم وسوء عاقبتهم فقال:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾

بسبب كفرهم وأعمالهم القبيحة فيقال لهم

﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

وحذف هذا القول المقدر والذي هو جواب أما للدلالة الكلام عليه، ومثله كثير في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله – تعالى –

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾

[السجدة / ١٢]

أى قائلين ربنا أبصرنا وسمعنا وقوله تعالى:

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم ﴾

[الرعد / ٢٣: ٢٤]

أى قائلين لهم: سلام عليكم.

والاستفهام في قوله: ﴿ أَكَفَرْتُم ﴾ للتوبيخ والتعجب من حالهم.

قال الآلوسى والظاهر من السياق أن هؤلاء هم أهل الكتاب وكفرهم بعد إيمانهم، هو كفرهم برسول الله ﷺ بعد الإيمان به قبل مبعثه. وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما وجب عليهم من الإقرار بالتوحيد حين أشهدهم على أنفسهم

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾

[الأعراف / ١٧٢]

ويحتمل أن يراد بالإيمان الإيمان بالقوة والفطرة، وكفر جميع الكفار كان بعد هذا الإيمان، لتمكنهم بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة من الإيمان بالله – تعالى – وبرسوله ﷺ(٤).

وقوله:

﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

أى فادخلوا جهنم وذوقوا مرارة العذاب وآلامه بسبب استمراركم على الكفر وموتكم عليه.

والأمر فى قوله ﴿ فَذُوقُوا ﴾ للإهانة والإذلال، وهو من باب الاستعارة فى ﴿ فَذُوقُوا ﴾ استعارة تبعية تخييلية. وفى العذاب استعارة مكنية: حيث شبه العذاب

(٣) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٩٩

(٤) تفسير الآلوسى جـ٤ ص٢٦

بشيء يدرك بحاسة الأكل والذوق تصويراً له بصورة ما يذاق، وأثبت له الذوق تخييلا - وهو قرينة المكنية.

وأل في العذاب للعهد أى فذوقوا العذاب المعهود الموصوف بالعظم، والذى سبق أن حذركم الله - تعالى - منه، ولكنكم لم تعيروا التحذير انتباهاً، بل تماديتم فى كفركم وضلالكم حتى أدرككم الموت وأنتم على هذا الحال الشنيعة.

ثم بين - سبحانه - حال الذين ابيضت وجوههم وحسن عاقبتهم فقال:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ ﴾

ببركة إيمانهم وعملهم الصالح

﴿ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ ﴾

أى ففى جنته. والتعبير عن الجنة بالرحمة من باب التعبير بالحال عن المحل فتكون الظرفية حقيقة. وإذا أريد برحمة الله ثوابه وجزاؤه تكون الظرفية مجازية.

وفى التعبير عن الجنة بالرحمة إشعار بأن دخولها إنما هو بمحض فضل الله - تعالى - فهو - سبحانه - المالك لكل شيء، والخالق لكل شيء.

وقوله:

﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

بيان لما خصهم الله - تعالى - من خلود فى هذا النعيم الذى لا يحد بحد، ولا يرسم برسم، ولا تبلغ العقول مداه. أى هم فى الرحمة باقون دائمون فقد أعطاهم الله - تعالى - عطاء غير مجذوذ.

وقد بدأ - سبحانه - كلامه عن الفريقين بالذين ابيضت وجوههم ثم قدم الحديث عن حال الذين اسودت وجوههم على الذين ابيضت وجوههم، ليكون ابتداء الكلام واختتامه عن هؤلاء السعداء بما يسر القلب ويشرح الصدر ويغرى الناس بالتمسك بعرى الإيمان وبالإكثار من العمل الصالح الذى يوصلهم إلى رحمة الله ورضاه.

ووصف - سبحانه - الذين ابيضت وجوههم بأنهم خالدون فى رحمته، ولم يصف الذين اسودت وجوههم بالخلود فى العذاب للتصريح فى غير هذا الموضع بخلودهم فى هذا العذاب كما فى قوله - تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾

[البينة/ ٦]

وللإشعار بأن باب رحمته - سبحانه - مفتوح أمام هؤلاء الضالين فعليهم أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يقلعوا عن الكفر إلى الإيمان والعمل الصالح حتى ينجوا من عذاب الله وسخطه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

وبعد أن أفاض - سبحانه - فى الحديث عن أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وعن رذائل الكافرين من أهل الكتاب وغيرهم ممن أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وبعد أن ساق - سبحانه - من التوجيهات الحكيمة،

والإرشادات النافعة مايشفي الصدور ويهدي النفوس، بعد كل ذلك، خاطب - سبحانه - نبيه ﷺ بقوله:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

والمراد بالآيات ما سبق ذكره في هذه السورة وغيرها من آيات قرآنية تهدي إلى الرشد وتشهد بوحدانية الله - تعالى - وبصدق رسوله ﷺ فيما يبلغه عنه.

وكانت الإشارة بتلك الدالة على البعد للإشعار بعلو شأن هذه الآيات وسمو منزلتها وعظم قدرها.

ومعنى ﴿ نَتْلُوهَا ﴾ نقرؤها عليك يامحمد شيئاً فشيئاً قراءة واضحة جلية لتبلغها للناس على مكث وتدبر وروية.

وأسند - سبحانه: التلاوة إليه مع أن التالي في الحقيقة جبريل - عليه السلام - للتنبيه على شرف هذه الآيات المتلوة، ولأن تلاوة جبريل إنما هي بأمر منه - سبحانه -.

وقال - سبحانه:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا ﴾

فأظهر لفظ الجلالة ولم يقل تلك آياتنا نتلوها، ليكون التصريح باسمه - سبحانه - مربيا في النفوس المهابة والإجلال له، إذ هو المستحق وحده لوصف الألوهية فلا إله سواه ولامعبود بحق غيره، وهو ذو الجلال والإكرام، وهو المنشيء الموجد لهذا الكون وما فيه ومن فيه.

فالتصريح باسمه - تعالى - يزيد البيان جلالاً ويبعث في النفوس الخشية والمراقبة والبعد عما يوجب العقاب والإقبال على ما يوصل إلى الثواب.

وقوله ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في موضع الحال المؤكدة من الفاعل أو المفعول.

أي نتلوها عليك متلبسة بالحق أو متلبسين بالصدق أو العدل في كل مادلت عليه هذه الآيات ونطقت به، مما لاتختلف فيه العقول السليمة، والمدارك القويمة.

وقوله - تعالى:

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

نفي للظلم بأبلغ وجه فإنه - سبحانه - لم ينف فقط الظلم عن ذاته بل نفى عن ذاته إرادة الظلم إذ هو أمر لا يليق به - سبحانه - ولا يتصور وقوعه منه.

وكيف يريد الظلم من منح هذا العالم كله الوجود، وخلق هذا الكون برحمته وقدرته وعدله؟

والظلم - كما يقول الراغب - وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بزيادة أو بنقصان وإما بعدول عن وقته ومكانه، ومن هذا يقال: ظلمت السقاء إذا تناولته في غير وقته، وظلمت الأرض إذا حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر.

قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة أنواع:

● الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله - تعالى

- وأعظمه الكفر والشرك والنفاق، وإياه قصد - سبحانه - بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾

[لقمان/ ١٣]

● والثاني: ظلم بينه وبين الناس وإياه قصد بقوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ ﴾

[الشوري/ ٤٢]

● والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله(٥):

﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾

[فاطر/ ٣٢]

والظلم الذى نفى إرادته - سبحانه - عن ذاته عام لايخص نوعاً دون نوع، إذ من المعروف عند علماء اللغة أن النكرة فى سياق النفى تعم، وهنا جاء لفظ الظلم منكراً فى سياق النفى وهو ما.

قال الجمل: واللام فى قوله ﴿ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ زائدة لا تعلق لها بشىء زيدت فى مفعول المصدر وهو «ظلم» والفاعل محذوف. وهو فى التقدير ضمير البارىء - سبحانه - والمعنى ما الله يريد أن يظلم العالمين، فزيدت اللام تقوية للعامل كقوله(٦)

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

[هود/ ١٠٧]

ثم بين - سبحانه - بعد ذلك أنه هو المالك لكل شىء وأنه هو وحده الذى إليه تصير الأمور فقال:

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

أى له - سبحانه - وحده ما فيهما من المخلوقات ملكا وخلقا وتدبيراً وتصرفاً وإحياء وإماتة وإثابة وتعذيباً.

﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾

أى إلى حكمه وقضائه تعود أمور الناس وشئونهم فيجازى الذين أساؤوا بما عملوا ويجازى الذين أحسنوا بالحسنى، لأنه - سبحانه - منه المبدأ وإليه المآب فيجازى كل إنسان على حسب اعتقاده وعمله بدون ظلم أو محاباة.

وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد حذرت الناس من أهوال يوم القيامة الذى تبيض فيه وجوه وتسود وجوه وبينت الأسباب التى أدت إلى فوز من فاز وإلى شقاء من شقى، ونوهت بشأن الآيات التى أنزلها الله - تعالى - على نبيه ﷺ لتكون هداية للناس وصرحت بأن الله - تعالى - هو الخالق لكل شىء وإليه مرجع الأمور ومصيرها فيجازى كل إنسان بما يستحقه من ثواب أو عقاب.

***

(٥) مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ص٣١٦

(٦) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص٣٠٣

السنة

دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة

لفضيلة الشيخ / إبراهيم عطا الفيومي
الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية

روى الإمام مسلم «رحمه الله» في صحيحه أنّ أمّ الدرداء «رضي الله عنها» قالت لصفوان بن عبد الله بن صفوان - لما قدم عليها الشام -: أتريد الحجّ العام؟ قال: نعم. قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمِثل».

التعريف بالراوى

التحقيق أن أبا الدرداء «رضى الله عنه» كانت له زوجان، كلتاهما تكنى أم الدرداء، أما الكبرى فاسمها خيرة بنت أبى حدرد الأسلمى «رضى الله عنها»، وهى صحابيّة، كانت من فضليات النساء وعقلائهن، ومن ذوات العبادة، وتوفيت قبل أبى الدرداء بسنتين، وكانت وفاتها بالشام فى خلافة عثمان بن عفان «رضى الله عنه»، وحفظت عن رسول الله ﷺ، وعن زوجها أبى الدرداء «رضى الله عنه».. أما الصغرى فهى هجيمة الوصابيّة، أو جهيمة، وهى تابعيّة لم تر النبىّ ﷺ، يقول الإمام النووى «رحمه الله» فى شرح باب حديثنا هذا: «وأم الدرداء هذه هى الصغرى التابعية، واسمها هجيمة، وقيل: جهيمة».

اللغـويات

بظهر الغيب: فى غيبة المدعوّ له، وفى سر الداعى، لأنه أبلغ فى الإخلاص.. ولك بمِثلٍ: أى: مثله ومثيله فى هذه الفضيلة، وكذلك لو دعا المرء لجملة المسلمين، لذلك كان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة، لأنها تستجاب، ويحصل له مثلها.

الشرح والبيان

الدعاء هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله (عزّ وجلّ)، والاستكانة له، وقيل: هو طلب كشف الغمّة. بتطلع موضع القسمة، وهو نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة متضمّن لدعاء العبادة، قال تعالى عن الخليل إبراهيم (عليه السلام):

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾

[مريم: ٤٨ - ٥٠]

ومن ثمّ فإن الدعاء راحة القلوب، وأمل الأفئدة، وغذاء الروح، ورجاء الإنسان من الله (عز وجل)، والفرج المنتظر من القريب المجيب (سبحانه)، ولذلك تعددت أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا، كي يناديه كل إنسان بحاجته، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

[فاطر: ١٥]

فالمذنب مثلاً يجد راحته عندما يناجي ربه قائلاً: يا توّاب، يا غفّار، تب عليّ واغفر ذنبي، والمظلوم يجد السلوى، ويستشعر الراحة عندما يناجي خالقه: يا منتقم، يا جبّار، انتقم لي ممن ظلمني، وخذ لي بحقّي، والفقير المعدم يجد سعادته وأنسه عندما يتوجّه بحاجته إلى مولاه قائلاً: يا رزاق، ياوهاب، ارزقني وهب لي من فضلك، والضعيف يجد قوته وسلواه عندما يقول: ياقوىّ، يا عزيز، قوّني، وأعنّي على عملي وطاعتك، وهكذا. قال تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾

[الأعراف: ١٨٠]

وقال:

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ ﴾

[الإسراء/ ١١٠]

ولقد روى الحاكم عن على «رضى الله عنه» عن النبى «ﷺ» قال: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض».. وروى أيضاً عن أم المؤمنين عائشة (عليها الرضوان) قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة»، أى: يتصارعان، فالدعاء يردّ البلاء..

إذاً الدعاء عبادة من أعظم العبادات التى يقدّمها المرء طاعة لربّه، وزلفى لخالقه، وكيف لا؟ وهو مظهر من مظاهر العبودية الصادقة، والمناجاة المخلصة لله (عزّ وجلّ)، ففيه يقف العبد بين يدى خالقه ومولاه موقف الضراعة

والرجاء سائلاً مولاه رفع بلاء، أو نزول رخاء، طالباً منه (سبحانه) كشف غمّة، أو قضاء مهمّة، ولقد روى النعمان بن البشير «رضى الله عنه» قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾

[غافر / ٦٠]

رواه الترمذىّ، وقال: حديث حسن صحيح.

هذا والله -تعالى- يحبّ من عبده أن يسأله، ففى الحديث الشريف عن عبدالله بن مسعود «رضى الله عنه» أنّ رسول الله ﷺ قال: «سلوا الله من فضله، فإن الله يحبّ أن يسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج»[١]. وبالتالى يغضب على عبده إن أعرض عنه واستكبر عن دعائه، ففى الحديث عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[٢]، والعجب كل العجب لهؤلاء الناس الذين يتوجهون بسؤالهم إلى الخلق، ويتركون الخالق (جلّ وعلا)، لقد تلقف هذا المعنى الشاعر الحكيم فأنشد:

لا تسألن بنىّ آدم حاجة
وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله
وبنىّ آدم حين يُسأل يغضب

هذ وقد طلب منا الحقّ (سبحانه) أن ندعوه، ووعدنا فى الوقت نفسه باستجابة الدعاء، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

[غافر / ٦٠]

وعن سلمان الفارسى (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ ربكم حيّى كريم يستحيى من عبده إذا رفع يديه إليه بدعوة أن يردّهما صفراً ليس فيهما شىء»، رواه الترمذى وغيره، وصححه الشيخ الألبانى (رحمه الله).

وروى الشيخان عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعونى فأستجيب له؟ ومن يسألنى فأعطيه؟ ومن يستغفرنى فأغفر له؟»

ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «إنّ فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه الله إياه، وذلك كلّ ليلة»[٣].. ولكنّ كثيراً من

(١) سنن الترمذى.
(٢) سنن الترمذى.
(٣) سنن ابن ماجه جـ١/ ٤٤١.

الناس قد يقول: دعوت الله فلم يستجب لى، وأقول له: لقد سئل المصطفى ﷺ السؤال نفسه، قيل له: ما بال أقوام يدعون الله فلم يستجب لهم؟! فقال: «لأنه دعاهم فلم يستجيبوا له». ألا وإن ربّ العالمين يقول:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

[المائدة / ٢٧]

ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعين لا تدمع، ودعوة لا يستجاب لها. هذا وقد تتخلف الإجابة لاستعجال الداعى، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم مالم يعجل، يقول: قد دعوت ربى فلم يستجب لى».(٤)

هذا وإجابة الدعاء تختلف باختلاف مصالح الناس وأحوالهم، والله -سبحانه وتعالى- وحده هو العليم بما يصلحهم فى معاشهم ومعادهم، فى دنياهم وآخرتهم:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الملك / ١٤]

ولهذا قد يجيب المطلوب بعينه، وقد يجيب بعوض عن المطلوب خير منه، وقد يدّخر المطلوب أو بديله لوقت خير من الوقت المطلوب فيه، فعن أبى سعيد الخدرىّ (رضى الله عنه) عن النبىّ ﷺ أنه قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إمّا أن يعجّل له دعوته، وإمّا أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر، قال: الله أكثر»(٥).

فهل بعد هذا نجد من يغفُل عن الدعاء؟! لاشك أنّ من يغفل عن الدعاء هو العاجز، بل هو أشدّ الناس عجزاً، ورد فى الحديث الشريف عن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام» [رواه الطبرانى، وإسناده حسن].

هذا وللدعاء شروط يجب تحققها كى تتحقق الإجابة، وبعضها يتّصل بالداعى وهى أن يكون الداعى مؤمنًا عالماً بأنّ الله -تعالى- (وحده) هو القادر على قضاء حاجته، أو تفريج كربته، أو سداد دينه، أو كشف همّه، أو تحقيق أمله، وأن يدعو بنيّة صادقة، مع حضور القلب، وألاّ يملّ الدعاء، وأن يكون ملتزماً طاعة الله، مجتنباً كلّ ما حرّم الله عليه من الكسب الخبيث، وارتكاب المظالم، واقتراف الآثام، وفى الحديث: «إنّ الله -تعالى- طيب لا يقبل إلا طيّباً، وإن الله -تعالى- أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:

---

(٤) سنن ابن ماجه ١/١٢٦٦.

(٥) الحاكم ١/٤٩٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾

[المؤمنون / ٥١]

وقال:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾

[البقرة:١٧٢]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام، فأنّى يستجاب له!»(٦).

وبعض شروط الدعاء تتصل بالدعاء، وهى أن يكون الدعاء فى تضرّع وخوف ورجاء، وخشوع وإخلاص، قال تعالى:

﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾

[الأعراف:٥٥]

ومنها ما يتصل بالمدعوّ به وهى أن يكون المدعوّ به من الأمور الجائزة المطلب والفعل شرعًا، فلا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، قال تعالى:

﴿ وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡۖ ﴾

[يونس: ١١]

وقال:

﴿ وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾

[الإسراء:١١]

وبعد هذا وذاك لا بدّ للداعى أن يلحّ فى الدعاء، فقد قال - ﷺ: «ألظّوا بياذا الجلال والإكرام»(٧)، وإذا كان هذا هو الدعاء، وتلك شروطه، والإجابة تتحقق ما تحققت الشروط، فلماذا لا يتوجه كلّ منا بحاجته إلى مولاه، فهو ربّنا ونحن عباده، ونحن محتاجون إليه فى كلّ وقت وحين، ولماذا لا نتوجه بطلب الدعاء إلى الصالحين المخلصين، وإلى الوالدين، وإلى العبّاد الطائعين، وخاصة الذاهبين لأداء فريضة الحج، أو المسافرين لأداء العمرة، لماذا لا نتوجه إليهم ألا ينسونا من صالح دعائهم فى تلك البقاع الطاهرة، والأماكن المقدسة التى يستجاب فيها الدعاء؟! فها هى ذى السيدة أم الدرداء (رضى الله عنها) تقرّر أنها علمت أن النبى ﷺ كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكّل، كلّما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»، والمعنى: أى لك مثله، أو مثيله، أى: أن أجر المدعوّ له لا ينقص أجر الداعى، فكلاهما يحصّل الأجر كاملاً غير منقوص، وفى الدعاء بظهر الغيب إظهار الحبّ الصادق، والإخلاص

(٦) صحيح مسلم جـ٢/٧٠٣.

(٧) سنن الترمذى.

الكامل للمدعوّ له، بهذا تتأكدّ العلائق، وتتوطد الروابط، ويعيش الناس جميعاً سعداء، ويرضى عنهم ربّ العباد، وتعمّ البركة، ويكثر الخير، وينتشر الرخاء.

وعلى كلّ فاللجوء إلى الله يسهّل كل صعب، وييسّر كل عسير، ويقضى الحاجات، ويفرّج الكربات، ويرفع الغمّ والهمّ، ويحلّ محله الاطمئنان والاستقرار، وقد ورد فى الحديث الشريف عن أبى سعيد الخدرىّ (رضى الله عنه) قال: «دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له: أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة، ما لى أراك جالساً فى المسجد لغير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتنى، وديون يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن أذهب الله -عز وجل- عنك همّك وقضى دَينك؟ قال: قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: اللهم إنىّ أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَين وقهر الرجال. قال: فقلت ذلك، فأذهب الله غمّى، وقضى دينى»[8].

هذا وقد جاء فى بعض الكتب المنزّلة: «وعزّتى وجلالى، لأقطّعن أمل كل مؤمّل غيرى باليأس، ولألبسنّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأخيبنه من قربى، ولأبعدنه من وصلى، ولأجعلنه متفكراً حيران، يؤمّل فيرى فى الشدائد، والشدائد بيدى، وأنا الحىّ القيّوم، ويرجو غيرى، ويطرق بالفكر أبواب غيرى، وبيدى مفاتيح الأبواب، وهى مغلقة، وبابى مفتوح لمن دعانى».

هذا. والدعاء من الأمور التى امتازت بها أمتنا الإسلامية على غيرها من الأمم، حيث كان الدعاء من خواص الأنبياء وحدهم، فالنّاس يتوجهون بحاجاتهم إلى أنبيائهم، ليسألوا ربهم إيّاهم، وليس لهذه الأمّة وساطة بينها، وبين خالقها، جاء فى الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت أمتى ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث نبيّاً قال: (ادعنى أستجب لك)، وقال لهذه الأمة:

﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾

[غافر: ٦٠]

وكان الله إذا بعث نبيّاً قال له: ما جعل عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾

[الحج: ٧٨]

وكان الله إذا بعث نبيًا جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة

---

(٨) البخارى جـ٤/٢٣.

﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

[البقرة:١٤٣]

وما دام الحقّ (سبحانه) قد منحنا إجابة الدعاء، فيلزمنا أن نتخير أفضل أوقاته، وأفضل أوقاته -كما جاء في الحديث الشريف الذى رواه أنس بن مالك (رضى الله عنه)- بين الأذان والإقامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء لا يردّ بين الأذان والإقامة»(٩).

وكذلك ثلث الليل الأخير، روى الترمذى عن أبى أمامة (رضى الله عنه) قال «قيل لرسول الله -ﷺ-: أىّ الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات»، وكذلك فى السجود، ولكن بغير ما يشغل عن العبادة والصلاة، ففى الحديث الشريف الذى رواه الإمام مسلم (رحمه الله) فى صحيحه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى -ﷺ- قال: «أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

ألا وإن الله تعالى يقول:

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾

[العلق:١٩]

وعلى كلّ فمن عرف الله -عز وجل- عرفه الله، والجزاء من جنس العمل، كما أن العقوبة من جنس الجريمة، ومن ثمّ وجب على المسلم أن يعرف ربّه فى أوقات الرخاء والأمن والصحّة والسلم، ليعرفه ربّه فى أوقات الشدّة والخوف والمرض والحرب، قال رسول الله ﷺ: «تضرعوا إلى ربكم، وادعوه فى الرخاء، فإن الله تعالى قال: «من دعانى فى الرخاء أجبته فى الشدة، ومن سألنى أعطيته، ومن تواضع لى رفعته، ومن تضرّع إلىّ رحمته، ومن استغفرنى غفرت له».

ومن ثمّ جاء قوله (سبحانه):

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

[البقرة:١٨٦]

والمعنى: إذا سألك عبادى عنّى فإنى قريب أجيب دعوة من يدعونى، أعطيه إذا سألنى، وأثيبه إذا عبدنى.

وما أحوج أمتنا الإسلامية فى هذه الظروف الصعبة التى تمرّ بها الأمّة، والتى أقضّت مضجعها، وعصفت بها -أن يدعو كلّ المخلصين لها بقلوب عامرة بالإيمان، وألسنة صادقة- أن يُقيلها الله من عثرتها، وأن يردّ إليها قوتها ومنعتها وعزّتها ومجدها، لترفع راية الإسلام عالية خفاقة على أمم وشعوب طالما أرهقها الظلم، وأناخ عليها الطغيان، ولن يكون ذلك إلا بقادتها المخلصين، وجنودها المؤمنين، وقضاتها العادلين، وأئمتها المصلحين... والله نسأل أن يلهم الجميع الصواب، وأن يوفقهم جميعًا لما فيه خير العباد، وصلاح البلاد، والله يقول الحقّ، وهو يهدى السبيل.

---

(٩) مسند الإمام أحمد جـ٣/١١٩.

توجيه الشباب مسئولية الفرد والجماعة

لفضيلة الشيخ عمر الديب محمود
وكيل الأزهر الشريف

إن المقولة الحكيمة (الوقاية خير من العلاج) نجدها فيما أمر به القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾

«التحريم: ٦»

فهذا الأمر الربانى ما هو إلا توجيه إلى اتباع المنهج السليم وأقصر السبل إلى الاستقامة والوقاية فنحن نحصن أولادنا ضد الأوبئة والأمراض التى تصيب أجسادهم مثل شلل الأطفال ـ الحصبة ـ الحمى الشوكية.. وغيرها.

ونبذل الجهد والمال للوصول للعلاج الناجع لهذه الأمراض والوقاية منها ومع كل هذا ترانا نترك عن عمد وقصد وقاية أنفسنا وأهلينا وبالأخص أولادنا من أمراض أخرى هى أشد فتكاً وأكبر ضرراً على مجتمعاتنا الإسلامية وهذه الأمراض تتمثل فى هذا الفراغ الدينى المخيف الذى يعيش فيه أبناؤنا بل إنهم تاهوا فى هذا

الفراغ ولم يجدوا دليلاً ومرشداً أميناً يهديهم سواء السبيل، وإنهم لم يصلوا إلى بر الأمان، وإنهم لن يصلوا حتى يجدوا من يرشدهم من الآباء والمعلمين ويأخذ بيدهم إلى جادة الطريق، بل ويأخذ على أيديهم تارة أخرى حتى تطهر نفوسهم وقلوبهم فتأتمر بأوامر الدين وتنتهي بنواهيه وذلك عن رغبة وحب فى هذه التعاليم السمحة.

وهذه الآية الكريمة التى ترشد إلى التربية الدينية التى، وتحث على العناية بالأولاد بدنياً وعقلياً وروحياً وسلوكاً، وقد شرع الإسلام الأحكام التى تسلك بنا سبل الرشاد، ولعل توجيه أفضل الخلق وأعظمهم ومعلم البشرية الأول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى تعليم الأولاد الصلاة فى سن السابعة من أعمارهم أولى خطوات هذه الوقاية والتحصين ضد سبل الإغراء والفساد فى هذه الحياة، لأن للصلاة آداب وشروط متى تعود عليها الأبناء ونشأوا أصحاء أقوياء جسماً وروحاً وعقلاً فإنهم ظاهرهم النظافة وباطنهم الطهارة وهذه وقاية إيجابية فنظافة الظاهر تقيهم من شتى الأمراض فحين يتوضأ المسلم للصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة فإن هذا يحصنه ضد كثير من الأمراض ولا غرو، فقد أجرى بعض الباحثين فى إحدى الدول غير الإسلامية وبها أقلية من المسلمين ـ أجرى ـ بحثاً لبعض الأمراض التى تصيب الأنف والأذن والعين فوجد أن هذه الأمراض تنتشر بين طوائف الناس وتقل بشكل واضح وكبير بين المسلمين ولكنه عرف أخيراً أنهم يتوضأون للصلاة خمس مرات وهذا يقى تلك الحواس من الأمراض المعدية التى عادة ما تصيب تلك الحواس وكذلك الغسل من الجنابة والغسل للجمعة والغسل للعيدين كل هذه الطهارات دعوة للنظافة وحصن ووقاية من الأمراض الجسدية.

وأما عن علاج الصلاة للأمراض الباطنية فحدث ولا حرج وكفى بها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر والذى يتتبع آيات القرآن الكريم وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم يجد فى ذلك الرشد والإرشاد حيث يدعو الإسلام إلى أصول التربية الصحيحة والقويمة التى بها يحيا الإنسان مستقيماً وينبه إلى أن القدوة أمر خطير فى أصول التربية فيقول الحق تبارك وتعالى فى محكم آياته:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍۚ كُلُّ ٱمْرِيٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

«الطور: ٢١»

وعن القدوة السيئة يقول الحق جل شأنه:

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾

«الصافات: ٦٩ : ٧٠»

من هذا المنطلق كانت مساءلة الآباء عن تربية أولادهم والحفاظ عليهم من الأمراض الوافدة وفى تأكيد هذا المعنى جاء الهدى النورانى من أفضل الخلق وسيدهم سيدنا وإمامنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم:

(من ولد له مولود فليحسن أدبه واسمه فإذا بلغ فليزوجه فإن بلغ ولم يزوجه فأصاب إثماً باء بإثمه)«١».

مسئولية الفرد نحو الشباب

الإسلام حمل كل فرد مسئولية عمله ومسئولية عقيدته إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهذا واضح فى آيات عديدة فى القرآن الكريم ويتجلى ذلك فى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

«النجم: ٣٩».

وفى قوله عز من قائل:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾

«الإسراء: ٧»

وهذه المسئولية الفردية تتجلى فى تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة ولعمته صفية بن عبدالمطلب بهديه النبوى الشريف:

(يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبدالمطلب، يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئاً، سلونى من مالى ما شئتم)«٢».

وهذه المسئولية الفردية التى دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم متنوعة تشمل كل علاقات الفرد مع نفسه ومع ربه ومع غيره ومن هنا كانت مسئولية الشباب عن نفسه على هدى ما تعلمه وما فعله.

المسئولية الجماعية عن الشباب

هذه المسئولية تشترك فيها الأسرة باعتبارها التى تهيىء المناخ الذى يحياه الشباب وهى الحاضن والكفيل الذى يرتمى الشباب فى حضانته ويكلؤه بكفالته وتشترك فيها الدولة أيضاً باعتبارها القوامة على تقديم الخدمات المختلفة وأهمها التعليم والثقافة وتوفير العمل للشباب وتيسير الحصول على الأرزاق بل إن المجتمع كله وهو يمثل الرأى العام مسئول عن توجيه الشباب التوجيه السليم ومسئول أن يأخذ بيد هؤلاء

١ـ رواه الصيرفى فى من اسمه أحمد ومحمد.

٢ـ أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ج٣ ص٨٠.

الشباب حتى يصبحوا مواطنين صالحين ينفعون أنفسهم ويقودون بلادهم إلى التقدم والرقي يدافعون عنها بكل ما يستطيعون ويذودون عنها كل طامع ودخيل يحمون أرضها وسماءها وبحارها من كل غاصب.

وآيات القرآن الكريم بينت ما هو الرأى العام ومدى مسئوليته عن الفساد والإفساد.

قال تعالى:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾

«المائدة: ٧٩»

ولذلك نرى أن المفسدين الذين ينشرون الأفعال السيئة وينطقون بالأقوال الموجِّهة إلى الفساد المحرضة عليه أى صورة من صور الفساد يحرضون هذا الشباب على أن ينشأ بعيداً عن دينه وأخلاقيات هذا الدين التى تدعو إلى الفضائل وتنهى عن الرذائل وهؤلاء المفسدون يدعون الشباب إلى:

● اتباع أهواء النفس وتحقيق نزواتها ورغباتها وذلك باسم الحرية الزائفة التى يروجها هؤلاء المفسدين وتقليداً للأفكار الهدامة الوافدة من هنا وهناك لتثنيهم عن اتباع ما جاء به دينهم الحنيف.

● كذلك يدعون الشباب إلى رفض نصيحة الآباء وتوجيه المربين بدعوى أن هذه الأفكار رجعية وأن الآباء والمربين قد صدأت أفكارهم ولم تعد تساير الزمن الذى يعيشون فيه لأن هذا كان لزمن غير زمان الآباء والمعلمين.

● التقليد الأعمى لكل ما هو وافد علينا من الأمم التى تدعو إلى الإباحية والإنحلال الخلقي والعقائدى بل إن هذه الدعوة تقوم على تقليد بعض الأخلاق والسلوكيات التى هجرها عند الوافد منه هذه السلوكيات وهجرة أهله، ولكننا نقلدهم حباً فى تقليد كل ما هو أجنبى.

● سوء فهم الدين وتفسير ما جاء به حسب أهوائهم إما عن جهل تام بالدين أو لفقدان المرشد الأمين الذى يبين لهم المنهج القويم فى فهم هذا الدين، ولهذا كان لابد لنا من وضع منهج للعلاج وعمل وقائى وتربوى، وهذا المنهج يتمثل فى:

١- المثل الأعلى والقدوة الصالحة فى المنزل وفى المدرسة.

٢- أن نتعامل مع الأفكار والمذاهب الفاسدة والضارة نعاملها معاملة الأوبئة الضارة بالصحة وأن نحصن شبابنا ضد هذه الأمراض لتوضيح الطريق المستقيم الذى يهديه سواء السبيل ويرشده إلى أقوم طريق.

٣- أن نعتنى بدراسة أساليب التربية فى الإسلام التى كانت أسسها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآثار العلماء والراشدين ونستنتج منها الوسائل التى تتبع فى تنشئة أبنائنا من

مرحلة الطفولة وحتى مرحلة الشباب وأهمها الوعى الدينى الذى يدعو إلى الوسطية فى كل شىء وينهى عن الغلو والتطرف والتشدد فى كل الأمور بل يدعو إلى المحبة والتعايش السلمى بين جميع الأفراد والجماعات.

٤- لابد أن نظهر لهؤلاء الشباب خصائص المجتمع الإسلامى وما فيه من ميزات لأن التربية ليست بعيدة عن نظام المجتمع ولا تفارق عقيدته.

٥- عمل الدراسات الموضوعية عن الأخطاء الشائعة فى المجتمع التى تبعد الشباب عن الالتزام بأخلاقيات وسلوك الإسلام وتعاليمه.

٦- مقاومة سلبيات الفكر الدينى ومن أهم هذه السلبيات تبنى بعض الأفكار الهدامة والمتطرفة وذلك عن طريق ربط الشباب بالمفهوم الصحيح للتدين دون أن نضطره للانعزال ورفض المجتمع وممارسة التدين دون معرفة سليمة بأصوله أو عن طريق اتباع بعض الأدعياء الذين يدعون معرفتهم بالدين وأنهم وحدهم القادرون على إقامة هذا الدين ويذهبون إلى معاداة جميع من سواهم الذين لايتبعون أفكارهم وأيضاً تكون مقاومة هذه السلبيات بالحوار الهادىء من القادرين على إدارة هذا الحوار وذلك من العلماء المتخصصين الذين يستطيعون توصيل الدين الصحيح إلى أفهام الشباب ويقوه من الشوائب التى عرضت على أفكارهم نتيجة تأثرهم بتلك الأفكار الهدامة ويكون أيضاً بمراجعة مناهج التربية الدينية التى تدرس بمراحل التعليم المختلفة من حيث الموضوعات التى تشملها ومراجعة المشاكل الحاضرة وكذلك خطب الجمعة والدروس الدينية لابد لها من مواجهة المشاكل الحاضرة والتوجيه السليم للشباب للتغلب على تلك المشاكل وفقاً لما جاء به دينهم الحنيف وما أرشد إليه نبيهم صلوات الله وسلامه عليه.

٧- تنقية وسائل الإعلام من مظاهر الانحلال والدعوة إلى الإباحية والفساد الخلقى والتزامها بآداب التربية والحفاظ على القيم الدينية والأخلاقية والدعوة إلى إقامة حوار فكرى بين الشباب وبين العلماء المتخصصين فى جميع المجالات الثقافية والدينية والاجتماعية، وغيرها من المجالات التى يهتم بها الشباب وإذاعة هذا الحوار على الهواء بواسطة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية حتى ينتفع بها أكبر عدد من الشباب بل ويشارك فى إدارتها النابهون من الشباب الذين لديهم القدرة على الحوار والفهم حتى يكون ذلك وسيلة للأخذ بأيديهم وغيرهم من الشباب ويصبحوا فى أمن وأمان من استقطابهم فى تنظيمات مشبوهة.

والله نسأل أن يهدى شبابنا إلى سواء السبيل.

تحليل الطيبات وتحريم الخبائث

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٢، ١٧٣]

فى الآيات السابقة لهاتين الآيتين، وجه القرآن الكريم دعوته للناس جميعا أن يستمتعوا بما فى الأرض من الحلال الطيب، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان إلا أن جماعة من هؤلاء لم يستمعوا إلى دعوة الله ولم يهتدوا بهديه، وإنما اتبعوا ما وجدوا آباءهم عليه دون تمييز بين الطيب والخبيث، والحلال والحرام، قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ١٦٨-١٧١]

بعد ما وجه الدعوة السابقة إلى الناس عامة، وجه الدعوة إلى المؤمنين وحدهم، وقد ناداهم بالوصف القائم فيهم وهو وصف الإيمان الذى يقتضى أن يستجيب له المؤمن، وأن يكون مهتديا بهدى الله، بعيدا عما حرم الله. وأن يتنبه المؤمن بعد بيان ما سبق، فلا يلتفت إلى ما كان عليه غيره، وكان أولئك العاصون الحمقى الذين أحل الله لهم خيرات الأرض وطيباتها، قد أحلوا بعضها وحرموا بعضها وهنا جاء الأمر بأكل الطيبات بعد بيان أحوال أولئك ليأكل المؤمنون من طيبات ما أحل الله ولا يضيقوا على أنفسهم كما ضيق أولئك.

وأن هذا الأمر الذى أمر الله -تعالى- به المؤمنين من الأكل من الطيبات، قد أمر به أيضا المرسلين عليهم السلام، عن أبى هريرة -رضى الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله تعالى أمر المؤمنين

بما أمر به المرسلين»، فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾

[المؤمنون: ٥١]

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: «يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»(١) والطيبات: هى التى يستلذ بها الناس ويستطيبونها من الحلال يقول الرازى فى تفسيره: الطيب فى الأصل هو ما يستلذ به ويستطاب ويوصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه، لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه، والحرام غير مستلذ لأن الشرع يزجر عنه وفى بيان الرسول ﷺ، أن الله وجه الأمر إلى رسله كما وجهه للمؤمنين بالأكل من الطيبات فى هذا البيان ما يشير إلى أهمية الحرص على الطيبات وأنه أمر من الأهمية بمكان بحيث يجب على المؤمنين أن يحرصوا عليه غاية الحرص، ولذا فإن الأمر به جاء قبل الأمر بعمل الصالحات قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾

[المؤمنون: ٥١]

أطب مطعمك

وأن المال الطيب والأكل من الحلال يكون سببا للعمل الطيب وقبوله عند الله تعالى، والمال الحرام، والأكل منه يورث العمل الخبيث ولا يقبل لصاحبه عمل ما.

وقد روى أن سعد بن أبى وقاص قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة. فقال النبى: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفس محمد بيده إن العبد يقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت -أى حرام- فالنار أولى به»(٢).

بل إنه لو تقرب إلى الله أو تصدق بالمال الحرام فإنه لا يقبل من صاحبه، ففى الحديث: «من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به، أو أنفقه فى سبيل الله، جمع ذلك جميعا ثم قذف به فى نار جهنم»(٣).

وقال ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول»(٤) وفى قوله تعالى:

---

(١) صحيح مسلم جـ٢/ ٧٠٣.

(٢) الترغيب والترهيب جـ٢/٥٤٧.

(٣) اتحاف السادة المتقين جـ٦/٩.

(٤) صحيح مسلم (٢٠٤).

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

التفات من ضمير المتكلم إلى الغيبة، فلو جرى الحديث على الأسلوب الأول فى التكلم لقال واشكرونا، ولكنه التفت ليصرح باسم الله تعالى لتربية المهابة، وشكر الله تعالى على نعمة عبادة أمر بها الله تعالى فى قوله:

﴿ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

وقوله:

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾

[البقرة: ١٥٢]

والشكر طريق لزيادة النعمة، قال سبحانه:

﴿ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ ﴾

[إبراهيم: ٧]

وطريق- أيضا لرضاء الله على الإنسان وفيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أنس -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» وفى قوله تعالى:

﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

بيان من الله تعالى بأن شكر الله عبادة، فإن الله يعلم أنهم يعبدونه، وهم بالفعل يعبدونه فبين بقوله:

﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾

[البقرة: ١٧٢]

إن شكر الله صاحب الفضل والإنعام على نعمه ورزقه وإباحة الطيبات من أهم وسائل العبادة، كما أن هذه العبادة كما يقول الألوسى بمنزلة التعليل لطلب الشكر كأنه قيل: واشكروا له لأنكم تخصونه بالعبادة وتخصيصكم إياه بالعبادة يدل على أنكم تريدون عبادة كاملة تليق بكبريائه وهى لا تتم إلا بالشكر، لأنه من أجلّ العبادات، ولذا جعله نصف الإيمان وورد من حديث أبى الدرداء مرفوعا:

يقول الله تعالى: «إنى والإنس والجن فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى وأرزق ويشكر غيرى..»(٥).

شريعة اليسر والسماحة

وبعد أن ذكر الطيبات وأمر بالأكل منها بين أنواعا من الحرام فقال:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

وقد جاء التعبير هنا بصيغة القصر التى تفيد حصر الحرمة فى الأمور المذكورة مع العلم بأن

(٥) تاريخ ابن عساكر جـ٥/١٨٩.

هناك أمورا محرمة أخرى وذلك لرد اعتقادهم أن هذه الأشياء حلال وهو رد بأبلغ وجه وأقوى صورة مؤكدة، فالحصر مقيد بما اعتقدوه حلالا بقرينة أنهم كانوا يستحلون ما ذكر.

وهذه الأمور المحرمة منها ما كان تحريمه لعلة فيه، وسبب منع حله ومنها ما كان تحريمه لغير علة فيه فالميتة والدم ولحم الخنزير معروف أن الميتة والدم تأباهما النفوس السليمة، واستثنى من الميتة السمك والجراد للحديث الذى أخرجه ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عمر -رضى الله تعالى عنها- : «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وقد ألحق بالميتة أيضا ما قطع من حى للحديث الذى أخرجه أبوداود والترمذى عن أبى واقد الليثى قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قطع فى البهيمة وهى حية فهى ميتة» والدم وقيد فى سورة الأنعام بالمسفوح وخص لحم الخنزير مع أن سائر جنسه حرام لأن معظم ما يؤكل من الحيوان هو اللحم وباقى أجزائه تابعة له ويدل أيضا على أن عين الخنزير حرام سواء ذكى أم لم يذك هذا وقد اكتشف العلم الحديث أن بالخنزير بعض الديدان الشديدة الخطورة وقد سبق القرآن العلم الحديث إذ حرم الخنزير فى أوائل القرن الهجرى الأول وشريعة لها هذا السبق جديرة بالثقة بها وتحريم ما حرمته وتحليل ما حللته، وأما النوع الثانى وهو ما كان محرما بسبب التوجه به لغير الله وهذا سبب روحى يجافى سلامة العقيدة والاتجاه لله الواحد وهو المذكور فى قوله تعالى:

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

ومع هذا فإن شريعة الإسلام عرفت باليسر والسماحة وجعلت الضرورات تبيح المحظورات فأحلت لمن اضطر لهذه المحرمات أن يأكل منها بالقدر الذى تنتفى معه بالضرورة دون أن يتجاوزها أو يتعدى حدودها:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

فالدين يسر لا عسر. قال تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج: ٧٨]

ولذا ختم الآية بقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٣]

ومن رحمته أنه أسقط الحرمة ورخص فى تناول هذه الأمور وقت الضرورة وهذه الأمور كانت محرمة فى التوراة إلا أن اليهود كتموا الآيات الدالة على تحريم بعضها رغبة منهم فى كسب مادى هو فى زعمهم كثير، ولكنه عند الله قليل ولذا عقبت الآيات على ما سبق ببيان أنهم صائرون إلى النار وكأن ما يأكلونه هو نار فى بطونهم. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[البقرة: ١٧٤]

وبهذا يتبين لنا حرص الإسلام على سلامة النفس وسلامة العقيدة، فسلامة النفس تتضح بتحريم ما يضر بصحة الإنسان من أكل الخبيث كالميتة والدم ولحم الخنزير وسلامة العقيدة بتحريم الذبح الذى لا يذكر عليه اسم الله، حتى تظل العقيدة فى نفوس أصحابها نقية لا تشوبها شائبة شرك.. قال تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

[الكهف: ١١٠]

العلم الحديث

وإذا كان ما سبق من تحريم الإسلام للميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله أمورا أشار القرآن إلى تحريمها وضررها فلننظر إلى ما قاله العلم الحديث وما اكتشفه الطب عنها:

أما عن الميتة فهى مضرة بالصحة وقد نقلت المجلة البيطرية من كتاب: «الفوائد الحسان لمعالجة الحيوان» لمؤلفه الدكتور على رمضان: هذه اللحوم فضلا عن كونها يحرم تعاطيها دينيا فهى مضرة بالصحة وعلاماتها أنها سريعة التعفن سهلة التمزق رطبة رخوة صفراء اللون تسيل منها مادة مصلية وإن شفت سال منها دم أسود ولها رائحة مخصوصة وشكل ظاهرى يمجه النظر ودهنها رخو مائل للزرقة» أ.هـ.

وأما عن لحوم الخنزير فقد ذكر الكتاب أنها: أكثر تعرضًا للتلوث بالميكروبات المرضية البكتيرية أو الطفيلية من لحوم الأبقار والأغنام وذلك مثل ميكروبات التسمم الغذائى والحويصلات الديدانية والتريخينا.

وأعتقد أنه مع التقدم العلمى سيتضح ما خفى من أسباب تحريم أكل لحوم الخنزير، والمعروف حاليا أن هذا الحيوان يصاب بنوع من الحويصلات الديدانية التى تؤدى إلى إصابة الإنسان بنوع خبيث من الديدان الشريطية ويتم التعرف على هذه الحويصلات عند الكشف على لحوم الخنزير بالعين المجردة للطبيب وقد لا يمكن مشاهدتها رغم وجودها فى اللحوم.

ومن كتاب «أمراض الحيوان» إعداد: مراقبة الإرشاد والتسجيل البيطرى والإدارة العامة للمعامل والبحوث البيطرية طبع المطبعة الأميرية سنة ١٩٦٣م تذكر أهم الأمراض المشتركة التى تنتقل من تعاطى لحم الخنزير إلى الإنسان:

- الكلب وهو الصرع.
- التهاب الفم الفقاعى وهو مثل الحمى وتنتج عنه التهابات.
- الحمى الفحمية.
- الحمى المالطية المتموجة.
- الدودة الوحيدة.
- التسمم الدموى.

● مرض الصفراء الدموى وهو التهاب كبدى
● جمرة الخنزير وهى التهابات فى الجلد
● السل الكاذب.
● السل الآدمى والبقرى.
● سالمونيلا التسمم الغذائى.
● الدوسنتاريا الأميبية.
● مرض النوم الأفريقى «داء الفيل».
● التهاب الجلد.
● مرض التربكينيلا «ديدان».

علة التحريم دفع الضرر

ويتسبب عن تعاطى لحم الخنزير الإصابة بالدودة الشريطية أو الدودة الوحيدة وقد ثبت أن الخنزير هو المستودع الحيوانى الذى تعيش فيه الدودة فى شكل حويصلة حتى إذا ما وصلت فى الغذاء إلى أمعاء الإنسان تحولت الحويصلة إلى دودة بالغة تستقر فى الجزء الأول من الأمعاء الدقيقة ويبلغ متوسط طولها عندما يتم نموها بين مترين وثلاثة أمتار وقد تصل أحيانا إلى ثمانية أمتار.

وهى تبقى فى لحم الخنزير مترقبة وصولها إلى أمعاء الإنسان لكى تكمل دورة حياتها وتصبح دودة بالغة.

وبهذا يتبين لنا دقة التشريع الإسلامى وحكمته العالية فى تحريم الخنزير وغيره من الأمور التى حرمها الله وقد أشار القرآن الكريم فى سورة الأنعام إلى هذه الأمور بقوله:

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾

[الأنعام: ١٤٥]

ومعنى قوله:

﴿ أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾

أى مصبوبا كالدماء التى فى العروق لا كالطحال والكبد، وقد وصف الخنزير بأنه نجس لأن لحمه قذر لتعوده أكل النجاسات، ولأنه فى ذاته خبيث. وفى سورة المائدة ذكر القرآن هذه الأمور وغيرها من المحرمات الأخرى فى قوله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾

[المائدة: ٣]

● والمنخنقة: هى التى ماتت بالخنق.
● والموقوذة: هى التى قتلت بالضرب.
● والمتردية: هى التى تردت من علو أو إلى بئر فماتت.
● والنطيحة: هى التى نطحتها أختها فماتت.

وأن شريعة لها هذا السمو فى أحكامها والدقة فى المحافظة على النفس والصحة لجديرة بالاتباع والحرص على التمسك بها، والدفاع عنها.

الدين المعاملة

ماذا جرى للمسلمين فى فهمهم لتعاليم الدين ومقاصده؟ وماذا وقع من خلل فى مقياس أعمالهم بأوامر الدين الصحيح؟ ولماذ انحصر فكرهم فى معنى التدين على أنه أداء شكلى لفرائض خلا أداؤها من تحقيق غاياتها وأهداف الهداية الربانية منها؟

لفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف

إن من يتتبع أحوال المسلمين ويلقى نظرة فاحصة على سلوكهم وتصرفاتهم، ويختبر أقوالهم وأفعالهم ليعرف منازلهم من التدين، ومدى انطباق الحكمة البالغة «الدين المعاملة» عليهم يجد :

أن من المسلمين من يكتفون بالتدين بمجرد الانتساب إليه، وأداء رمزه الأول، وهو النطق بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» ويرون أنهم بذلك قد قاموا بحق التدين، فأعلنوا شهادة الإيمان بالله، والشهادة بأن محمدا رسول الله، وهم بعد ذلك بعيدون كل البعد عن جميع التكاليف والعبادات، والمعانى الفاضلة والتوجيهات الرشيدة التى يدعو إليها الدين، يطلقون لأنفسهم وجوارحهم العنان فى تحقيق رغباتهم وشهواتهم فى كل شىء.. فلا حد فى عقيدة، ولا ضابط فى تفكر ولا وازع عن شهوة، ولا حائل دون رغبة، ولا مانع من معصية، ولا حياء من عيب، ولا زاجر من ضمير، ولا حرمة من الاعتداء على الآخرين.. كأنه لا إله موجود يراقب، ولا ملائكة مخلوقة تسجل، ولا جوارح عندهم تشهد، ولا بعث ولا نشور قادم، ولا حساب ولا ميزان سيقام، ولا عقاب ولا جزاء سيتم.

صنف من الناس

ومن المسلمين من يرون أن التدين يقع فى دائرة مادية بحتة، ينحصر فى صلاة وصيام، وهمهمة وتسبيح، وسمت وزى خاص، وخطوات وحركات خاصة، وكلمات محفوظة، وجمل محددة تقال فى مناسبات معينة.. وبلغ بهم التبجح أنهم يعلنون تباكيهم على الأخلاق التى ضاعت، وعلى الدين الذى أهمل، وعلى الفضائل التى تركت.. ويوجهون اللوم

والتقريع والتوبيخ لكل من تحدثه نفسه بالخروج على شيء من المظاهر التى رسموا بها حدود الدين، وجعلوها علامة على الإيمان والتدين فى رأيهم وفكرهم ومنهجهم.. كما بلغت بهم الجرأة أنهم أعطوا لأنفسهم حق الهيمنة على عباد الله، فالمؤمن عندهم من وصفوه بالإيمان تبعا لإيمانهم، والمارق عندهم من وصفوه بالمروق تبعا لرأيهم، والمقبول عندهم من اتبع أهواءهم، والمطرود من الإيمان من حاد عن سنتهم ومنهجهم.

هذه هى أبرز صفاتهم من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فهم أبعد الناس عن آثار التدين الصحيح، وأبطأ الناس عن تلبية الدعوة إلى الخير، يثقل عليهم أداء الحقوق، وإذا تعاملوا ببيع أو شراء ماكسوا فى القليل والكثير، والخسيس والنفيس، يبخسون الناس أشياءهم، وإذا اكتالوا عليهم يستوفون، وإذا كالهم أو وزنوهم يخسرون، يقطعون الأرحام، ولا يصلون الفقير، ولا يخففون عن مكروب، يقبضون أيديهم عن البذل والعطاء، يأكلون التراث أكلا لما، ويحبون المال حبا جما، امتلأت نفوسهم بالشح، وتمثل لهم فى كل شأن من شئونهم شبح الفقر، فهم منه فى وجل دائم وفزع مستمر.

يستبيحون الكذب، ويكتمون الشهادة، وينكرون الحق والصدق، يستحلون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، ينقضون العهد والميثاق، يفجرون فى الخصومة، يستغلون مراكزهم وسطوتهم وقوتهم فى التنكيل بمخالفيهم فى الرأى.. استدرجهم الشيطان فارتموا فى أحضانه ووقعوا فى شباكه، فحاربوا الناس فى أرزاقهم وأقواتهم.. وتراهم إذا دعا داعى الدين، أو استغاث الخلق، أو استنصرت الفضيلة أجبن الناس: يفرون وينكصون على أعقابهم، ويجعلون أصابعهم فى آذانهم، ويثنون صدورهم، ويستغشون ثيابهم، ويؤثرون العافية والانكماش على متاعب الحق، ومواجهة آثار الحق.

وليس هناك أبلغ ولا أوضح ولا أقوى فى تصوير هؤلاء، وإبراز خصائصهم وبيان مقدار تجافيهم عن الدين، وبعدهم عن هدايته وتعاليمه، من هذا البيان الإلهى الذى تضمنته هذه السورة القصيرة، التى لا يكاد مسلم يجهلها

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى
يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣
فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾

(الماعون: ١-٧)

أى: إن كنت يا محمد، أو أيها العاقل، لا تعرف المكذب بيوم البعث والجزاء والحساب فآياته الواضحة،

وعلاماته البارزة أنه شخص قد نزعت الرحمة من قلبه، وهانت عليه الحقوق فأهدرها، فيقسو على اليتيم، ويزجره زجرا عنيفا، ويسد كل باب خير في وجهه، ويمنع كل حق له، ولا يحث أهله وغيرهم من الأغنياء على بذل الطعام للبائس المسكين، لشحه الشديد، واستيلاء الشيطان عليه، وانطماس بصيرته عن كل خير، ونسى ما تقتضيه صلاته من روح الخوف والمراقبة، والشعور بغيرة الله على الحق وعلى عباده الضعفاء، وقد اتخذ صلاته ثوبا من الرياء يلبس به على الناس، ويخفى وراءه نفسا مظلمة قابضة ممسكة، لا تنضح بخير، ولا تعين على معروف.

وقد جاءت أحاديث الرسول ﷺ فى الإرشاد والتوجيه، وشرح حقيقة الدين مؤذنة بأن وضع هؤلاء، وما اتخذوه لأنفسهم هو وضع بعيد عن الدين، بعيد عن مرضاة الله ونعيمه، جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم مرة بين يديه وسأله: ما الدين يا رسول الله؟ فأجابه بقوله: الدين حسن الخلق»، فأتاه من قبل يمينه وسأله: ما الدين يا رسول الله؟ فأجابه: «الدين حسن الخلق»، ثم أتاه من ورائه وسأله: ما الدين يا رسول الله؟ فالتفت إليه الرسول وقال له: «أما تفقه؟ هو ألا تغضب» [1].

وقيل لرسول الله: إن فلانة تصوم نهارها وتقوم ليلها، ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها، فقال ﷺ: «لا خير فيها هى من أهل النار» [2].

وقال على رضى الله عنه: كنا جلوسا عند النبى ﷺ فأقبل علينا رجل من أهل العالية، فقال: أخبرنى يا محمد عن أشد شيء فى هذا الدين وألينه، فقال له: «يا أخا العالية ألين شيء فى هذا الدين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأشده يا أخا العالية الأمانة، ألا إنه لا دين لمن لا أمانة له وإن صام وصلى» [3].

مكانة الدين وحقيقة التدين

هذه هى مكانة الذين ساء فهمهم للدين، وظنوه مظهرا من المظاهر، ولونا من الألوان، دون أن يكون له أثر فى أخلاقهم ومعاملاتهم.

ولا نجد ما يصور لنا حقيقة التدين الصحيح، ويبرز لنا أوصاف أهله، كقول الله - تعالى -:

(١) إتحاف السادة المتقين جـ٧/٣١٣.

(٢) إتحاف السادة المتقين جـ٧/٣١٩.

(٣) الترغيب والترهيب جـ١/٨١.

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

البر: اسم جامع لكل خير، ولكل طاعة وقربة يتقرب بها العبد إلى خالقه - عز وجل - وللمفسرين أقوال كثيرة فى المخاطبين بهذه الآية الكريمة، وهل الخطاب هنا خاص أم عام؟ والرأى الراجح أن هذا الخطاب عام للكل، وهو الرأى الذى تطمئن إليه النفس، لأن المقصود من الآية الكريمة إنما هو إفهام الناس وإعلامهم فى كل زمان ومكان أن مجرد تولية وجه الإنسان إلى قبلة مخصوصة فى الصلاة ليس هو البر الكامل الذى يعنيه الإسلام، وإنما البر الكامل الذى يعنيه ويقصده الإسلام يتأتى ويتحقق فى استجابة الإنسان للتمسك بالخصال الشريفة، والأعمال الجليلة التى اشتملت عليها هذه الآية الكريمة.. فالإنسان الذى يلتزم ويتمسك بتنفيذ هذه الأعمال الإيمانية المذكورة يكون على صلة طيبة بخالقه، وعلى صلة طيبة بالناس، ويكون قد استكمل تعاليم الدين فى المعاملات.

والمعنى: ليس البر - الذى هو كل طاعة يتقرب بها الإنسان إلى خالقه - يكون فى تولية الوجه عند الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب، وإنما البر الذى يجب الاهتمام به والعناية بتحقيقه والالتزام بتنفيذه، لأنه هو الذى يؤدى إلى الفوز والفلاح، ويحقق السعادة فى الدنيا والآخرة، هذا البر يكون فى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والقرآن ورسل الله... إلى آخر ما ذكرته الآية الكريمة من الأعمال الصالحة، والخصال الجليلة.. والإيمان بالله الواحد الفرد الصمد الذى لا شريك له ولا ولد، والذى لا تتجه القلوب بالعبادة والطاعة إلا إليه، هو أساس كل بر «طاعة»، وأصل كل قربة، فإذا تحقق فى القلب، ورسخ فى النفس، وصدقته الجوارح، اكتملت فى صاحبه كل خصال الخير بعد ذلك.. ولذا ابتدأت الآية الكريمة به، وذكرت بعده الإيمان باليوم الآخر.. والإيمان باليوم الاخر يلزم التصديق بالبعث والنشور، وما يقع فيه من حساب وجزاء، وثواب وعقاب.. ويترتب على هذا الإيمان مبادرة الإنسان إلى فعل الخير والأعمال الصالحة، وعدم اقتراف الذنوب والآثام.

ثم ذكرت الآية الكريمة أن من البر الإيمان بالملائكة والقرآن والنبيين الذين ثبتت نبوتهم، وكل من أنكر نبوة نبى

قد ثبتت نبوته فقد خرج عن طريق الإيمان وقد جمعت هذه الأمور الخمسة التى ذكرتها الآية الكريمة كل ما يلزم أن يصدق به الإنسان لكى يكون ذا عقيدة سليمة، تصل به إلى الفلاح والسعادة..

أصول الأعمال الصالحة

ثم ذكرت الآية الكريمة بعد ذلك أصول الأعمال الصالحة فقالت:

﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أى: ومن البر انفاق المال وبذله عن طيب خاطر - مع محبة المنفق لهذا المال - لأقاربه المحتاجين لأنهم أولى بالمعروف، ولأن إعطائهم فيه إحسان وصلة رحم.

عن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة»[٤]، وانفاق المال على «اليتامى» وهم من فقدوا آباءهم بالموت ولم يبلغوا الحلم ولا يملكون ما يكفى حاجتهم، وعلى «المساكين» وهم من لا يملكون شيئا من المال أو يملكون ما لا يكفى حاجتهم.. عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المسكين الذى يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان» قالوا: فما المسكين يا رسول الله؟ قال: «الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يسأل الناس شيئا»[٥]، «وابن السبيل» وهو المنقطع عن بلده وماله، «والسائلين» وهم الطالبون للإحسان والمعروف، «وفى الرقاب» أى: وفى تخليص الأسرى من أيدى العدو بفدائهم، وتخليص الأرقاء بشرائهم وإعتاقهم.

وذكر هذه الأنواع الستة من البر ليس المقصود بها الحصر، ولكنها ذكرت كأمثلة، وخصت بالذكر لأنها أحوج من غيرها إلى العون والمساعدة.

ثم ذكرت الآية الكريمة أنواعا أخرى من البر «الطاعة» تدل على قوة الإيمان بالله وعلى طاعته وعلى حسن الخلق،

﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أى: أدى الصلاة فى مواعيدها مستوفية لأركانها وسننها وخشوعها، محققة غاياتها.. وأعطى الزكاة

(٤) سنن النسائى جـ٥/٩٢.

(٥) الترغيب والترهيب جـ١/٥٨٩.

المفروضة لمستحقيها، وفى هذا دليل على أن فى الأموال حقوقا لأصحاب الحاجات سوى الزكاة، لذكر الزكاة المفروضة بعد ذكر إيتاء المال على حبه.

﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أى: الذين إذا وعدوا بالخير أنجزوا، وإذا حلفوا على فعل خير بروا فى أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا فى أقوالهم، وإذا ائتمنوا أدوا الأمانة.

﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أى: والصابرين عندما يصابون فى أموالهم كالفقر، أو عندما يصابون فى أنفسهم كالمرض، أو فى وقت القتال فى سبيل الله.

هذا هو الدين

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أى: أولئك الذين تقدم ذكرهم، الجامعون لخصال البر هم الصادقون فى إيمانهم، وهم المتقون الذين يخشون الله ويسارعون إلى فعل الطاعات، وتلك هى صفاتهم، وظهر أثر الدين فى أخلاقهم: فلا غل ولا حقد، ولا حسد ولا غضب، ولا بغضاء ولا شح، ولا قطيعة ولا جبن، ولا أثرة ولا استغلال.. كما ظهر فى معاملاتهم فلا غش ولا خديعة، ولا كذب ولا كتمان شهادة، ولا تلبيس ولا مخاصمة، ولا احتيال على أكل أموال الناس بالباطل، ولا نكوص عن العهود، ولا تشويه للحقائق، ولا خيانة للأمانة.

هذا هو الدين عقيدة نقية، ونفس سخية، وأخلاق رضية، وقلوب وفية، وروح صفية، وما إلى ذلك مما تنتظمه هذه العبارة الجامعة القوية «الدين المعاملة».

***

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اسْتِفْتَاءَاتُ القُرَّاءِ

(الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين)
اطلعنا على الطلب المقدم من مجلة الأزهر - المقيد برقم ٣٢٢١ لسنة ٢٠٠٥ المتضمن الأسئلة الآتية:

مسألة فى الزكاة

● السؤال من السيد / محمد فرج ناصف يقول فيه:

أ- ما المقصود بتقدير الزكاة فى الثمار بطريق الخرص؟

ب- ما مقدار النصاب الشرعى فى الزروع والثمار والخضروات بالموازين والمكاييل المصرية المعروفة، لأننا لا نفهم ما يكتب فى كتب الفقه من مصطلحات مثل: الأوسق - الأفرق - الرطل البغدادى - الصاع؟

جـ- فى مصرف الغارمين:

هلى يجوز إعطاء الزكاة للضامن إذا كان المدين قادراً ومماطلاً؟ هل يشترط أن يكون الضامن معسراً لإعطائه من الزكاة؟

●● الجواب:

أ- المقصود بتقدير الزكاة فى الثمار بطريق الخرص هو ماذهب إليه جمهور الفقهاء من أنه ينبغى للإمام إذا بدا صلاح الثمار أن يرسل ساعياً يخرصها - أى يقدر كم سيكون مقدارها بعد الجفاف - ليعرف قدر الزكاة الواجبة على أصحابها، وذلك لمعرفة حق الفقراء وأهل استحقاق الزكاة، وللتوسعة على أهل الثمار ليخلى بينهم وبينها فيأكلوا منها رطباً، ثم يؤدون الزكاة بحساب الخرص المتقدم، وذلك عند جفاف الثمر.

يجيب عنها فضيلة الأستاذ الدكتور
علـى جمعــة
مفتى جمهورية مصر العربية

واستدل الجمهور لمشروعية الخرص بحديث عتاب بن أسد - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ أمر أن يخرص العنب كما يخرص النخل، وتؤخذ زكاته زبيباً كما تؤخذ زكاة النخل تمراً» رواه أبوداود والترمذى.

أما الحنفية فإنهم لا يرون الخرص، ويرون أن النبى ﷺ إنما فعله من باب السياسة الشرعية ضبطاً للمقدار العام للزكاة فى الجملة ومنعاً للتهرب منها، فأما أن يلزم به حكم على جهة التفصيل فلا.

وبذلك يتبين أن الخرص فى زكاة الثمار إنما هو للإمام إذا رأى أن يفعله، أما الأفراد فلا مدخل للخرص والتخمين فى حسابهم لزكاة ثمارهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ب- روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» فالنصاب فى زكاة الزروع والثمار معتبر بالكيل، لأن الوسق مكيال، والمكيلات تختلف بعض الاختلاف فى أوزانها، فمكيال الأرز مثلا يختلف وزناً عن نفس المكيال من القمح والذرة، ومعيار الربط بين الكيل والوزن هو الماء الصافى الذى يستوى كيله ووزنه، وقد أجمع العلماء على أن الوسق ستون صاعاً، وعند الجمهور أن الصاع خمسة أرطال وثلث بالرطل البغدادى، و«الفَرَق» بفتحتين هو مكيال يسع ستة عشر رطلاً بغدادياً - أى ثلاثة آصع - وهو يختلف عن «الفـرْق» بسكون الراء الذى يسع خمسمائة وعشرين رطلاً، والرطل البغدادى يزن عند الجمهور ٣٨٢,٥ جرام، وعند الحنفية ٤٠٦,٢٥ جرام، أما الرطل المصرى فيزن ٤٤٩,٢٨ جرام.

وقد حرر علماء مصر النصاب بالمكيال المصرى فى القرون المتأخرة فوجدوه أربعة أرادب وويْبَة - كما نص عليه العلامة الباجورى وغيره فى حواشيهم الفقهية - وذلك بالأردب الحالى الذى كبر عما كان

عليه فى القرن العاشر الهجرى، والأردب اثنتا عشرة كيلة، والويبة كيلتان، وهما سدس أردب، والكيلة ستة عشر لترا ونصف اللتر، فجملة النصاب ثمانمائة وخمسة وعشرون لترا تختلف أوزانها باختلاف ما يكال فيها، والكيل يكون للمحصول خالياً من القشر الذى يمكن أن يبقى سليماً بدونه، فالقمح والذرة مثلاً بعد نزعهما من الكوالح وكذلك الأرز بعد نزعه من قشره يبلغ النصاب فيها ستمائة وخمسة وعشرين كيلو جراماً تقريباً، ونصاب الأرز قبل إزالة قشره سبعمائة وثمانون كيلو جراماً تقريباً.

والخضروات لا زكاة فيها، وكذلك الفواكه ما عدا التمر والعنب كما هو مذهب الإمامين مالك والشافعى، وهو المفتى به.

أما الزروع فزكاتها فيما يقتات منها، من قمح وشعير وأرز وذرة وحمص وعدس وأمثالها مما تقوم البنية بتعاطيه وتكتفى ونستغنى به، ويشترط أن يكون القوت مما يصلح للادخار بحيث لو ادخر للاقتيات لم يفسد.

والله سبحانه وتعالى أعلم

ج - يعد الضامن من الغارمين الذين يستحقون الزكاة فى سداد ما ضمنه إذا أعسر الضامن والمضمون عنه وكان الضمان بإذن المضمون عنه، فإن ضمن بلا إذنه لم يعط من الزكاة إلا إن أعسر هو، وإن لم يعسر المضمون عنه.

والله سبحانه وتعالى أعلم

النقاب

● السؤال من السيد / م.م. أ. يقول :

أ - هل النقاب فرض أم سنة ؟

ب- ما حكم تناول المشروبات الغازية مع العلم أن البعض يقول بأنها تحتوى على مادة الببسين وهى مستخرجة من الخنزير ؟

●● الجواب :

أ - النقاب - بكسر النون - ما تنتقب به المرأة، يقال انتقبت المرأة، وتنقبت : غطت وجهها بالنقاب والفرق بين الحجاب والنقاب : أن الحجاب ساتر عام، أما النقاب فساتر لوجه المرأة فقط.

وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن جسد المرأة كله عورة بالنسبة للرجل الأجنبى عدا الوجه والكفين، لأن المرأة تحتاج إلى المعاملة مع الرجال، وإلى الأخذ والعطاء، وورد عن أبى حنيفة القول بجواز إظهار قدميها، لأنه سبحانه وتعالى نهى عن إبداء الزينة واستثنى ما ظهر منها، والقدمان ظاهرتان.

وظاهر مذهب أحمد بن حنبل أن كل شىء من المرأة عورة بالنسبة للأجنبى عنها حتى ظفرها، وروى عن الإمام أحمد أنه قال : «إن من تبين زوجته لا يجوز أن يأكل معها»، لأنه مع الأكل يرى كفها، وقال القاضى من الحنابلة : يحرم نظر الأجنبى إلى الأجنبية ما عدا الوجه والكفين.

وقد اعتمد الجمهور على أدلة من القرآن والسنة، منها : قوله تعالى :

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور ٣١)

أى موضعها، فالكحل زينة الوجه، والخاتم زينة الكف، وقد ذكر ابن كثير الآية وعقبها بقوله: «قال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضى الله عنهما:

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

(النور: ٣١)

قال: وجهها وكفيها والخاتم، وروى عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى الشعثاء والضحاك وإبراهيم النخعى وغيرهم نحو ذلك».

وفى السنة ما روته السيدة عائشة – رضى الله عنها: أن أسماء بنت أبى بكر – رضى الله عنهما – دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه. رواه أبو داود.

وحديث تذكير النبى ﷺ النساء بالصدقة لتوقى النار، فقالت امرأة من سطة النساء – أى من خيارهن – سفعاء الخدين: لم يا رسول الله؟...... رواه مسلم، وراوى الحديث هو جابر رضى الله عنه، وفيه إشارة إلى أن هذه المرأة كانت كاشفة عن وجهها، وأن راوى الحديث رأى ذلك منها. وغير ذلك من الأحاديث.

ويرى بعض العلماء أن هذا نسخ بالنقاب، ولكن لا دليل على ذلك النسخ، كما استشهدوا بآية الأحزاب:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

(الأحزاب ٥٩)

وليس فيها تصريح بتغطية الوجه.

قال المرغينانى من الحنفية: «وبدن الحرة كلها عورة إلا وجهها وكفيها»، لقوله ﷺ: «المرأة عورة مستورة» واستثناء العضوين للابتداء بإبدائهما «قال رضى الله عنه: «وهذا تنصيص على أن القدم عورة، ويروى أنها ليست بعورة، وهو الأصح».

(الهداية ١ / ٢٥٨، ٢٩٥).

ومن المالكية قال الشيخ ابن خلف الباجى: «وجميع المرأة عورة إلا وجهها وكفيها»، وقال فى موضع أخر: «وقوله: وقد تأكل المرأة مع زوجها وغيره ممن تؤاكله أو مع أخيها على مثل ذلك يقتضى أن نظر الرجل إلى وجه المرأة وكفيها مباح، لأن ذلك يبدو منها عند مؤاكلتها.

(المنتقى شرح الموطأ ٤ / ١٠٥، ٧ / ٢٥٢).

وقد نقل ابن حجر الهيتمى عن القاضى عياض أن المرأة غير ملتزمة بستر وجهها إجماعاً حيث قال: «نقل المصنف عن عياض الإجماع على أنه لا يلزمها فى طريقها ستر

وجهها، وإنما هو سنة، وعلى الرجال غض البصر عنهن للآية».

(تحفة المحتاج ٧ / ١٩٣).

وقضية الثياب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعادات القوم، وبالنسبة للواقع المصرى فالأنسب له أن يلتزم رأى الجمهور، لأن غطاء المرأة وجهها مستغرب فى مجتمعنا المعاصر، ويتسبب فى شرذمة للعائلات، أما المجتمعات الأخرى التى يتناسب معها مذهب الحنابلة، فلا بأس بأن تلتزم النساء فيها بهذا المذهب لموافقته لعاداتها وعدم ارتباطه بتدين المرأة، وإنما جرى العرف عندهم والعادة أن تغطى المرأة وجهها.

ولذا فنرجح مذهب الجمهور، وهو جواز كشف الوجه والكفين، وتغطية ما عدا ذلك من جسد المرأة، كما نرى أن غطاء الوجه إذا كان علامة على التفريق بين الأمة، أو شعاراً للتعبد والتدين، فإنه يخرج من حكم الندب أو الإباحة إلى البدعية، فيكون عندئذ بدعة، خاصة إذا تم استخدامه فى أشياء ما أنزل الله بها من سلطان.

والله سبحانه وتعالى أعلم

المشروبات الغازية

ب- سبق أن أصدر مجمع البحوث الإسلامية فتوى فى هذا الشأن هذا نصها:

بناء على التقرير العلمى الذى ورد إلى اللجنة من السادة أعضاء هيئة البحوث المتخصصين فى هذا المجال بالمركز القومى للبحوث عن تحليل عينات من مشروب البيبسى كولا، حيث أفاد التقرير أن العينات المختلفة التى جمعت من مشروب البيبسى كولا لم يثبت بها وجود أى نوع من أنواع البروتينات أو الأنزيمات، ولم تحتو على أى بروتين مماثل لإنزيم الببسين القياسى المنقى من معدة الخنزيز، وكذلك لم يثبت بها وجود نشاط لإنزيم الببسين، فبناء على ذلك ترى اللجنة أنه لا مانع من تناول مشروب البيبسى كولا.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الطلاق المتعدد لا يقع إلا واحدة

● السؤال من السيد/ م. ع. م يقول: قلت لزوجتى: «أنت طالق طالق طالق»، وبعد أقل من دقيقة قلت لها: «أنت طالق طالق طالق» فما الحكم؟

●● الجواب: الذى عليه الفتوى والقضاء فى الديار المصرية أن الطلاق المتعدد لفظاً أو إشارة لا يقع إلا واحدة، وذلك أخذاً بما عليه بعض أهل العلم كابن تيمية، والتاج السبكى - رحمهما الله تعالى - خلافاً للأئمة الأربعة، وفى معناه الطلاق المتتابع فى مجلس واحد، فقول الزوج لزوجته: «أنت طالق طالق طالق» مرتين بينهما أقل من دقيقة هو طلاق متتابع فى مجلس واحد ويقع به طلاق واحد على ما هو المفتى والمقضى به.

والله سبحانه وتعالى أعلم

طائرٌ في الجنّة وسفيرٌ فوقَ العادة

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

أشرنا فى المقال السابق إلى أن إسلام سيد الشهداء لم يكن نعرة أو اندفاعاً بلا تريث أو تثبت، كما يصوره بعض الذين كتبوا عن قصة إسلامه، وفى رأيى أنه كان عن إيمان وقناعة لم يحن وقتها، وتمشياً مع طبيعته السلسة وشبابه الفتى وهوايته للصيد التى شغلت جلّ وقته، كل ذلك جعله يترك التفكير فى إعلان إسلامه، لأن الإسلام فى رأيه قضية مُسلَّمة، فهو يحب محمداً - صلى الله عليه وسلم - ويرى فيه الصدق والأمانة وأنه مثال يحتذى، بل ويفاخر به مكة كلها.

فالأمر ليس فى حاجة إلى إعلان، وعندما تمادى المفكرون وظهرت طبائع الاستبداد الكريهة، وجب الإعلان ولزم التأديب فضرب أبا جهل حتى شج رأسه، فسال الدم الكريه على الجبهة القبيحة، ثم قال فى بسالة ورجولة: «أتسب محمداً وأنا على دينه»، وانهار الجمع، ونسى الجميع الدم الكريهة وشغلوا بانهيار التجمع الكافر.. وهكذا أعلن جعفر قائلاً أنا خطيبكم اليوم.. وتلك خسارة فى موقف عصيب، لا ينهض له إلا الرجال وهذه سفارة فوق العادة كما يقولون فى العرف الدبلوماسى «يقوم بها رجال المهمات الصعبة».

تأملت موقعة مؤته، وقارنت بين القوتين المتقابلتين، جيش قوامه مائتا ألف فى العدد، لكن أراه لا يساوى فى ميزان القتال مايثيره من غبار، وجيش فى مقابلته تعداده ثلاثة آلاف مقاتل، لكنهم بميزان البسالة والقتال يساوون مقدار أمة، فكأنهم زحف التاريخ يمثل سنة من سنن الحياة والنماء لا تقاوم مهما كان المناخ وتلبدت الغيوم.

يقاتل المسلمون تحت قيادة زيد بن حارثة، ويستشهد ابن حارثة، ويتسلم القيادة بعده جعفر بن أبى طالب....

قال صاحبى فى تعجب وذهول: أيَّةُ قيادة تبقى لثلاثة آلاف قتل قائدهم فى مقابلة مائتا ألف؟ بل أى جيش ذلك الذى تتحدث عنه؟

قلت على الفور: مازِلْتَ غافلاً عن موازين النصر والقوة فى الإسلام، ومازلت تقدِّر الأشياء بالكم والحجم، إن ميزان الإسلام بالنوع، والحلال الطيب فى كل شىء فليس للكثرة والكم أىَّ حساب، فشق

تمرة من كسب طيب ـ ليس لها وزن فى عالم الدنيا ـ يتقبلها الله بيمينه ويربيها كما يربى أحدنا مُهْره حتى تصير مثل جبل أحد . . . .

يالعظمة المقابل . . . . آه لو عقل المسلمون دينهم وتمسكوا به ! ! ! ! !

كانت الزوجة المؤمنة توصى زوجها عندما يخرج للعمل أو للتجارة ، تقول له : اتق الله فينا ولا تجعلنا طعاماً للنار ، لأنها آمنت بقول الحبيب ﷺ «كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به» . (١)

أين زوجة اليوم من ذلك النبل العفيف والعفة النبيلة ، وعدم التطلع إلى الكم والرغبة فى الكثرة من زهد زوجة الأمس ؟ ؟ ؟ لا بل أين الثرى من الثريا ؟ ؟ ؟

بهذا المقياس تسلم جعفر القيادة وبهذه المثل ، وماغرس فى قلبه من يقين بوعد الله فى كتابه ، وبما جاء به ﷺ عن ثواب المجاهد في سبيل الله ، نعم فى سبيل الله ، خالصاً مخلصاً ، لا حمية ولا شجاعة ولا لدنيا أو غلبة ، سبيل الله واضح بيِّن ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾

«يوسف : ١٠٨»

وسبيل الله صراطه المستقيم .

ذات يوم ندب رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحه ـ وهو ثالث قواد مؤته ـ للخروج فى سرية ، وكان ذلك يوم جمعة ، فترائى لعبد الله بن رواحه أن يصلى الجمعة مع رسول الله ﷺ ثم يلحق بالسرية ، فماذا قال له رسول الله ﷺ ؟

يروى ابن عباس رضى الله عنهما يقول : بعث رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحه فى سرية فوافق ذلك يوم جمعة ، فقدَّمَ أصحابه وقال : أتخلف فأصلى مع رسول الله ﷺ الجمعة ثم ألحقهم ، فلما صلى رسول الله ﷺ رآه فقال له «مامنعك أن تغدو مع أصحابك ؟ «قال : أردت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم ، فقال رسول الله ﷺ «لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما أدركت غدوتهم» . (٢)

قلت لصاحبى : أبعد هذا يمكن أن يُحجم ، أو يتردد جعفر بن أبى طالب ، وهو الجسور المقدام الجرئ الطاهر ، الذى لم تخطر الدنيا بساحته ؟ إن الساعى إلى الله تعالى فى صدق نسى الدنيا ، وهكذا أفهم قوله تعالى :

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾

«القصص : ٧٧»

ولهذا قال له ربه :

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾

«القصص : ٧٧»

---

(١) الدر المنثور جـ٢/٢٨٤.

(٢) مسند الإمام أحمد جـ١/٢٢٤.

أبعد أن خرج مع الجيش وهو يعلم أنه شهيد لن يرجع لدنيا الناس، لأن النبى ﷺ الصادق المصدوق لما حدَّد قوادا لجيش قال «إن قُتلُوا فليتخذ المسلمون من يشاؤون قائداً عليهم»، هل يمكن أن يفر ولماذا يفر؟ أو يهرب؟

إن المسلم الحق وهو فى جهاده الرشيد وتبليغ دعوة الله إلى الناس، فإنه لا يهرب ولا يفر!!! كيف يفر؟ أيرجع إلى الدنيا وماجاءت دعوته إلا لتعلن للناس أن ماعند الله خير وأبقى؟ وأن الدنيا فانية، فلا عراك عليها ولا ينبغى أن نأخذها إلا من حلال وطيب نفس، وإن الإسلام ليرد على هؤلاء الذين يقولون:

﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾

« الجاثية: ٢٤ »

لا بل هناك حياة أخرى:

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

«العنكبوت: ٦٤»

فيها حساب وجزاء، ثواب وعقاب، ثواب للطائعين وعقاب للعصاة.

فلماذا الفرار وعلام الهرب؟ ومن الذى يفر ويهرب؟ هل جعفر بن أبى طالب البطل المغوار؟ كيف وهو يحفظ كتاب الله تعالى ويعلم جزاء الفارين من الزحف

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

«الأنفال: ١٥، ١٦»

لا ليس هو الذى يفر، فأمثاله لا يفرون، فبمثله يضئ الله الكون ويزين الحياة.

أَقْدَمَ جعفر وتسلم الراية بيمينه وخاض غمار الحرب وجاهد فى بسالة حتى قطعت يده اليمنى، فلم يتوان ولم يتراجع، فالتراجع ليس من خلقه وليس وارداً فى قاموسه، فأمسك الراية بشماله فقطعت شماله فاحتضن الراية بعضديه وظل على ذلك حتى استشهد رضي الله عنه.

لكن كيف استشهد هذا البطل الباسل النموذج الذى يحتذى ويقتدى به؟

نسمع هذا من شاهد عيان، عن عبدالله ابن الزبير عن أبيه قال: والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل ثم أنشد يقول:

ياحبذا الجنة واقترابها
طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذابها
علىَّ إن لاقيتها ضرابها

أحسست أن صاحبى يريد أن يبادر بكلام يقطع عليَّ انبهارى بهذه البسالة الفدائية، فبادرته قبل أن يفتح فمه، وقلت لصاحبى: هكذا الرواية، وهكذا تقتضى أمانة النقل، لكنى أحسب أن السياق لابد أن يكون هكذا: اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وأنشد يقول: ياحبذا.... إلى آخر الأبيات، ثم قاتل حتى قتل.

ونظرت إلى صاحبى فشاهدت على وجهه بعض ابتسامة وهو يقول: يعجبنى فيك سد الثغرات فى التاريخ والروايات، ثم قلت: ليست ثغرات، ثم واصلت فى مودة صادقة قائلاً: كنت أحب أن تسأل عن قول الفارس البصير:

ياحبذا الجنة واقترابها
طيِّبة وبارد شرابها

كنت أود أن تسأل وتقول: هذا قول من شاهد وذاق؟ شاهد قرب الجنة، وذاق طيب ثمرها وبرد شرابها، فكيف ذلك؟ فهل شاهد أو ذاق حتى يقول ماقال؟

قلت وقلبى يقطر أسى، وتساءلت فى مرارة: هل ضلت أقدام المسلمين الطريق؟ هل أوشك قطارهم أن يخرج عن القضبان وتوشك أن تقع الكارثة؟ أم أنه خرج فعلاً؟ فلماذا وأين القدوة؟ قلت ذلك وأنا أشاهد وأسمع وأرى أكثر من ١٥٠٠ شاب وفتاة يتظاهرون باكين لشاب سقط ضحية فئة مزورة، أو مزوراً سقط ضحيته جياع طامعون، وظاهرة فشت ونمت وترعرعت وكادت أن تصبح هى القاعدة، وأن يكون الشرفاء هم الاستثناء.

لماذا تهرأت الأمة؟ لماذا تمزق الثوب حتى لم يعد إلا ورقة التوت وأراها تهتز مرتعشة تكاد أن تسقط.

فجأة انتفض صاحبى مذعوراً لما نبهته كأن شيئاً لدغه وهو ناعس يغط ثم قال: نعم.. نعم.. هل شاهد أو ذاق؟

قلت لصاحبى وأنا أعترف فى خجل: إستفهامك هذا يعنى أننا غيبناك عن التُراث، أو شاركنا ولو بالصمت المريب فى اغترابك، ثم أمسكت بيد صاحبى وأخذته برفق قائلاً: تعال معى نقرأ حديث رسول الله ﷺ الذى لو سمعته ما أعجبك هذا السؤال، لكن قبل أن آخذك إلى الحديث أقول لك: نعم شاهد جعفر الجنة وقربها، وذاق طيب الثمر وبرد الشراب، ذاقه ببصيرته وشهوده وفؤاده، ثم قلت: ألا تجد متسعاً فى قوله تعالى:

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾

« محمد: ٦ »

ثم واصلت حديثى قائلاً:

ذات صباح لقى النبى ﷺ أحد أصحابه، فقال له رسول الله ﷺ «كيف أصبحت ياحارثة؟».

حارثة يجيبه: أصبحت مؤمناً حقاً.

ولفتت الإجابة النبى ﷺ، أو أنه ﷺ أراد أن يلفت انتباهنا إلى الإجابة، فقال

لحارثة «انظر ماتقول؟» يعنى لا تتعجلٍ فى الجواب، وتأمل وفكر فى جوابك أولاً، إذ لكل شيء حقيقة، فما حقيقة إيمانك؟.

فيجيب حارثة فى صدق وحق ويقين، لم يتلعثم ولم يتردد، لأن الأمر ملموس ومشاهد عن معاناة ومعالجة مستمرة، وليس مجرد جواب ورَدْ!!!

قال حارثة: أسهرت ليلى بالعبادة والذكر والصلاة والقيام وتلاوة القرآن، وأظمأت نهارى بالصوم ومادخل جوفى حرام أو شبهة، وهذا لأنه لاَزِمُ القيام والصيام ونتيجة حتمية له.

فكأنى أرى عرش ربى بارزاً، وكأنى أرى أهل الجنة فى الجنة يتنعمون، وأهل النار فى النار يتضاغون.

فقال النبى ﷺ لما سمع هذه الإجابة العملية الموفقة ـ وهى مقدمة ناجحة توصل إلى نتيجة حتمية ـ قال ﷺ «عرفت فالزم»(٣).

أى أنك عرفت طريق الوصول الصحيح، فالزم ما أنت عليه.

إذاً فالرجل شاهد الجنة وأهلها، ولولا ذلك لأبى عليه رسول الله ﷺ أن يقول: كأنى أرى أهل الجنة يتنعمون... إلخ.

قاطعنى صاحبى: فهل ذاق؟

قلت: إن مشكلتنا أننا عطلنا حواسنا وأغمضنا عيوننا، ونريد فى عناد غريب أن نقلد لاعب السيرك، كيف؟ صعب ذلك، بل مستحيل! علينا أولاً أن نعمل حواسنا فى كون الله بطاعة الله لنرفع الغشاوة عن العيون، والران من على القلوب.

ثم قلت: بالله عليك لو أنك رأيت رجلاً يأكلٍ طعاماً شهياً، ورأيت رجلاً يزدرد دواءً مُراً، مرة أخرى أقول رأيت، بالله عليك ألا تستطيع أن تحكم بيقين أن الطعام شهى حلو، وأن مايتجرعه الرجل مُر لا يكاد يطاق بمجرد الرؤية؟

أرجوك لا تتعجل فى الجواب، ولا تتحجر فى الفكر، أو تتجمد وتعاند الطبيعة البشرية السهلة، وتعاند فى كبرياء، وتتكبر فى عناد، وترفض الإجابة، والاعتراف بالحق الواضح، إن الطبائع المستقيمة تستطيع أن تحكم بمجرد المشاهدة.

قال صاحبى ـ فى تشفٍ واضح ـ قل لى بالله عليك لماذا عقر فرسه؟ـ لعله رأى شدة القتال، فخاف على نفسه أن تغريه بالفرار، فيقع فى المحظور! وأردف: ألا يكفيه أنه ترجَّل عنها؟ ماكان أغناه عن قتلها؟ كأن المسلمين لا يعرفون الرفق بالحيوان!

قلت غير مكترث: اسمح لى أن أقول

---

(٣) مجمع الزوائد جـ١/٥٧.

لك أننى لا أطيق أن أتعامل مع النفوس المعوجة والطبائع المختلة، خصوصاً إذا كانت تدّعى المعرفة وتفسير الحوادث، بالله عليك ألا يوجد احتمال آخر يحسّن الظن بالرجل ويقدّر ماضيه المشرف المجيد؟ أو تضع نفسه مكان الناس فى الحدث نفسه، حتى تحكم على الموقف كله بميزان هو أقرب إلى العدل وأبعد عن الشطط؟ كان عليك أن تعرف أولاً أن جعفر قائد مقاتل جسور مؤمن بالله ومصدّق بنبيه فى كل حال، لو أنك كنت كذلك ـ أو بعضه ـ لم يتطرق إلى ذهنك هذا الفكر المريب المشبوه، والملوث، أو تدرى معنى أنه قائد؟ يعنى أنه مسئول عن الجيش كله، إنه ربان السفينة، آخر من يتخلى عنها عندما تتعرض للخطر، وليس أول من يهرب منها، هكذا القيادة فى الإسلام، تبعة يجب أن تقدّر أولاً، وأمانة يجب أن تصان ثانياً، وأولاً وأخيراً هى مسئولية سوف يسأل عنها يوم القيامة، وهكذا تعلّم وتربّى هذا الجيل الرائد، لقد وعى قول رسول الله ﷺ «كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته»،[٤] وهذا المعنى فهمه الفاروق، بل استوعبه الفاروق عمر لدرجة أنه كان يئن تحت وطأته من ثقله ويقول: لو أن بغلة عثرت بالعراق، خشيت أن يسأل عنها عمر، إيه ياعمر، بخٍ بخٍ يابن الخطاب، آه لو رأيت العراق اليوم كم من بغال عثرت فيه؟ وكم من طيور ماتت وتركت أعشاشها؟

ولولا المزعجات من الليالى
لما ترك القطا طيب المنام

لن نقول آدميون يقتلون كل ساعة وكل لحظة!!! وآلاف غيرهم فى السجون يسحلون وتهدر آدميتهم!!! ولكنى أقول حيوانات وطيور، لأن عالم اليوم يتشدق بالرفق بالحيوان ويسحق كرامة الإنسان.

إن جعفر قائد مسئول عن جيش قوامه ثلاثة آلاف رجل فى مقابلة مائتا ألف، تأمل معى بالله عليك لو أنه ترجّل عن الفرس وتركها تفر بلا فارس؟ قل لى بتجرد ونزاهة وأجبنى بصدق، ألا يمكن أن توزع الفزع وتطيّر خبر مقتل الفارس القائد، فينفرط عقد الجيش؟ وهل يحتمل الجيش هذا الخبر الموهن لعزم الرجال، المفتت من عزائم المقاتلين؟ الحق أننى أضن بهذه الفئة المؤمنة أن تُزعزع أو تُبدّد فينطفئ سراج الإنسانية.

إذن لا مفر من عقرها، وأعتقد أنه لم يفعل ذلك إلا عن كره منه فلابد أنها جفلت ـ ذعرت ـ وخافت ـ وتباطأت والفارس الشهيد قلبه ينادى: واهاً ريح الجنة!! إنه يمضى إلى جنة الخلد، بل إنه

---

(٤) صحيح البخارى جـ٢/٦.

يطير إلى جنات الخلد، لكنه مع كل هذا المشهد الرهيب، والشوق العارم إلى الجنة، لا ينسى الجيش، إنه يأبى أن يزرع الوهن فيه.

كان جعفر ﷺ رقيق القلب يحب المساكين، يقول أبو هريرة رضي الله عنه (كان جعفر يحب المساكين ويجلس إليهم يحدثهم ويحدثونه)، ما أحلى وأعمق كلمة (ويحدثونه)، وهى تدل على عمق التواضع السهل الميسور غير المتكلف، حيث إنه من الممكن أن يجلس المرء إلى المساكين ويحدثهم إذا عرضوا له أو تعرض لهم فى جمهرة من الناس، أو كما يقولون بلغة العصر لحظة التصوير، أما أن يتجرأ المساكين البسطاء على الرجل المهيب الفارس ويحدثونه دون وجل أو خوف، وقد أَمِنُوا طباعه وأَنِسُوا إلى جانبه، فتلك خصال لا يعرفها إلا جعفر، ولماذا لا يعرفها جعفر وقد تربى فى حجر سيد الشهداء؟! ويقول أبوهريرة أيضاً: كان خير الناس للمساكين جعفر، ولذلك سماه النبى ﷺ أبا المساكين.

إن جعفر، هذا المتواضع للمساكين المحب لهم، ليس بجبان فرّار.

عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال (فقدنا جعفر بن أبى طالب يوم مؤته، فطلبناه فى القتلى ـ فبحثنا عنه فى القتلى ـ فوجدنا به بضعاً وتسعين طعنة ورمية، ووجدنا ذلك فيما أقبل من جسده)، أو تدرى معنى كلمة (فيما أقبل من جسده)؟ يعنى أنه لم يفر ولم يهرب بل ولم يحاول ذلك ولم يفكر فيه.

رُوِىَ أنه بينما كان رسول الله ﷺ جالساً وأسماء بنت عميس ـ زوجة الشهيد ـ قريبة منه، إذ قال ﷺ «يا أسماء، هذا جعفر بن أبى طالب قد مرَّ مع جبرائيل وميكائيل، فردى عليه السلام، وقد عوضه الله من يديه جناحين يطير بهما حيث يشاء». (٥)

وعن نافع عن بن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ فرفع رأسه إلى السماء فقال «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، فقال الناس: يارسول الله ماكنت تصنع هذا؟ (يعنى أننا لم نتعود منك أن ترد السلام دون أن يلقى عليك أحد السلام)، قال «مرَّ بى جعفر بن أبى طالب فى ملأ من الملائكة فسلم علىَّ»(٦).

هكذا فعل رسول الله ﷺ ولا نملك إلا أن نحاول الاقتداء برسول الله ﷺ فنقول: وعليك السلام ياجعفريا ذا الجناحين فى الجنة، ياسفير الإسلام والمتحدث باسمه سلام عليك فى الخالدين.

---

(٥) المستدرك جـ٣/ ٢١٠، ٢١١.

(٦) مسند الإمام أحمد ج٣/١٥٨.

الإسلام

دين الحضارة والمدنية

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

رب ضارة نافعة..!! وقد يلبس الله عباده المنحة فى ثوب المحنة..!! لقد لقى المسلمون فى الآونة الأخيرة من أعدائهم بلاء كثيرا، بدعوى أن دينهم يحض على العنف والإرهاب، وسفك الدماء، وبدعوى أن دينهم الإسلامى دين الهمجية، التى لا تعرف التحضر أو المدنية، ولقد زادت هذه الادعاءات والافتراءات بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، حتى أصبحنا نقرأ.. ونسمع.. ونشاهد صباحا ومساء وكل يوم من هذه «الوجبات السخية» ومن الأكاذيب الرخيصة ما يدعو إلى «القرف» من هؤلاء الناس، مما لم يعد معه أى مجال لأن نصدقهم فى دعاواهم أنهم منصفون، أو أنهم يبغون العيش فى سلام مع المسلمين..!!

والحقيقة التى صدقتها الأحداث، أن ما حدث أخيرا بالولايات المتحدة الأمريكية - بصرف النظر عن الفاعل الحقيقى لها - وأطلق عليه ظلما وبهتانا أنه «حادث إرهابى وقع بأيدى المسلمين»، كان فاتحة خير للدعوة الإسلامية والمسلمين، لا لأن المسلمين - معاذ الله - شامتون لما وقع للأمريكان أو لغيرهم، فهذا ليس من طبيعة الإسلام، وليس من طبيعة من تأدبوا بآدابه.. فالمسلمون، أول من أدانوا هذا العمل الإجرامى، حتى قبل أن يعرفوا أن جريمته ستلصق بهم.. ولكن نقول إنه كان فاتحة خير وبركة للإسلام والمسلمين من باب

آخر: نعم لقد هبت على المسلمين رياح سموم عاتية، ولا تزال تهب، ولا يعلم إلا الله كم ستحصد من شباب الإسلام، وكم من الأنهار ستجرى بدمائهم..!! ولكن هذه الأحداث المؤسفة كانت مفتاحا لباب يخفى خلفه كثيرا من شياطين الصهيونية العالمية، وممن ينساقون وراءهم من نصارى الغرب المتعصب، الذين يناصبون الإسلام العداء.. بعد أن كانوا يتسترون وراء دعاوى التسامح والتحضر فى معاملة الغير، ولكن هذه الأحداث أخرجتهم جميعا من حالة الخداع والكذب هذه إلى حالة الوضوح، ودفعتهم إلى الكشف عن وجههم القبيح، حتى وجهوا كل أسلحتهم الغادرة صوب الإسلام والمسلمين، ومن هنا كان لنا أن نردد هذه العبارة المشهورة «رب ضارة نافعة» و«قد يلبس الله عباده المنحة فى ثوب المحنة».

الأزمات هى التى تصنع الرجال

لقد كانت هذه الأحداث سببا مباشرا لهذه الصدمات، التى تتوالى فى كل لحظة من ليل أو نهار، على مشاعر المسلمين ووجداناتهم، مما يجب أن يوقظهم من غفلتهم، وينهضهم من رقدتهم للدفاع عن هذا الدين، وإن هذا لقريب إن شاء الله، وذلك لأن الأزمات هى التى تصنع الرجال، ولأن الأمور العظيمة والإنجازات الهائلة لا تتم إلا على نار المواجهات الساخنة والصريحة..!!

قالو عن الإسلام: إنه دين الهمجية والعدوان، وأنه ليس دين حضارة ومدنية.. وكذبوا فى هذه المقولة..!! وإلا، فكيف يدعو دين سماوى إلى الإرهاب والقتل، وكيف يرفض الحضارة والمدنية والتقدم، وكتابه الأقدس يدعو إلى إعمار الأرض، وإقامة أركان الحياة على أساس متين من السلم والاطمئنان والتعاون؟! وذلك فى مثل قول الله عز وجل:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

[هود: ٦١]

وقوله سبحانه:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾

[الأعراف: ٥٦]

وكيف يكون هذا فى دين يندد بالمفسدين فى الأرض، الذين ينشرون الرعب والخوف بين الناس؟! قال عز من قائل:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾

[محمد: ٢٢]

وكيف يجتمع هذا مع بيان عاقبة المفسدين فى الأرض، الذين ينشرون الخوف والرعب بين الأبرياء الآمنين، فى الدنيا والآخرة؟! قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

[المائدة: ٣٣]

الإسلام دين الأمن والسلامة

إن الإسلام العظيم يحبب الحياة إلى الناس، ويرغب فى الاستزادة من خيرات الأرض، التى تنشر الأمن والسلام والاستقرار بين ربوعها، قال ـ تعالى ـ فى محكم التنزيل:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩]

وقال أيضا:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾

[الأنعام: ١٤١]

وهاهو ذا رسول الله ﷺ يضع العمل لخير البشرية فى مصاف العبادات التى يؤجر عليها الإنسان يوم القيامة عندما قال: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا، فيأكل منه طير أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة»[1].

ويستمر هذا المبدأ حتى آخر لحظة فى عمر الدنيا، وذلك من خلال قوله صلوات الله وسلامه عليه: «إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[2] وهناك غير ذلك الكثير والكثير من الآيات المباركات والأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو إلى المزيد من بذل الجهد والعرق فى سبيل إعمار الأرض، ونشر الأمن والسلام فيها.

***

نقلة حضارية كبرى

إن هذا الدين المبارك، لم يكن نقلة إنسانية فى سبيل التعرف على أوجه العبادة الصحيحة لله رب العالمين فحسب.. وإنما كان بالإضافة إلى ذلك نقلة حضارية كبرى طافت العالم كله شرقا وغربا، وكان لها الأثر الأكبر فى حضارة البشرية كلها على السواء، وليس هذا من جانبنا ادعاء نؤكد به على ما ذهبنا إليه، وإنما هو حقيقة ثابتة شهد لها وللتاريخ كثير من مفكرى الغرب وكتابهم المنصفين، الذين يستحيل فى حقهم محاباة العرب المسلمين على حساب حضارتهم وتاريخهم الحقيقى: فها هو ذا العلامة «جوستاف لوبون» يقول تحت عنوان «تمدين العرب لأوروبا ـ تأثير العرب فى الشرق والغرب»: خضع الشرق لكثير من

(١) البخارى ج٣/١٣٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ١٨٤، ١٩١.

الشعوب كالفرس والإغريق والرومان ... إلخ، ولكن تأثير هذه الشعوب السياسى، إذا كان عظيما فيه، فإن تأثيره المدنى فيه كان ضعيفا للغاية».

«وما عجز الإغريق والفرس والرومان عنه، قدر عليه العرب بسرعة ومن غير إكراه».

«وما وفق العرب له فى مصر اتفق لهم مثله فى كل بلد خفقت فوق رايتهم كأفريقية «يريد تونس» وسورية وفارس، وقد بلغ نفوذهم بلاد الهند التى لم يدخلوها إلا عابرى سبيل، وقد كان لهم تأثير واضح فى بلاد الصين التى لم يزوروها إلا تجارا».

«ولا نرى فى التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب،، فجميع الأمم التى كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضارتهم ولو حينا من الزمن».

حضارة الإسلام وضعت حدا لهمجية أوروبا

«ولم يتجل تأثير العرب فى الشرق فى الديانة واللغة والفنون وحدها، بل كان لهم الأثر البالغ فى ثقافته العلمية أيضا، وقد نقل العرب إلى الهند والصين أثناء صلاتهم بها قسما كبيرا من معارفهم العلمية التى عدها الأوربيون على غير حق من أصل هندى أو صينى.

إلى أن قال:

ولا يمكن إدراك أهمية شأن العرب فى الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخل العرب الحضارة إليها، فإذا رجعنا إلى القرن التاسع من الميلاد حين كانت حضارة العرب الأندلسية فى أوج نضارتها، رأينا أن مراكز الثقافة فى الغرب كانت أبراجا يسكنها أمراء إقطاعيون متوحشون يفخرون بعجزهم عن القراءة، وأن أكثر رجال النصرانية معرفة هم الرهبان المساكين الجاهلون الذين كانوا يصرفون أوقاتهم فى أديارهم، ليكشطوا بخشوع كتب الأقدمين النفيسة، ليكون عندهم بذلك من الرقوق «الصحائف» ما هو ضرورى لنسخ كتب العبادة.

«ومضت مدة طويلة قبل شعور أوروبا بهمجيتها، ولم يبد ميلها إلى العلم إلا فى القرن الحادى عشر والقرن الثانى عشر من الميلاد، فلما ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل عنهم، ولوا وجوههم شطر العرب»(٣).

وفى سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة أخذت دول الإسلام تعتنى بدور الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دون سواها، حتى كان فى القاهرة فى أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوى على مائة ألف مجلد، منها ستة آلاف فى الطب والفلك لا غير، وكان من نظامها أن تعار بعض الكتب للطلبة المقيمين فى القاهرة، وكان فيها كرتان سماويتان: إحداهما من الفضة، يقال إن صانعها بطليموس نفسه، وإنه أنفق فيها

(٣) اقرأ كتاب «من معالم الإسلام للأستاذ محمد فريد وجدى ص٥٧ - ٥٩ مكتبة الأسرة.

ثلاثة آلاف دينار، والثانية من البرونز، ومكتبة الخلفاء فى إسبانيا بلغ ما فيها ستمائة ألف مجلد، وكان فهرسها أربعة وأربعين مجلدا، وقد حققوا أنه كان فى إسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية، وكان فى هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة.

«وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويجعلون دورهم معاهد دراسة لما تحتوى عليه، يقال إن سلطان بخارى دعا طبيبا أندلسيا ليزوره، فأجابه أن ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج إلى أربعمائة جمل لتحملها، وهو لا يستغنى عنها كلها، وكان حنين بن إسحق النسطورى فى بغداد ممن جعل فى داره مكتبة عامة يفد إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية، وكان يتبرع بمذاكراتهم فيما يريدون المذاكرة فيه»(٤).

***

ولم يقف أثر العرب والمسلمين فى الشعوب الأخرى وبخاصة شعوب أوروبا عند حد تعليمهم القراءة والكتابة، وإنشاء المكتبات العامة لإخراجهم من دياجير الجهل إلى نور العلم، بل امتد إلى ترقيتهم فى مجال العمران والمدنية، وبخاصة بعد أن تغلغلت مبادىء القرآن العظيم بين صدورهم، وتشبعت نفوسهم بآدابه وأخلاقه، فانساحوا فى الأقطار الأخرى شرقا وغربا، نماذج بشرية قوية نظيفة حققت من أسباب التقدم العمرانى ما اعتبرته هذه الشعوب فى عداد المعجزات، يقول الدكتور عبدالحليم محمود - رحمه الله ورضى عنه - فى كتابه «أوروبا والإسلام»:


د. عبدالحليم محمود

لقد أدهشت كل تلك العجائب عقول أوروبا، حتى فى أعنف أيام عدائهم.. وقد نقلوا كثيرا من العرب فى ميدان الزخرفة والمعمار، ولاشك أن دراسة أكثر عمقا لهذا الموضوع من شأنها أن تبرهن على أن أوروبا قد تأثرت بالفنون العربية أكثر مما تأثرت بالفنون الإغريقية واللاتينية، ويكتفى هنا - على سبيل التلميح - بالإشارة إلى المؤرخ «وولور» الذى يقول: إن مهندسى العرب، قد عملوا فى بناء كنيسة نوتردام بباريس».

«أما فى ميدان ترقية العلوم والنهوض بها، فإن أثر المسلمين لم يكن بأقل خصبا، ولا نرى من وسيلة لتوضيح هذا أفضل من نقل رأى الدكتور «جوستاف لوبون» فى ذلك، ونجده فى كتابه القيم «حضارة العرب» حيث يقول: «ويعزى إلى بيكون - على العموم - أنه أول من أقام التجربة والملاحظة اللتين هى أساس المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ..

(٤) الإسلام دين العلم والمدنية للإمام الشيخ محمد عبده من ١٤٨، ١٤٩ مكتبة الأسرة.

ولكنه يجب أن نعترف قبل كل شيء بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم».

ويقول العلامة الشهير «همبولد» - بعد أن يذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة هو أرفع درجة في العلوم: إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريبا.

وكانت دراسة العلوم الرياضية من الدراسات الزائعة لديهم، وقد تقدم علم الجبر بفضلهم حتى قيل إنهم مخترعوه.. ولقد كان لهم قصب السبق في تطبيق الجبر والهندسة، وهم الذين أدخلوا التماس في حساب المثلثات.

«وكان علم الفلك يدرس بحماس في مدارس بغداد، ودمشق، وسمرقند، والقاهرة، وفاس، وطليطلة، وقرطبة.. وغيرها، تلك المدارس التي وصلت إلى اكتشافات عديدة[٥].

***

الأندلس

كانت جزيرة الأندلس أهم المعابر التي عبر منها العرب والمسلمون إلى أوروبا، ولذا نعمت هذه البلاد أيام الحكم العربي الإسلامي بحضارة غير مسبوقة، مما جعلها تعيش أزهى عصورها تحت ظل هذا الحكم «لقد كانت المدن الأندلسية أعمر المدن في القارة الأوروبية من أقصاها إلى أقصاها، وكان في قرطبة وحدها دكان نسخ واحد، يستخدم مائة وسبعين جارية في نقل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة، وكان في قصر الخليفة أربعمائة ألف كتاب، وكان سادات أوروبا يفاخرون بما يقتنونه من منسوخاتها أو مصوغاتها المعدنية أو آنية الفخار التي لا يعرف لها نظير في بلد آخر..

«وإلى قرطبة وزميلاتها: غرناطة، وأشبيلية، وطليطلة، ومرسية، ومالقة كانت تتجه وفود العواهل الأوروبيين في طلب الأدوية، أو التحف أو أدوات الترف والزينة وفرق الموسيقى والغناء.. وأجمل بعض هذا المؤرخ الإنجليزي «استانلي لاين بول» فقال:

«إن حكم عبدالرحمن الثالث الذي قارب خمسين سنة، أدخل على أحوال أسبانيا تجديدا لا يلم الخيال - على أجمح ما يكون - بحقيقة فحواه..

«ولا نعرف شهادة لهذا العصر الذهبي أعظم ولا أصدق من ذلك الحنين الذي يذكره به غلاة الوطنيين الإسبان، وكبار كتابهم حين يلتفتون إلى ماضي بلادهم، ويتمنون له حاضرا كماضيها في أيام الدولة العربية. فلم تنجب إسبانيا في عصرها الحديث وطنيا غيورا ولا كاتبا مبرزا أشهر من «بلاسكو أبانيز» ولكنك لا تقرأ لعربي ولا شرقي كلاما في الإشادة الحماسية بمجد العرب الأندلسيين إلا في النادر القليل.

(٥) اقرأ كتاب «أوروبا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود ص١٥٩ - ١٦٢ط مطابع الأهرام التجارية ١٩٧٣

من مناهج التربية في القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور
محمد أحمد العزب

لا أزعم أنى فى هذه السطور سأستبدل قضية فى الفهم القرآنى بقضية أخرى، فإن التطوح وراء هذا الوهم الكبير مغامرة لا أستطيع أن أحمل وزرها، كل الذى أستطيع أن أزعمه إن هذه المحاولة بكل ماتنحنى عليه من إخلاص للنص القرآنى يمكن أن تطرح فهماً قد يكون جانحاً وقد يكون سديداً، ولكنه على أية حال.. نابع من منطلق إيمانى، وصائر فيما يخيل إلىّ إلى غائية إيمانية كذلك.. والقرآن بعد.. مناط لا ينتهى لاجتهادات العقول المدربة على كل المسارات!! لقد يجوز أن نتفق حول فهمنا «الإنسانى» للقرآن الكريم أو نختلف، ولكن الذى لا يجوز بحق هو أن نغلق فى وجه كل المحاولات كل النوافذ، أو أن نصادر فهماً فى القرآن لا يلهث على دروب مهدها السابقون، مهما كان انتماؤنا المجذر لهم، واعتزازنا بهم.. إن معنى ذلك لو حدث، أننا نلغى تواتر الزمن والعصور، إن معناه أن حركة الإسلام، صائرة إلى الجمود والبوار، إن معناه أن المعاصرة ارتداد.. والمخاطرة دوران، والتطور خرافة، وليس منطقاً محكوماً بالقوانين!!

لقد تعددت عشرات الأمثلة.. على أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى لم يحتكر الفهم لطائفة معينة وأن أساس تحركه «المجموع» لا «المفرد» وأن حرية الفكر.. والفهم.. والتوافق والتخالف والالتحام والانشقاق، كل أولئك كان بعض صيحاته الأولى التى ماتزال حتى اليوم عاملة فى مناطق الفكر جالبة «للإسلام» وليس «على الإسلام» أروع قضايا التأييد العادل والراشد والغائص فى حقائق الأشياء!! صحيح أن الإسلام

بما هو دين شمولي.. يضع شروطاً لأهلية الفهم والاستيعاب من جهة.. وأهلية المنح والعطاء الفكرى من جهة أخرى ولا يترك العطاء والمنح والاستيعاب، والفهم.. حديقة مفتوحة الأبواب لكل الجائلين، إن الشروط التى يضعها الإسلام «للاجتهاد» مثلاً هى من نوع مايمكن أن يسمى «بالحوافز البنائية» لأن بناء الفكر القادر على الفهم معادلة تحتاج إلى مساحات زمنية.. وثقافية وسلوكية.. وإيمانية.. بلا حدود.. إن الشروط هنا لا تشكل نوعاً من العبء الباهظ المقعد بقدر ماتشكل لوناً من ألوان التحدى لذاكرة المجموع البشرى يشحذ ولا يثبط، يعمق ولا يسطّح.. إن الشروط هنا تكاد تكون شروطاً تاريخية لازمة لتدفق تيار التاريخ فى الزمن والزمن فى التاريخ!!

القضية التى أطرحها من خلال هذه السطور يمكن أن تعايش قضايا أخرى ويمكن أن تستفيد من كل القضايا وأيضاً يمكن أن تعطى فائدة من لون ما لهذه القضايا جميعاً وهى كما قلت قضية «فهم» وليس قضية «اعتقاد» ولئن لم يجز لنا أن نختلف حول عقائديات وصلنا معها إلى درجة اليقين.. فقد يجوز لنا أن نختلف حول مفاهيم قابلة بالضرورة لمزيد من الحركة، ومزيد من الحوار!!

الترهيب والترغيب

القضية التى أطرحها الآن.. هى قضية الترهيب والترغيب فى القرآن الكريم، لأعنى الترهيب فى شكله العام، ولا أعنى الترغيب فى شكله العام كذلك، فإن ديناً من الأديان أو حتى إطاراً من الأطر الاجتماعية البحتة لا يمكن أن يسقط من حسابه قضية الترهيب والترغيب.. إلا إذا أسقط من حسابه أساساً رغبته المشروعة فى البقاء وحفاظه الأكيد على أن يظل فى مناطق التحقق والحلول.. إننى أعنى على وجه التحديد قضية الترهيب والترغيب فى مخاطبة الفطرة بالعقيدة. إن خطاب القرآن «للذين آمنوا» بترهيب مرة وترغيب مرة أخرى.. مبرراً «إنسانياً» على كل المستويات لأن التزام المؤمن بإيمانه يجب أن يظل دائماً فى مناطق الضوء، يجب أن يظل دائماً فى حراسة النمط التشريعى، ولكن خطاب القرآن الكريم «للناس» عامة بترهيب مرة، وترغيب مرة أخرى، هو الذى يثير هذا التساؤل وبالضرورة يستدعى هذه الإجابة التى نطرحها من خلال هذه السطور...

التساؤل الذى يثار هنا هو: لماذا لم يطرح القرآن الكريم قضاياه العقائدية والسلوكية «للذين لم يؤمنوا بعد» طرحاً موضوعياً محايداً دون رهبوت ما.. ودون رغبوت ماكذلك.. حتى تتحقق للناس

عناصر التجربة الأولى فى التلقى أو الطرح؟؟ فى القبول أو الرفض؟؟ إن قضية عقائدية تساق فى حراسة مدجّجة من الوعيد والوعد.. معناه أن إيمان المتلقى يكون خاضعاً بالضرورة لسيف ملوح.. أو جنة موعودة.. معناه كذلك أن قضية «الإيمان» إذا طرحت على هذا النحو، أو اعتنقت على هذا المستوى، تكون قضية بلا فهم، بما هى خاضعة فى أساسها لسيف الخوف، أو إغراء الخلود!! معناه أن «الحرية» هنا مقصودة، وأن «الطوع» هنا مفروض!!

إذن لماذا يطرح القرآن القضية هكذا فى آيات من سورة البقرة:

﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون (٢١) الذى جعل لكم
الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج
به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم
تعلمون (٢٢) وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله
إن كنتم صادقين (٢٣) فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين (٢٤)
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات
تجرى من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها
ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون ﴾

(البقرة: ٢١:٢٥)

لماذا تساق القضية على هذا النحو.. فى هذه الصيغة المتوعدة مرة، والمؤملة مرة أخرى أليس فى هذا قسراً للحرية؟ أليس فيه كسراً لإرادات القبول والرفض فى الإنسان؟؟!

باستقراء غير، شامل بالطبع، لما قاله المفسرون.. وعلماء الكلام وفلاسفة المسلمين فى هذا الصدد نستطيع أن نستخلص جوهر ماقالوه إجابة على هذا التساؤل يقولون: إن هذا الأسلوب «الترهيبى.. الترغيبى» معاً مما يزع النفس الأمارة بالسوء، ومما يغرس فيها وجدانها الحى الذى يرتعش أمام زواجر التهديد.. ويتفتح للوعد برحلة فى النعيم، ولأنه هكذا ملائم لطبائع الخلق ومخلوقية المخلوقين، فهو أروع أساليب التربية وأقمنها جميعاً بروعة الديمومة، والانتماء لمصادر الخلود!!

التربية فى القرآن الكريم

هكذا يقولون، وهو قول حقيقى إذا كان المراد من التساؤل أن نقف على نوعية التربية فى القرآن الكريم، ولكن ماهكذا كان التساؤل حول هذه القضية، إن الحوار المتفجر هنا ليس دائراً حول صوابية هذا المنهج «التربوى» فى القرآن انحساراً أو مداً فللقرآن دائماً صيغته الراشدة فى هذا الصدد، وإنما هو دائر أساساً حول موضوعية العرض القرآنى أو انحسار هذه الموضوعية من خلال

الترهيب والترغيب في المتلقي الذي ينبغي أن تصون له حرية القبول والرفض في لحظات بدء المخاطبة كما يجلجل بذلك القرآن الكريم نفسه، وكما تؤكده كل تفاسير الرائعين من أسلافنا الكبار :

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾

(الكهف: ٢٩)

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾

(الأنفال: ٤٢)

أى أن عرض القضايا في القرآن كان ينبغي أن يكون موضوعياً بحتاً، بلا تلويح بثواب، أو تعريض بعقاب !! أو هكذايقولون !!

فطرة الاستجابة

هنا لابد من معايشة حقيقية لمنطلق الفهم في القرآن الكريم فإن ذلك وحده هو القادر على أن يعطينا إجابة مغايرة تماماً.. أو قل هو القادر على أن يعطينا إجابة صميمية على هذا التساؤل وليس إجابة عن شيء لا يثور من حوله الحوار ـ فلو أن القرآن الكريم ـ وذلك من منطق جدلي مفترض. ساق تعاليمه كما يقال في «موضوعية» بحتة دون ترهيب وترغيب لأمكن وقتها أن يقال: إن النص متكئ هنا على مفردات الطاعة المركوزة «خلقياً» في طبائع البشر، بمعنى أنه خلق فيهم فطرة الاستجابة وجعلهم أسرى هذه الفطرة، فهو يخاطبهم في موضوعية بحتة وهو عالم تماماً أنهم لابد مستجيبون له.. لأنهم واقعون بالضرورة في منطقة «القبول» الفطرى المركوز فيهم حتى من قبل لحظة الميلاد !! إذن فالقرآن حين يهدد تارة، ويؤمل تارة أخرى فكأنه يفترض في الإنسان ابتداء حرية أن يقول «نعم» وحرية أن يقول «لا» وإلا لما تهدد الرافض وتودد المريد، إنه يعطى الإنسان شهادة حريته في نفس اللحظة التي قال الله له فيها «كن» فكان !! ثم يخاطب فيه هذه الحرية وهذه الإرادة، في محاولة حادبة بالفعل إلى ترشيد إرادته الحرة، وحرياته الإرادية إذا شئنا أن نقول.. وكم في القرآن العظيم من كنوز !!

إذن.. فقضية الترهيب والترغيب في هذا الضوء لا يمكن أن تكون خروجاً على «موضوعية» منشودة، بقدر ماهي تأصيل لمفهوم «الموضوعية» في أروع أنساقها جميعاً، ولا يمكن أن تكون كذلك افتياتاً على حرية المتلقّي الأنساق، بقدر ماهي ترسيخ لحقائق هذه الحرية، وحقائق وضعية الإنسان إزاء هذه الحرية بالذات !!

حرية الإنسان

إن قضية الترهيب والترغيب إلى جوار كونها أسلوباً في التربية، وصيغة في

ترشيد العلاقات الكونية، كما لاحظ بحق أسلافنا الكبار، تشكل في النهاية تأكيدات جذرية لحرية الإنسان على الأرض، وامتلاكه الواعي لمصائره وأقداره.. وبالتالي لأهليته المطلقة لقضية الحساب والثواب والعقاب.. إنك في حاجة إلى تهديد الإنسان القابض على حريته حتى تظفر منه بولاءمراد، وأنت في حاجة كذلك إلى ترضيته للظفر منه بكل الولاءات، إنك حين تهدد أو تسترضى إنما تخاطب فيه حريته، حريته القادرة في كل اللحظات أن ترفض دائماً.. أو تقبل بلا حدود!! ولكنك لست في حاجة إلى تهديد أو مناشدة الإنسان فيما هو مركوز فيه بالطبيعة، أنت لا تناشده حركة الفكر فإن الفكر مزروع فيه منذ البدء.. حتى وهو يرفض أن يفكر.. فإنه من خلال ذلك يفكر في أنه يرفض أن يفكر!! أنت لا تهدد أو تناشد الإنسان أن يأكل.. فإن الجوع حركة كيانية غير قابلة لصيغة من صيغ المساومات.. مهما كان محتواها فوقياً.. أو تحتياً!!

.. هل أفلحت في الإفصاح عما أريد أن أقوله؟ إن اللاغطين بقضايا العصر من «موضوعية» إلى «حيادية» إلى «حرية القبول والرفض» يجب أن نجرى معهم دائماً مزيداً من الحوار لا أن نغلق دونهم آذاننا حتى الصمم إن ارتباط الموضوعية بتعريتها تماماً من الزجر والإغراء يلغى فطرة الحرية في المتلقى، أو يوشك أن يكون.. أما أن أعرض القضية عرضاً موضوعياً، في بادئ الأمر، ثم أردف هذا العرض بترهيب معين أو ترغيب معين، فمعنى ذلك بلا حدود أننى افترض في المتلقى حرية بلا حدود كذلك، وهذا مافعلته الآيات الكريمة من سورة البقرة، في خطابها «للناس» لقد أهابت بكل الجموع أن تعبد ربها الواحد، بما هي مخلوقة له أولاً، ثم بما هي عائشة على أرضه وتحت سمائه وفي أحضان آلائه ثانياً..

ثم انتقلت الآيات الكريمة إلى لون من الجدل العقلي الرشيد.. متحدية كل ملكات الإبداع في المعارضين، حتى إذا أحسسنا مع الآيات بوجوم المعارضة وتعطيلها المطلق لكل إمكانيات الفعل وتخريبها الغنى لكل طاقات الإيجاب، كان تقبلنا الطبيعي لقعقعة النذير في هذا السياق:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

(البقرة: ٢٤)

الثقافة الوافدة

إن افتراض حرية المتلقى هنا موجود بلا جدال، ولكن القرآن الكريم يعلمنا أن الحرية ليس تعطيلاً مطلقاً.. وليست رفضاً بلا سبب، وإلا كان معنى ذلك أن

نعفى كل الوجود من كل الفكر ليستحيل بدءاً بلا هدف، وصيرورة بلا غاية وانتهاء إلى خواء عبثى على الإطلاق!!

إن التساؤل الذى طرح تساؤل جاد من غير شك، ولا ينبغى أن ندينه على أى مستوى من المستويات، فالفكر الإسلامى أرحب من أن ينغلق على نفسه، وأثرى من أن يشهر إفلاسهم أمام تساؤل معاصر مهما كان لون هذا التساؤل ومن أى مأتى جاء..

إن الثقافة الوافدة تحمل إلينا أعاصيرها بغير حد، ولن يفلح أسلوب الكبت، أو اللامبالاة فى معالجة عكابيلها فى وجدانات شبابنا الطالع مهما قيل من مبررات إن الحوار الفاهم المتصدى وحده هو الذى يمكن أن يصوب، أو يخطئ، يهدى أو يضل، يقف الإنسان المعاصر أمام قدره (مع) أو ضد كل الأشياء إن هذه المعيّة أو هذه الضديّة هى العاصم اليوم من طوفان اللامبالاة، إن المعية تضيف إلى الصف الملتزم مقاتلين، كما أن الضدية تبرز من بين الصفوف الملتزمة مقاتلين، فالفكر الدينى هو المنتصر فى كل من هذه الجولات!!

ولست أزعم كما قلت فى مطالع هذه السطور أن هذا الفهم لقضية من قضايا قرآننا العظيم يمكن أن يستبدل شيئاً بشىء بقدر ماهو محاولة لفتح جبهات الحوار مع الفكر العالمى المعاصر.. المسلح شئنا أو أبينا بفلسفات مقتحمة غائرة العمق مما يهيب بكل الطلائع على أرضنا المسلمة أن تنهض إلى دورها الريادى وأن تفتح صدورها جيداً للرصاص والحوار.. غير عابئة بشئ إلا بما يتضرّب داخلها من روافد العطاء.. ومايجيش فى أطوائها من توافق مع الكون، إنسانه، وأشيائه وقيمه الرائعة!!

ومخطئاً قد أكون!!

ولكنى فى نهاية الأمر، هادف إلى ترشيد وعيى العقائدى بلا مبالاة من سيف، وبلا انتظار لهدايا من مطر السماء فالسماء كما علمنا، أسلافنا لا تمطر ذهباً ولا تمطر فضة.

***

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾

القيمة التربوية للضمير في الإسلام

للأستاذ/ محمد مصطفى البسيوني

٢

الضمير مناط التربية

ومن تأملاتنا فى الأسلوب النبوى التربوى العظيم نرى أنه ﷺ كان يجعل ضمير المتلقى من أبرز الغايات فى العملية التربوية، انظر إلى طريقته الشارحة الواضحة عليه السلام وهو يمد «عبدالله بن عباس» رضى الله عنهما بمدده الأخلاقى الرفيع المرتبط بالضمير «يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (١) إلى آخر هذا الحديث المحكم السديد، ألا ترى أنه يهدف إلى تربية الضمير، إذ أن توجه العبد إلى ربه سائلاً له ومستعيناً به هو أمر مُضمَر لا يدركه إلا صاحبه فى علاقته بخالقه، وذلك من قبيل ما نعرفه عن الحديث القدسى الشريف حول الصوم «كل عمل ابنِ آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به» (٢) الأمر إذن أولاً وأخيراً يتعلق بالضمير فالله أعلم بالسرائر.

وكيف لا يحظى الضمير بالنصيب الأوفى من الاتجاهات التربوية؟ أليس الضمير غيباً مضمراً ومن هنا كان الاحتفال به هو من سمات الإيمان الذى حض عليه القرآن الكريم فى مستهل سورة البقرة أكثر سور القرآن آياً وثانيتها موقعاً فى المصحف الكريم بعد أم الكتاب حيث يصف الذكر الحكيم «المتقين» بأنهم

---

(١) رواه الترمذى

(٢) الإمام أحمد فى مسنده ج٣/٢٧٣.

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

(البقرة: ٣)

إلى آخر الآية .

عن الأهداف التربوية

ويقودنا طلبُ المزيد من الإيضاح إلى القول بأن المحدثين من علماء التربية قد حددوا أهداف أى درس فى أية مادة بثلاثة أهداف هى ما يعرف بالهدف المعرفى (أى ما ينبغى أن يعرفه الدارس من الدرس) ثم الهدف الوجدانى (أى ما يجب أن يستشعره الدارس من أحاسيس نحو هذا الدرس) وأخيراً الهدف المهارى (أى المهارات السلوكية التى يرى المعلم تنميتها لدى الدارسين)، وقد لوحظ أن كلاً من هذه الأهداف الثلاثة يمكن قياسه وتقويمه بسهولة ببعض (الإجراءات)[٣] حتى يتحقق المعلم من أن الدارس قد تحققت لديه هذه الأهداف من هذا الدرس إلا (الهدف الوجدانى) فإنه من العسير - إن لم يكن من المستحيل - الوقوف على مدى ما تحقق منه لدى الدارس لأن (الوجدان) أمر (باطن) لا يعلمه إلا الله وصاحب هذا الوجدان فى حالة استبطانه لنفسه ليرى إذا كان قد تأثر (وجدانيا) بهذا الدرس بالإيجاب أو السلب أم لم يتأثر مطلقا.

وعلى سبيل المثال: إذا كان موضوع الدراسة عن (الخير والشر) فى باب الأخلاق، فمن الميسور أن نُعرّف الدارس بماهية الخير وماهية الشر كما يقول الشراح فى الدين والفلسفة، كما أنه من الميسور أيضا أن يتقن الدارس بعض المهارات المرتبطة بهذا الموضوع مثل إلقاء كلمة مفوّهة أو كتابة مقالة منمقة عن ذلك، وبهذا نكون قد وقفنا على التحقق من الهدفين (المعرفى والمهارى)، ولكننا مهما بذلنا من جهد، واصطنعنا من الفراسة فلن نقف على حقيقة «مشاعر» الدارس نحو الخير والشر وهو (الهدف الوجدانى) ونظل نتساءل هل (الدارس) أصبح (يميل إلى) الخير مثلا و (يميل عن) الشر؟؟

ذلك أن الوجدان هو عبارة عن مشاعر باطنية خفية موغلة فى الخفاء؛ بل إن الخطورة فى هذا تكمن فى أن (يتظاهر) الدارس بأنه (أحب) الخير و(كره) الشر لكى يرضينا كآباء ومربين، وهذه هى أولى خطوات الكذب وبداية حلقات النفاق.

وهنا مكن الخطورة إذا لم تكن العملية التربوية مصحوبة دائما بالمتابعة الواعية المستنيرة من أصحاب (الضمائر) من المربين حتى لا يصبح (المتلقى) شخصية متداعية تكاد تعصف بها الرياح مما يصدق عليه التعبير النبوى الدقيق «ذو الوجهين» وذلك فى قوله ﷺ من حديث رواه أبو هريرة رضى

(٣) تسمى هذه الأهداف الإجرائية executive

الله عنه «تجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه» (٤) وبهذا يصبح «معظم النار من مستصغر الشرر» فينشأ سوء الخلق عن سوء التربية.

وقد يؤدى هذا الاهتزاز فى الشخصية إلى خصال النفاق كما ذكرنا فيكذب الشخص فى حديثه، ويُخلف فى وعوده، ويخون أمانات الناس التى أمر الله - عز وجل - بأدائها إلى أهلها:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨)

وهذا لعمرك أقبح من الكفر، لأن الكافر - على خُلقه الشيطانى اللعين - صريح فى كفره، واضح فى عناده، أما المنافق فإنه يجبن عن التصريح، بل عن التلميح، فهو مخادع لئيم، ومراء أثيم، ومن هنا استحق - بعدل الحق - أن يهوى فى قاع الجحيم:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء: ١٤٥)

الضمير والوجدان

وهكذا نرى أن تربية الضمير ترتبط أشد الارتباط بوجدان الإنسان. فإذا أفلح الوالدان والمعلمون ومؤسسات التربية والتثقيف فى تربية الضمير تربية جادة وحقيقية وليست مظهرية روتينية كان النجاح حليف المربين، وكان الفلاح حليف الأبناء والدارسين، وذلك من خلال المتابعة الكيّسة الفطنة لسلوك الناشئين، وأهم من هذا وذاك إعطاء الناشئة الصاعدة صوراً مشرقة ومشرّفة وصادقة للقدوة المحببة، والأسوة الحسنة التى كان يتحلى بها إمامنا وسيدنا ﷺ.

ومن هنا فإننا لا نملك - عن إيمان ويقين - إلا أن نشهد لهذا النبى الصادق الأمين ﷺ بالعبقرية التى لاتعدلها عبقرية، وبالإخلاص الدءوب الذى لا يدانيه إخلاصٌ دءوب، وذلك عندما نعكف على تأمل سنته ﷺ فى تربية البشر، وهى لعمرك تربية لا يجيدها - على وجهها - إلا المتفوقون - علماً وسلوكاً - من هؤلاء البشر ممن سماهم المولى عز وجل «أولى العزم من الرسل» وكان - ولم يزل وسيظل - على رأسهم وفى موقع الإمامة والريادة منهم سيدنا الكريم ونبينا العظيم محمد ﷺ وهو الشخصية الكاملة والمتكاملة، والذى وصف نفسه بوحى من خالقه عز وجل «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر» ﷺ.(٥)

وننطلق من هذا إلى أن تربية الضمير - هذه الحكمة الباطنية والمرتبطة بالمشاعر والأحاسيس - هى أم التربية (٦)، ولا سيما إذا حرصنا فى تربية أبنائنا على إبراز العلاقة الوثيقة أشد الوثوق بين الضمير وبين

---

(٤) متفق عليه (رياض الصالحين لأبى زكريا النووى)

(٥) من حديث عن أنس (الشفا للقاضى عياض)

(٦) الضياء عن أنس (الجامع الصغير) للسيوطى.

تكليفات الدين - أوامره ونواهيه - فى كل صغيرة وكبيرة من مواقف الحياة، على أن نكون - نحن المربين - فى موقف الحساسية والدقة دائما فى التعامل سلوكيا مع أبنائنا وبناتنا فلا نقول لهم مالا نفعل، ولا نفعل أمامهم مانقول وذلك تمسكاً بالآية القرآنية الكريمة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

(الصف: ٢، ٣)

ومن أهمية تربية الضمير ومميزاتها أن الناشئ يربَّى على ألا يقوم بعمل ما إلا إذا عرضه على ذلك (القاضى المضمر) فى باطنه فلا يعمل إلا مايعتقد - حقاً - أنه الحق والخير والصواب وحتى لايرتكب فعلاً يضطر أخيرا إلى الاعتذار منه، لأنه يكون قد وعى (بضميره) معنى الحديث الشريف الذى يقول «إياك وكل أمر يعتذر منه» (٧)

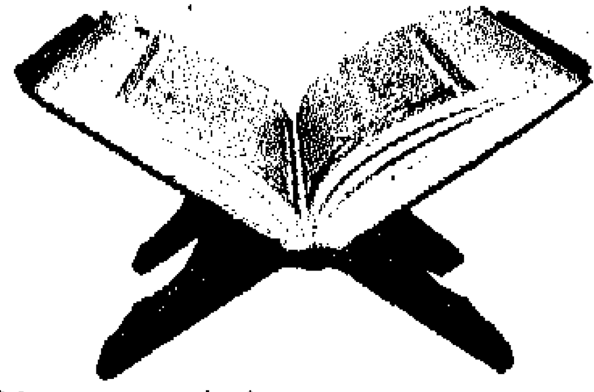
الضمير لا يموت

وإنه لمن مميزات تربية الضمير أن أحكامه أشد فاعلية من أحكام الشرائع الوضعية المتمثلة فى القوانين والعادات والتقاليد والعرف وغيرها. فهذه الشرائع يمكن الخروج عليها والتحايل إزاءها بحيل يرسمها الشيطان لصاحبها ليتنصل من المسئولية ومايترتب عليها من الجزاء تنصل «الشعرة من العجين» كما يقول المثل الدارج الذكى الدقيق، بينما أحكام الضمير تظل هواجس مسلطة على عنق صاحبها إن كان مذنبا كما تظل طمأنينة مريحة فى جنبات كيانه إن كان بريئاً.

ويعنينا هنا أيضا أن نرد على من يقول: (إن فلاناً قد مات ضميره) لأنه لا يوجد ضمير ميت، وضمير حى ولكن هناك ضميراً واحداً خلقه الله فى باطن الإنسان إما أن يكون له «وخز الإبر» وإما أن يكون له «أشهى الثمر» أما إذا أطلق المرء حباله مع حبائل الشيطان فعندئذ يقال إن ضميره قد أعياه الجهد مع صاحبه الضال وينتظر له التوفيق إلى أن يستفيق.

وبعد: فإن إهمال تربية الضمير التربية الهادفة المنشودة هو إصابة الفرد والجماعة فى مقتل، بل استهداف الكيان البشرى فى الصميم، وتفريغ للشخصية الإنسانية من أهم مقومات الاتزان والتوازن فيها، وهى مسئولية كل من ألقى الله على كاهله و(ضميره) دوراً تربوياً يضطلع به فى الأسرة، وفى دار التعليم وفى وسائل الذيوع والتثقيف، وهى لعمرك مسئولية يحاسب عليها أصحابها فى الدنيا والآخرة حساب من أغفل خلافة الإنسان فى الأرض، وياله من حساب.

(٧) أم هنا بمعنى أصل Origin وليس Mother



من نبع القرآن

في شعب الحجون

للدكتور أبي حسام

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا
حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ
﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ
فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢]

قوافل تطفو نحو الحجون ... عجبت لهم فجأة يظهرون
قوافل سود تغطي الثرى ... فتحسبه قد كسته الدجون
كأن هضابا جفت أرضها ... وخفت كما ينهض السائرون

وللـيل من فـــوقـــهـــا طيلســـــان ... يمد فـــيـــحــجب ضــوء العـــيــون
كـــســاها جــلالا وأوحى وقـــارا ... كـــأن مــــلائكـة يـخـطرون.. !
وقـــــد سكـن الحـى، لا نـأمـــــة ... كـــأن الورى فى الثـــرى هامـــدون
جـــحــافل تزحف دون ضـــجـــيج ... وعـــهـــدى بأبطالهـــا يـصــخــبـــون
تواصـــوا بســـر فـــهم يصـــمـــتـــون ... وخـــفـــوا لمجـــد فـــهـم يأملون
وطاروا خـــفـــافـا فـــمن مـــخــبـرى ... إلى أى مـــعـــركـــة يذهبـــون
يغطون أوجـــهـــهم يســـتـــرون ... لظى قـــد تضــرم بين الجــفـــون
ولو يـكشـــفــون لطار اللهــــيب ... فـــأذكى الحـــريق وهاج الشـــجـــون
طوائف جن توالت تبـــاعـــاً ... علـى نسق سنه العـــاقلون
يســـيــرون هونا فــان تمتـــمــوا ... فـــهم بتـــسابيـــحـــهم يهـــمـــسون
وعـــهــدى بهم صـرصـرا عـــاتيـــا ... وزلـزال كـــون يدك الحـــصـــون
فكيف مـــضـــوا نسـقـــا واحـــدا ... كـــقـــوم بمســـجـــدهم يركـــعـــون
يـؤمـــــون نـورا وضـىء السـنا ... فـــهم بأشـــعـــتـــه يهـــتـــدون.. !
يـقـــــودهم بـاسـل فـــارع ... أصـم الملامح صلب القـــرون
تزعـــمـــهم ورعـــوا حـــقـــه ... فـــهم رهن طيـــتـــه يقـــتـــفون
يحلـــق آنـــا فيعلــــو الــذرا ... كنسـر يطيـر لأعلى الوكـــون
وهم خلفــــه ســـحب ترتمى ... بـأفـق تـضـل لـديـه الـظـنـون
ويهـــوى فـــيـــهـــوون فى خـــفـــة ... غـــزار الحـــشـــود كـغـيـث هتون
رأى هضــبــة فـــاعـــتلى أوجـــهــا ... خطيـــبـــا تهش له المنصـــتـــون
ورق الهـــــواء بليل الحــــجــــون ... فطاب الخـــشـــوع ولذ السكون
ومـــا يبـعـث القـــول مـــثـل الظلام ... ســـجـــا فـــاســـتـــهل به الملهـــمـــون
وصـــــاح: رفــــاقى أعـــــود بكم ... إلى الأمس إن كنتـــمـــو تذكـــرون
صـــعـــدتم قــديما لأعلى الســمـــاء ... وكنتم بأجــــوازها تمرحــــون

قـعـدتم مـقـاعـد للسـمع من ... مـلائكة فى العـلا ينطقـون
فـتـسـترقـون الحـديث الخـفى ... وتمضـون فى أرضكم ترجـفـون
تعـيـشـون شـرا بأرجـائهـا ... كـذاك بسكانهـا تعـبـثـون
وقلتم علمنا غـيـوب السـمـاء ... وأنـتم لشـأن الورى تجـهلون
خـدعـتم سـواكم ولم تنتـهـوا ... فـصـرتم لأنفسكم تخـدعـون
تماديتـمـو فـهـوت فـوقكم ... نيـازك أنتم بهـا تصطلون
فـان رمـتـمـو سـرقات الغيـوب ... غـدوتم بنيـرانهـا ترجـمـون
سـألتم عن السـر قـيل نبى ... سـيـأتى، به يدحـر الظالمون
سـمـعـتم رفـاقى فـعـودوا معى ... إلى الأمس أن كنتـمـو تذكـرون
بسطتم على الأرض طغـيـانكم ... فـصـرتم قـيـاصـرة تحكمـون
مناطق تحـمـونهـا، من يلج ... قـريبـا، أنتم به تبطشـون
رجـال من الإنس عـاذوا بكم ... فكنتم بمن عـاذ تستـهـزئون
ولن تعـجـزو الله فى أرضه ... وفى وهمكم أنكم تعـجـزون..!
أتاكم نبى يجب الفـسـاد ... ويحـمى العـباد، فهل تهـتدون..؟
بنى الجن إنا سـمـعنا الهدى ... بيـانا به يشـتـفى السـامـعون
مـشـان من الذكـروضـاءة ... تهـدى بمصـبـاحـهـا المدلجون
حـدائق زهر تهـيـج الرؤى ... فلـله مـا يلمح الناظرون
تـظـل الـورى بـربـى أيـنـعـت ... ثمـارا ورفت عليـهـا الغـصـون
تسـاقط منهـا شـهى الجنى ... فلـله مـا يقطف الآكلون
وانتم بنى عـبـقـر تقـرضـون ... شـهى القـصـيـد فـتسـتـعـذبون
إذا نظم الشـعـراء البـيـان ... فـعن وحى عـبـقـركم يصـدرون
هلمـوا اسـمـعـوا الوحى من مـعـجـز ... يرج القلوب ويبكى العـيـون
تعـالى فـحلق عن شـعـركم ... إلى حـيث ينبـهـر المفـصـحـون..!

تجيبوننى ! مرحبا مرحبا ... ويا خيبة العقل إذ ترفضون
تباعد أبليس مستكبرا ... فأصبح يلعنه اللاعنون
أتى الذنب أول من قد أتاه ... فسرتم على نهجه تذنبون
وأنتم بنوه فهل تذعنون ... لداعى السموات أو ترفضون
كفاكم من الأمس أوضاره ... فقد جاء يوم به تطهرون
رويد الأباطيل فى أمة ... يزلزل أطوادها المفسدون
فإنس على ظهرها يعتدون ... وجن بأعماقها يجرمون
كلا الثقلين استحلوا الشرور ... فهم فى دياجيرهم يعمهون
تخالون كسب الخنا لذة ... ورشفة كأس بها تسكرون
محمد المصطفى عنده ... سعادتكم، وهى ما تنشدون
توجهت صوب السنا مسلما ... لربى فهل أنتمو مسلمون..؟
ورق الهواء بليل الحجون ... فطاب الخشوع ولذ السكون
وحلق طير وضىء الجناح ... شفيف الرداء رخيم اللحون
تنزل من فرجات السحاب ... فقلنا ملائكة يهبطون
غلائل نور ترف قريبا ... فتسبى، ولا يلمس اللامسون
وأوجه حسن إذا لألأت ... فكل متاع سواها يهون
لها أرج قد سألنا الربى ... بجد، فلم تدر ماذا يكون
وهب النسيم فكان عبيرا ... من الخلد ينشقه الناشقون
دلائل إيمانهم إذ غدوا ... بإسلامهم هتفا يجأرون
فحنت ضلوع بما أوقدت ... وسالت دموع وهاجت شجون
وأذن فى الفجر غريده ... فخروا إلى ربهم يسجدون
وأعلن قائدهم سيره ... فخفوا إلى قومهم ينذرون
نسيت ولم أنس ما قد حييت ... جلال الظلام وسحر الحجون

دلائل ربوبية الرسالة المحمـ

مقدمة:

يجب على كل مسلم أن يتعرف على فضل الرسالة المحمدية على البشرية ومعجزاتها ودلائلها الإلهية على ربوبيتها وصدقها، وكذلك تفضيل الله - سبحانه وتعالى - لنبيه محمد ﷺ على سائر الخلق أجمعين، فما من شك أن المسلم يؤمن بأن النبى محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الهاشمى القرشى العربى المنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه السلام - هو عبدالله ورسوله أرسله إلى كافة الناس أحمرهم وأبيضهم، وختم بنبوته النبوات وبرسالته الرسالات، فلا نبى بعده ولا رسول، أيده بالمعجزات وفضله على سائر الأنبياء كما فضل أمته على سائر الأمم، فرض محبته وأوجب طاعته وألزم متابعته، وخصه بخصائص لم تكن سواء منها: الوسيلة والكوثر والحوض والمقام المحمود..

منزلة النبى ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى

فضل الله - سبحانه وتعالى- نبيه محمد ﷺ على البشر ومن دلائل ذلك :

١- شهادته - سبحانه وتعالى - وملائكته له ﷺ بالوحى فى قوله تعالى :

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

[النساء : ١٦٦]

٢- إخباره - سبحانه وتعالى - عن عموم رسالته وختم نبوته ووجوب طاعته ومحبته وكونه خاتم النبيين فى قوله جلت قدرته :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾

[النساء : ١٧٠]

ـدية ودعوتها للحق والخير

لواء دكتور/محمود خليل

وفى قوله ـ سبحانه وتعالى ـ

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾

[الفتح : ٢٩]

وقوله سبحانه وتعالى ـ ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾

[التوبة : ٢٤]

وأخيراً قوله لا إله إلا هو :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

[آل عمران :٣١]

٣ـ إخباره ﷺ عن نبوته وختم النبوات بها وعن وجوب طاعته وعموم رسالته فى قوله ﷺ : «أنا النبى لا كذب أنا ابن عبدالمطلب» [البخارى وأحمد وابن حبان]

وكذلك قوله ﷺ : «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة واحدة، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» [متفق عليه].

وأخيراً قوله ـ ﷺ ـ: «كلكم يدخل الجنة إلا من أبى قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال : «من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى» ـ [رواه البخارى].

٤ ـ شهادة التوارة والإنجيل ببعثته ﷺ وبرسالته ونبوته وتبشير كل من موسى وعيسى به ﷺ فقد قال ـ سبحانه وتعالى ـ فيما حكاه عن عيسى ـ عليه السلام ـ فى القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾

[الصف : ٦]

وقد جاء فى التوراة: «سوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأجعل كلامى فى فيه ويكلمهم بكل شئ وأمره به ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا أكون المنتقم من ذلك»، فهذه البشارة الثابتة فى التوراة تشهد بنبوة نبينا ﷺ ورسالته ووجوب اتباعه ولزوم طاعته، وهى حجة على اليهود، وإن تأولوها وجحدوها فقوله تعالى: سوف أقيم لهم نبياً، يشهد بلا شك لنبوته ورسالته، إذ المخاطب هنا هو موسى عليه السلام وهو نبى ورسول، ومتى كان مثله فهو نبى ورسول وقوله: من بين أخواتهم صريح فى أنه محمد ﷺ وقوله: أجعل كلامى فى فيه، لا ينطبق إلا على نبينا محمد ﷺ لأنه هو الذى يقرأ كلام الله ويحفظه وهو القرآن الكريم وقوله: يكلمهم بكل شئ شاهد على ذلك، إذ أن النبى ﷺ تكلم بغيب لم يتكلم به نبى سواه، إذ أخبر ببعض ما كان ويكون إلى يوم القيامة.

كما كان فى الإنجيل الإشارات التالية :ـ

أـ فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز ـ أى يوعظ وينادى مبشراً بنبوة نبى ـ فى برية اليهود قائلاً : «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات» فقوله: قد اقترب ملكوت السماوات إشارة إلى محمد ﷺ كما هو بشارة بقرب بعثته إذ هو الذى ملك وحكم بقانون السماء.

ب ـ قد لهم مثلاً أخر قائلاً «يشبه ملكوت السماوات والأرض حبة خردل أخذها إنسان وزرعها فى حقله، وهى أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهى أكبر البقول» فهذه العبارة فى الإنجيل هى عبد ما ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن الكريم إذ قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾

[الفتح : ٢٩]

المراد من ذلك محمد ﷺ وأصحابه.

جـ ـ «انطلق لأنى إن لم أنطلق لم يأتكم «البارقليط» ـ ترجمتها من اليونانية إلى العربية: بالذى له حمد كثير وهو يوافق معنى محمد أو أحمد فإما إن انطلقت أرسلته إليكم فإذا جاء ذاك يوبخ العالم على خطيئته» ـ أليست هذه الجملة من

الإنجيل صريحة فى التبشير بمحمد ﷺ فمن هو «البارقليط» إن لم يكن محمداً؟ ومن هو الذى وبخ العالم على خطيئته سواه؟! إذ هو الذى بُعث والعالم يسبح فى بحور الفساد والشرور، والوثنية ضاربة أطنابها حتى فى أهل الكتاب؟ ومن هو الذى جاء بعد رفع عيسى يدعو إلى الله رب السماوات والأرض غير محمد ﷺ.

إعمال العقل يثبت ربوبية الرسالة المحمدية ودعوتها للخير

إذا تركنا الأدلة النقلية والإلهية الدالة على ربوبية الرسالة المحمدية، فإنه إذا ما أعمل الإنسان عقله ولو وهلة لوجد أن هناك دلائل كثيرة على ربوبية الرسالة المحمدية ودعوتها للحق وللخير ومن هذه الدلائل ما يلى: ـ

١ــ ما المانع من أن يرسل الله محمداً نبياً ورسولاً، وقد أرسل من قبله مئات المرسلين ونبأ آلاف الأنبياء؟! وإذا كان لا مانع من ذلك عقلاً وشرعاً فبأى وجه تنكر رسالته وتكفر نبوته ﷺ إلى عموم الناس؟!.

٢ـ الظروف التى اكتنفت بعثته صلى الله عليه وسلم كانت تتطلب رسالة سماوية ورسولاً يجدد للبشرية عهد معرفتها بخالقها ـ عز وجل.

٣ــ انتشار الإسلام بسرعة فى أنحاء العالم، وأقطار شتى فى أنحاء العالم المعمورة وقبول الناس له وإيثاره على غيره من الأديان دليل على صدق نبوته ﷺ.

٤ـ صحة المبادئ التى جاء بها ﷺ وصدقها وصلاحيتها، وظهور نتائجها طيبة مباركة تشهد أنها من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأن صاحبها رسول الله ونبيه.

٥ـ ما ظهر على يديه ﷺ من المعجزات والخوارق التى يحيل العقل صدورها على يد غير نبى ورسول..

من معجزات الرسالة المحمدية

وهذا طرف من معجزات رسول الله ﷺ كما هى ثابتة فى الحديث الصحيح الأشبه المتواتر الذى لا يكذبه إلا ضعيف العقل أو فاقده، وقد أعطى الله هذه المعجزات لنبيه لتثبت ربوبية رسالته وتوقف الكفار عند حدهم ومن هذه المعجزات :ــ

● انشقاق القمر له ـ ﷺ ـ فقد طلب الوليد بن المغيره وغيره من كفار قريش آية ـ معجزة منه عليه السلام وتدل على

صدقه فى دعوى النبوة والرسالة فانشق له القمر فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال لهم النبى ﷺ اشهدوا، قال بعضهم: رأيت القمر بين فرجتي الجبل ـ جبل أبى قبيس ـ وقد سألت قريش أهل بلاد أخرى، هل شاهدوا انشقاق القمر؟ فأخبروا به كما رأوا، ونزل قول الله ـ تعالى :

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[القمر : ١ ـ ٣]

● أصيبت عين قتادة يوم أحد حتى وقعت على وجنته فردها الرسول ﷺ فكانت أحسن منها من قبل.

● رمدت عينا على بن أبى طالب يوم خيبر فتفث فيهما رسول الله ـ ﷺ ـ فبرئتا كأن لم يكن بهما شئ أبداً.

● انكسرت ساق ابن الحكم يوم «بدر» فتفث عليها ﷺ فبرئ لوقته ولم يحصل له ألم قط.

● نطق الشجر له ـ ﷺ فقد دنا منه أعرابى، فقال له يا أعرابى أين تريد؟ قال: إلى أهلى، قال: هل لك إلى خير؟ فقال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فقال الأعرابى من يشهد لك على ما تقوله؟ فقال ﷺ هذه الشجرة ويشير إلى شجرة بشاطئ الوادى فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدت ثلاثاً فشهدت كما قال عليه الصلاة والسلام.

● حنين جذع النخلة له ﷺ وبكاؤه بصوت سمعه من فى مسجده قاطبة وذلك لما فارقه ﷺ بعدما كان يخطب عليه كمنبر، ولما صنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حنيناً وشوقاً إليه ﷺ فقد سمع صوت كصوت العشار ولم يسكت حتى جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام ووضع يده الشريفة عليه فسكت.

● دعاؤه ﷺ على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق.

● دعاؤه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه فى الدين، فكان عبدالله بن عباس حبر هذه الأمة.

● تكثير الطعام بدعائه ﷺ فقد أكل من مدى شعير فقط أكثر من ثمانين رجلاً.

● تكثر الماء بدعائه ﷺ فقد عطش

الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة ماء يتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا إلا ما فى ركوتك فوضع ﷺ يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشرب القوم وتوضأوا وكانوا ألفاً وخمسمائة نفر.

● المعجزة الكبرى وهى الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى وعاد إلى فراشه لم يبرد.

الخاتمة

إن المعجزات والفضائل والصفات التى وهبها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ﷺ لإثبات ربوبية الرسالة ودعوتها للخير والهدى والحق ولتثبيت قلب المؤمن والقرآن الكريم خير معجزة لهذه الرسالة فهو الكتاب الذى فيه نبأ من قبلنا وخبر من بعدنا وحكم فيما بيننا، وفيه الهدى والنور، فهو معجزتها العظمى ونورها الهادى للخير والحق والخير فالقرآن الكريم أعظم ما أوتى نبينا ﷺ ومن أكبر البينات الخالدة والباقية على مر الأيام وكر العصور ليظل به الدليل قائماً على صدق نبوته ﷺ وربوبية رسالته ودعوتها للخير والهدى والحق والحجة الثابتة للخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...

***

هل أنصف المستشرقون والمـ

> إن المسلمين أتاحوا لنا نحن الغربيين أن نصل إلى النهضة العلمية الحديثة ولهذا يجدر بنا ألا نكف عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذى سقطت فيه غرناطة.

٢- دافيد كينج

عمل دافيد كينج David King مديراً لمعهد تاريخ العلوم التابع لجامعة يوهان فولفجانج، جوته فرانكفورت. وقد قام منذ سنوات بفهرسة مقتنيات دار الكتب المصرية من المخطوطات العربية والفارسية والتركية المتعلقة بعلوم الفلك والرياضيات والميكانيكا والبصريات، ونشر أبحاثه فى ثلاثة مجلدات ضخمة. كما طاف باحثا عن المزيد من المخطوطات فى مكتبات العواصم الإسلامية، وأولى اهتماماً خاصا بما أسماه «جغرافيا الإسلام المقدسة» والطرق الفلكية والرياضية لتحديد اتجاهات القبلة.

القبلة فى حياة المسلمين

يوضح «دافيد كينج» أهمية القبلة فى حياة المسلمين، حيث إنهم يولون وجوههم شطر الكعبة المشرفة فى صلواتهم، كما أن مساجدهم موجهة نحوها، ويشير المحراب فى الجامع إلى القبلة، أى إلى الاتجاه المحلىِّ لمكة المكرمة. كذلك يدفن المسلمون موتاهم تبعا لاتجاه القبلة، ويتوجهون نحوها عند تلاوة القرآن والدعاء والذبح الشعائرى للحيوانات بهدف الأكل. وقد حرص علماء المسلمين على تطوير علوم الفلك والجغرافيا والرياضيات، بالإضافة إلى تطوير أجهزة القياس والرصد، لتحديد الاتجاهات والمواقيت المقدسة بأعلى دقة ممكنة. وتوضح النصوص التراثية أن الكعبة نفسها موجَّهة

...مؤرخون حضارة الإسلام؟

(٢)

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

فلكيا، فيتجه المحور الكبير نحو بزوغ النجم «سهيل» الأكثر إشراقا فى نصف الكرة الجنوبى، ويتجه المحور الصغير نحو شروق الشمس فى الانقلاب الصيفى، وهذان الاتجاهان متعامدان تقريبا فى خط عرض مكة المكرمة. وتؤكد الخرائط الحديثة للكعبة وللجبال المحيطة بها، والمبنيّة على التصوير الجوى، تلك المعلومات الأساسية الموجودة فى المخطوطات الإسلامية. وتذكر هذه المصادر أن القبلة بالنسبة لشمال غربى أفريقيا تكون فى اتجاه شروق الشمس فى الاعتدالين (شرق حقيقى)، والقبلة بالنسبة لليمن فى الاتجاه الذى تهبّ منه ريح الشمال أو فى اتجاه النجم القطبى (الذى لا يبزغ ولا يأفل، لكن موقعه يحدد الشمال). والقبلة بالنسبة لسورية فى اتجاه بزوغ النجم سهيل، وبالنسبة للعراق فى اتجاه غروب الشمس فى الانقلاب الشتوى، وبالنسبة للهند فى اتجاه غروب الشمس فى الاعتدالين (غرب حقيقى). إلا أن الوضع لم يكن أبداً بمثل هذه الدرجة من البساطة، واقترح بعض الفقهاء حلولاً تعتبر أن الوضع الأمثل للمؤمن هو الوضع الذى يسمح بالتقاء خط الرؤية مع الكعبة، على افتراض أن رؤيتها ممكنة بالفعل.

وأغلب الملخصات الفلكية الإسلامية المزودة بأزياج (جداول) تتضمن فصلاً عن تحديد القبلة بوسائل رياضية. كذلك صنفت مؤلفات مستقلة خاصة بمسألة القبلة فقط، وأعدت عمليات دقيقة معقدة بواسطة الهندسة المستوية أو الهندسة الفراغية، أو بواسطة حساب المثلثات الكروى. وقد صنّف ابن الهيثم مؤلفين لحل مسألة القبلة. ورصد الفلكيون منذ بداية القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى)، وفى آن واحد، الخسوف فى بغداد ومكة من أجل قياس فرق خط الطول بين هاتين المدينتين، وذلك لهدف واضح هو تحديد القبلة فى بغداد. كذلك خصّص البيرونى مؤلفا كاملاً لتحديد القبلة فى مدينة غزنة (كابول حاليا فى أفغانستان)، حيث استخدم طرقا عديدة متنوعة لقياس فرق خط الطول بين مكة وغزنة، وأخذ المعدل الوسطى للنتائج، ثم أجرى بعد ذلك حساب اتجاه القبلة بواسطة عمليات مختلفة دقيقة.

عُلب البوصلة

ويعتبر مؤلف البيرونى عملاً نموذجياً فى الجغرافيا الرياضية وفى المنهج العلمى. ولمزيد من التبسيط لجأ الفلكيون المسلمون إلى حساب جداول تحدد اتجاه القبلة تبعاً لخطى العرض والطول الأرضيين، وهناك نحو ثمانية جداول مختلفة معروفة من خلال المصادر المخطوطة التى توصل إليها «دافيد كينج». وابتداء من القرن الرابع عشر الميلادى انتشرت عُلب البوصلة التى كانت تحمل لوائح بالأماكن مع اتجاهات القبلة الخاصة بها، أو تصويراً خرائطيا بسيطا للعالم حول مكة. وقد لقى هذا النوع من الاختراعات مجدداً اهتماماً لافتاً للنظر فى السنوات الأخيرة.

من ناحية أخرى، اهتم «دافيد كينج» بتوضيح تفاصيل علم المواقيت وصناعة المزاول لقياس الوقت وتحديد أوقات الصلاة، وأسهم الفلكيون المسلمون بشكل جوهرى فى هذا العلم من الناحيتين النظرية والتطبيقية معاً. ويحمل أغلب المزاول الإسلامية خطوطاً للساعات ولصلاتى الظهر والعصر. وبما أن بدء هاتين الصلاتين يتحدد بواسطة أطوال الظل، لذلك كان تعيين أوقات الصلاة بواسطة المزولة ملائماً تماماً.

مزولة ابن الشاطر

وذكر «دافيد كينج» أن الفلكى ابن الشاطر، وهو رئيس الموقتين فى جامع بنى أمية فى دمشق فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى، صنع فى العام ١٣٧١ / ١٣٧٢م مزولة أفقية رائعة قوامها متران على متر تقريبا، وقد نصبت فى باحة المسجد فى الجهة الجنوبية من المئذنة الرئيسية للجامع، ولا تزال أجزاؤها معروضة فى حديقة المتحف الوطنى فى دمشق. وقد صنع الموقِّت الطنطاوى فى عام ١٨٧٦م نسخة مطابقة للأصلية مازالت مستقرة أيضا فى مكانها على المئذنة، ويمكن استخدامها لقياس المنقضى بعد شروق الشمس فى فترة الصباح والوقت المتبقى للانقضاء قبل غروبها فى فترة ما بعد الظهر، وكذلك الوقت قبل الظهر وبعده. كما تستخدم المنحنيات المرتبطة بهبوط الليل وقيام النهار لقياس الوقت بالنسبة لصلاتى العشاء والفجر. إن مزولة ابن الشاطر تعد تحفة فى الإبداع والاختراع، ومثالاً يدل على براعة تقنية غير عادية. وقد وصفت هذه المزولة للمرة الأولى فى المصنفات العلمية عام ١٩٨٢م.

أفكار خاطئة

على أن «دافيد كينج» بالرغم من جهوده الفائقة فى إحياء كنوز التراث العلمى والتقنى للحضارة الإسلامية -لم يسلم هو الآخر من الوقوع فى الخطأ. ففى مقال كتبه لمجلة العلم والمجتمع بعنوان «العلم فى خدمة الدين- حالة الإسلام» نجده، فى غمرة انشغاله بالقضايا المتعلقة بمسائل تحديد اتجاه القبلة واستطلاع أهلة الشهور القمرية، يثير أسئلة غريبة لا تؤهله ثقافته للردّ عليها، فهو مثلا يتساءل عن سبب اعتماد المسلمين لخمس صلوات رئيسية فقط، زاعمًا أن هذا التحديد لم يرد بشأنه نص صريح

فى آيات القرآن الكريم، أو فى أحاديث الرسول ﷺ. ويظهر لنا من خلال مناقشته لهذه القضية التى أقحمها على موضوع بحثه إقحاماً أنه يخلط بين الصلوات المفروضة وصلوات التطوع، ويسوق روايات من عنده تنسب إلى الرسول ﷺ قوله بأن صلاة الضحى بدعة موروثة، وأن هذا كان سبباً واضحاً -فيما يزعم- لحيرة المتأخرين وترددهم فى ضم صلاة الضحى إلى الصلوات الخمس الرئيسية المفروضة(1).

وهذا مجرد مثال ينبهنا إلى محاولات التستر بالعلم من جانب بعض المؤرخين والمستشرقين حديثاً للتشكيك فى أمور من صميم العقيدة الإسلامية، ويدعونا إلى توخى الحذر دائماً عند قراءة أعمالهم للوقوف على ما يتخللها أحياناً من ترويج أفكار خاطئة عن الإسلام والمسلمين.

٣- خوان فيرنيه:

يعمل «خوان فيرنيه» Juan Vernet حالياً أستاذاً لتاريخ العلوم العربية فى جامعة برشلونة، وله بحوث مهمة حول تطورات العلم العربى فى الأندلس والإنجازات الحضارية فى الغرب الإسلامى، بالإضافة إلى اهتمامه بالبحث عن المخطوطات العلمية واختراعات المهندسين المسلمين التى كان لها فى الغرب تطبيقات عملية، وذلك على امتداد ثمانية قرون تقريبا بدأت من سنة ٧١١م، تاريخ الفتح الإسلامى الأول لشبه الجزيرة الإيبيرية، إلى سنة ١٤٩٢م تاريخ استيلاء الملوك الكاثوليك على مدينة غرناطة وسقوط بنى نصر آخر السلالات المسلمة المستقلة التى حكمت فى أسبانيا.

عباس بن فرناس

يتحدث «خوان فيرنيه» فى إحدى مقالاته فى مجلة Pour La Science (١٩٩٤م) عن بعض المظاهر الحضارية وأعلامها فى الغرب الإسلامى، فيقول: تذكر كتب منتصف القرن التاسع الميلادى مخترعاً عربيا، اسمه عباس بن فرناس، اندفع من مكان عال فى الجو مرتدياً كساءً ذا جناحين من الريش يساعده على الطيران، فطار إلى مسافة ما، ثم سقط وأصيب بجراح، وإلى هذا الرجل بالذات يُعزى اختراع آلة تشير إلى الوقت (أى الساعة) فى النهار والليل. وتذكر بعض النصوص صُنّاعاً حرفيين -غير مهندسين بالضرورة- يدعى الواحد منهم باسم «العارف»، وهى كلمة لا تزال موجودة فى اللغة الأسبانية بمعناها العربى منذ ألف عام. وعندما أراد الخليفة عبدالرحمن الناصر إرسال معونة فنية إلى أحد

(١) نشر المقال المشار إليه بعنوان: Science in the service of religion the case of Islam فى مجلة Impact of science on society, no. 159 pp 245- 265 التى تصدرها اليونسكو بست لغات عالمية، وقد قمنا بترجمته فى النسخة العربية وفندنا ما جاء فى مقاله من مغالطات لوضع الأمور فى نصابها الدينى السليم أمام القارىء العربى. من ذلك أن صلاة الضحى عبادة مستحبة، فقد جاء فى كتب فقه السنة عن أبى سعيد -رضى الله عنه- قال: «كان صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول لا يدعها، ويدعها حتى نقول لا يصليها» (رواه الترمذى وحسنه). انظر: السيد سابق، فقه السنة، الجزء الأول، باب التطوع، ص٢٠٨- ٢١٠، دار الريان للتراث.

حلفائه فى شمال أفريقيا (سنة ١٩٣٥م) أوفد إليه المهندس محمد بن الوليد بن فستيق على رأس فريق من أمهر الصناع ذوى الخبرة بكل أنواع الحرف. وبفضل هذه المساعدة استطاع هذا الحليف تحصين أحد القصور القديمة.

ويقول «خوان فيرنيه» أيضا: نحن نعلم أن خطيب جامع قرطبة كان في القرن العاشر الميلادى، يلقى خطبته معتلياً منبراً يوضع فى المكان المناسب ثم يُنقل بعد الخطبة إلى مكان آخر قرب الجدار بانتظار الخطبة التالية. وكان نقل هذا المنبر سهلاً لأنه كان محمولاً على دواليب ويتحرك بطريقة آلية. وفى القرن الحادى عشر الميلادى صنع الزرقالى، الذى كان حرفياً فى طليطلة ثم أصبح أكبر فلكيى أسبانيا العربية، بالقرب من نهر تاجة ساعتين مائيتين تشيران إلى الساعات والأيام والشهور القمرية، وكانت الدورة فيها تتكرر دون انقطاع بهامش خطأ مقبول، وظلّتا تعملان قرابة أربعين عاما إلى أن احتلت المدينة جيوش ألفونسو السادس المسيحية.

ويشير فيرنيه أيضاً إلى وجود أعواد موسيقية ميكانيكية فى ذلك العصر تقريبا، وكذلك وجود سيور (لفائف) جلدية تستخدم لنقل المشروبات والمأكولات المعدَّة فى المطبخ إلى غرفة الطعام وإعادة الصحون عليها إلى أوعية غسلها. كانت أمثال هذه المعدات موجودة فى دمشق حيث كان يوجد أيضا آلات لرفع أو إنزال أنابيب الماء الذى يحرّك الطاحونة، وذلك بهدف التحكم فى سرعة دوران حجر الطاحونة.

الأسرار فى نتائج الأفكار

وعن أحد المخطوطات النادرة التى اكتشفت حديثا فى مكتبة لورنسيين بفرنسا، وهو مخطوط فى الحيل النافعة (أى الآلات الميكانيكية المفيدة) بعنوان «الأسرار فى نتائج الأفكار» يعود إلى العصر العربى الأسبانى، ويحوى أجزاء مهمة حول الطواحين والمكابس المائية ويشرح أكثر من ثلاثين نوعاً من الآلات الميكانيكية، وساعة شمسية متطورة جدا، يقول «خوان فيرنيه»: «لقد تأكدت نسبة هذا المخطوط للمؤلف العربى الأسبانى أحمد (أو محمد) بن خلف المرادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى).. ويهدف إلى تعليم صنع لُعب ميكانيكية كان الكثير منها قابلاً للاستعمال كساعة مائية».

وقد لحظ فيرنيه وجود قرابة بين هذا المخطوط وكتاب آخر ترجمه «شميللر» Schmeller إلى الألمانية عام ١٩٢٢م، وأكد على أن المهندس المعمارى الفرنسى المعروف «فيلار دوهنكور»، الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى كان على علم بتقنيات العالم العربى التى تقوم بحركات دائمة.

حامل المصحف

ومن أمثلة التقنيات الدقيقة المتقدمة Advanced fine technology التى صوّرها كتاب المرادى «حامل المصحف» الموجود فى جامع قرطبة ويتيح تناول نسخة نادرة من القرآن الكريم وقراءتها دون أن تمسها الأيدى. ينفتح حامل المصحف بطريقة

آلية، حيث توضع المجموعة المكونة من الحامل والمصحف على رفّ متحرك فى صندوق مغلق بالجزء العلوى من المسجد، وعندما يدار مفتاح الصندوق ينفتح باباه فوراً وآليا نحو الداخل ويصعد الرف من تلقاء ذاته حاملاً نسخة القرآن إلى مكان محدد، وفى الوقت نفسه ينفتح حامل المصحف وينغلق بابا الصندوق. وإذا أدخل المفتاح من جديد فى قفل الصندوق وأدير بالاتجاه المعاكس تتوالى الحركات السابقة بالترتيب المعاكس، وذلك بفضل سيور وآليات أخفيت عن الأنظار. وفى موضع آخر من هذا المخطوط النادر يقدم المرادى شرحاً وافيا لتقنية أخرى متقدمة فى قصر جبل طارق، تعمل بالتحكم عن بُعد Remote Control، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آلياً عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها، وهذا يؤكد أن الأمر لم يكن مقتصرا -كما يزعم البعض- على مجرد صنع ألعاب فقط من أجل التسلية.

تشريق الثقافة الأندلسية

وفى مقال آخر «لخوان فيرنيه» و«خوليو سامسو»، الأستاذين بجامعة برشلونة، نقرأ أن عملية تشريق الثقافة الأندلسية بدأت -على الأقل منذ اعتلى أول أمويّ العرش سنة ٧٥٦م- بمرحلة أولى طبعت بالتأثير السورى، تلتها مرحلة من التأثير العراقى الذى بدأ مع القرن التاسع الميلادى فى ظل إمارة عبدالرحمن الثانى (٨٢١- ٨٥٢م). فالمسافرون الذين ذهبوا إلى الشرق، إما للدراسة أو لأداء فريضة الحج، كانوا يعودون بآخر المستجدات. وقد أضحى الجامع الكبير لمدينة قرطبة الذى أسسه عبدالرحمن الأول سنة ٧٨٦م مركزاً لنشر الثقافة، وأدخلت تدريجيا علوم الطب والفلك والرياضيات فى التعليم العالى الذى كان يجرى فى الجوامع أو فى بيوت خاصة. وظهرت «المدرسة التعليمية» بعد ذلك إلى جانب مؤسسات علمية أخرى كالمكتبات والمراصد والمستشفيات. ويحدد المؤلفان فيرنيه وسامسو ثلاثة مآثر تعبر عن التطور الحقيقى لحضارة الأندلس فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى هى:

تقويم قرطبة الذى يحوى علم الميقات الأندلسى.

وتطور علم العقاقير.

ومدرسة مسلمة المجريطى فى مدريد التى شكلت نقطة انطلاق العلم الأسبانى العربى. وذكر المؤلفان من أعلام العلم الأندلسى فى القرن الحادى عشر للميلاد أبا القاسم الزهراوى فخر الجراحة العربية، ومسلمة المجريطى الذى كان من بين نقاد بطليموس، وعالم الفلاحة (الزراعة) ابن بصال، والفلكى الزرقالية صاحب «الصفيحة الزرقاوية»، وابن رشد صاحب كتاب «الكليات» الشهير، والذى علل الكلف الشمسى بمرور كوكبى عطارد والزهرة أمام الشمس، وغيرهم كثير جداً.

إنها بحق صفحات مشرقة للحضارة الإسلامية فى الأندلس قال عنها أحد المستشرقين المنصفين: «إن المسلمين أتاحوا لنا نحن الغربيين أن نصل إلى النهضة العلمية الحديثة، ولهذا يجدر بنا ألاّ نكفّ عن البكاء كلما تذكرنا اليوم الذى سقطت فيه غرناطة».

الغرب يعرف قدر الإسلام

للدكتور/ حمدى فتوح والى

ما أحوج أمتنا إلى قيادة روحية وفكرية وثقافية تعيد لها رسم عقلها وصياغة فكرها وترتيب أولوياتها وتحديد ملامح أصدقائها وأعدائها حتى تحسن ممارسة الحب والبغض وحتى تدرك من جديد كيف تعبد الله - سبحانه وتعالى - بإحسان الولاء والبراء وكيف تحسن الدعوة إليه على بصيرة.

لقد نجح أعداؤنا فى تهميش دور العقيدة فى حياتنا واستطاعوا أن يقنعوا قادة الفكر فى أمتنا بأن الانطلاق فى التعامل الدولى من منطلق العقيدة واليقين تعصب شائن وانغلاق أحمق وتطرف مقيت.

ولم يقفوا عند حدود القول فى ذلك وإنما انطلقوا ليبشعوا فى نظر الأمة كل رمز يمت إلى الفكرة الإسلامية بصلة.

ولما كان أمر الأمة كله قائما على الإسلام ومصبوغا به فقد وجد الأعداء أنفسهم أمام معضلة عويصة إذ كيف يقنعون أمة تحكم بالإسلام سياسة وتتحاكم إليه شريعة وتتعامل به سلوكا وتهتدى به أخلاقا وتستند إليه تاريخا وترجع إليه عقيدة ودستورا بما هو مخالف لذلك كله بل بما هو ضده؟!

وبرغم صعوبة تلك المعضلة وخطورتها فإن الإصرار اليهودى الصليبى لم ييأس وإنما أحسن دراسة الحالة، ودقق فى التشخيص ثم ذهب ليضع منظومة العمل التى وزعت أدوارها بكل براعة وهيئت لها الأسباب لتؤدى هذه الأدوار بكل إتقان.

لقد بدأ القوم بدراسة عناصر القوة التى تضمن قيام هذا الكيان فعمدوا إلى استهدافها وأصروا على ضرورة إضعافها ثم إسقاطها.

المستشرقون

وحتى لايكون الكلام مجرد اجتهاد منى أو استنباط واستنتاج سأترك كبار مفكرى الغرب ممن

قادوا حملته الصليبية الأخيرة وحققوا لأنفسهم المراد وبلغوا بتخطيطهم وقيادتهم لجحافل تلك الجيوش إلى أخطر النتائج سأترك لهم المجال لنتعرف منهم على أخطر عناصر القوة فى ديننا، ثم ننظر كيف تعاملوا مع هذه العناصر؟ وكيف كانت نتيجة تخطيطهم؟

يقول أحد المسئولين في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢م:

«إن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الإسلامى... (ويتابع) فلنعط هذا العالم ما يشاء ولنقو فى نفسه عدم الرغبة فى الإنتاج الصناعى والفنى فإذا عجزنا عن تخطيط هذه الخطة وتحرر العملاق من عقدة عجزه الفنى والصناعى، أصبح خطر العالم العربى وماوراءه من الطاقة الإسلامية الضخمة خطرا داهما ينتهى به الغرب وينتهى معه دوره القيادى فى العالم»(١).

ويقول المستشرق الأمريكى و.ك.سميث:

«إذا أعطى المسلمون الحرية فى العالم الإسلامى وعاشوا فى ظل أنظمة ديمقراطية فإن الإسلام سينتصر فى هذه البلاد وبالديكتاتوريات وحدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها».

وينصح رئيس مجلة تايم فى كتابه «سفر آسيا» الحكومة الأمريكية أن تنشىء فى البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولة دون سيطرة دعوة الإسلام على الأمة الإسلامية وبالتالى الانتصار على الغرب وحضارته واستعماره».

إن الغرب كان واقعيا وعاقلا عندما فكر لنفسه ورصد الخطر بموضوعية ووضوح وأدرك عن طريق عقلائه وحكمائه طبيعة هذا الخطر وكيف يسقطوه؛ فكانت مرئيات المستشرقين الذين فرغوا جهودهم لدراسة الإسلام والولوج إلى أسراره تقابل بكل جدية واهتمام.

ولهذا فلم يكن غريبا أن ينشط هؤلاء لدراسة ديننا وعقيدتنا دراسة حولت علماء المسلمين تلامذة على أيدى هؤلاء المستشرقين الذين خدموا عقيدتهم أعظم خدمة عندما أهدوا إلى حكامهم وقادتهم نتائج أبحاثهم وخلاصة مرئياتهم فكانت تلك النتائج والأبحاث بمثابة المفاتيح التى أداروها فى نفوس أبناء المسلمين فغيروها.

---

(١) جند الله ـ سعيد حوى ص٢٢.

الغاية الشيطانية

لقد أدركوا مواضع القوة فى الإسلام فحذروا قادتهم منها وأعدوا الخطط المحكمة الدقيقة لكيفية إضعاف تلك العناصر وإسقاطها.

كما درسوا نقاط الضعف واستطاعوا ببراعة أن يستثمروا وينفذوا منها إلى ما يشاءون.

ولقد وضح جيدا أن نظام الخلافة الإسلامية الذى يضم أمة الإسلام جميعا فى كيان واحد هو أخطر ما يخشى منه الغرب على كيانه ومستقبله.

فهؤلاء الحاقدون لم ينسوا أبدا ما أصيب به آباؤهم من هزائم منكرة وضربات مرة إبان حروبهم الصليبية المتكررة مع المسلمين.

ولم ينسوا أبدا أن جيشا لايتحرك إلا بكلمة رجل واحد هو خليفة المسلمين أمر خطير فكان هدفهم الأول هو إسقاط ذلك الرمز الذى يستطيع أن يهز عروشهم ويذل كبرياءهم بإشارة من يده أو بكلمة من فمه.

وقد صرح أحد المستشرقين بقوله:

«إن أوروبا كانت تفزع من الرجل المريض لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشارة من إصبعه» (٢).

ومن منطلق إدراك الغرب لخطر الإسلام وإحاطتهم ومعرفتهم لحقيقته التغييرية رأينا الخوف الشديد فيما صدر عن كبار مفكريهم الذين تخصصوا فى تحصين أقوامهم ضد الإسلام واجتهدوا فى تشويه صورته لديهم حتى يطمئنوا إلى عمق الهوة بين أتباعهم الغربيين وبين الإسلام.

يقول المستشرق «هاملتون.جب»:

«إن تغريب الشرق إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع فى كل ناحية من النواحى وإذا أمكن قطع صلة التفكير والعقيدة بين الماضى والحاضر أمكن صبغ ماضى الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله؛ فتفقد الأمة بذلك أعظم جانب من حيويتها وتبقى عالة على الغرب تتطلع إليه تطلع إعجاب وتقديس وعبادة وترى فى خضوعها له شرفا كبيرا» (٣).

تلك هى الغاية الشيطانية التى يحلم بها ويخطط لها المستشرقون قطع صلة

---

(٢) الغارة على العالم الإسلامى ـ محب الدين الخطيب.

(٣) هاملتون. جب، من كتابه «وجهة الإسلام».

المسلم عن ماضية وتفريغه من الإحساس بعظمة هذا الماضى وقداسته بل يريدون له أن يتحول كارها لدينه زاهدا فيه وعند ذلك لايجد أمامه إلا ما يقدمه له أسياده المستعمرون فيتبعهم ويلهث وراءهم وهو فى هذه التبعية لن يكون شريكا وإنما هو تابع ذليل ولن يرقى فيهم إلى درجة المواطنة أو الشعور بالانتماء وإنما سيظل منبوذا محتقرا من هذا الكافر الذى أغراه وأضله لأن هذا النوع من الناس الذى سهل عليه خيانة أهله وازدرائهم لايكثر عليه خلع أسياده الجدد.

الإسلام دين الرحمة والتسامح

إن المؤامرة على المسلم لكى ينقطع عن أصوله ويكره ماضيه لايقصد منها أن يدخل النصرانية فذلك شرف فى نظرهم لايستحقه هؤلاء المتخلفون وإنما المقصود أن يفرغ من عوامل القوة التى تجعله يستعصى على التبعية والرضا بالكفر الصليبى أو اليهودى بعد أن يفرغ من عقيدته ومبادئه وهذا وحده مكسب كبير

﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾

(النساء: ٨٩)

إن أبالسة الغرب يدركون عن يقين أن قوة المسلم فى عقيدته ولهذا كان استهدافها هو الهدف الأهم والأعظم فى أولويات حياتهم.

يقول جوستاف لوبون فى كتابه «حضارة الغرب»:

«الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب. إن الإسلام هو الذى أعطى المسلمين هذه الرحمة، وهذا التسامح، ونحن رأينا صورا مختلفة: مثل حرب الأفيون، وأقسى منها حروب الاستعمار الحديث وأشد منها ظلم الصهيونية وقسوتها وحبها للدماء والعدوان والإبادة».

وتلك شهادة من رجل رضع لبان النصرانية وتغذى على الكيد للإسلام، جاء إلى بلاد المسلمين باحثا عن نقاط الضعف لينفذ منها ويقدمها هدية لقادة الحروب من الصليبيين، ولكنه لم يجد مهربا أمام وضوح هذه الحقيقة من أن يعترف بها خاصة وأنها حقيقة تحظى بإجماع إخوانه من المستشرقين لكن منهم من ملك القدرة النفسية فأعلنها وكثيرون لم يستطيعوا إعلان ذلك.

ومن الصنف الأول الذى لم يجد بدا من إعلان إعجابه برغم شدة تعصبه لدينه: المؤرخ الإنجليزى المعروف «أرنولد توينبى» الذى يقول:

«أننى أغبط أتباع المجتمع العربى لما

تضفيه عليهم الأمة العربية، إنه فى داره ما دام فى بلاد عربية إسلامية».

هل يعى المسلمون دورهم؟

وهذه شهادة لرجل من أعظم كتاب الغرب فى القرن العشرين هو المستشرق الألمانى «باول شميز» يقول فى كتابه «الإسلام قوة الغد العالمية» الذى كتبه فى الثلاثينات من القرن العشرين: «سيعيد التاريخ نفسه مبتدئا من الشرق عودا على بدء، من المنطقة التى قامت فيها القوة العالمية فى الصدر الأول للإسلام، وستظهر هذه القوة فى تماسك الإسلام ووحدته العسكرية وستثبت هذه القوة وجودها إذا ما أدرك المسلمون كيفية استخراجها والاستفادة منها».

فهل يعى المسلمون دورهم وهل ينتبهون إلى قوتهم ويدركون طبيعة المهمة التى وكلها الله إليهم فيتقدموا للعالم اليوم بطوق النجاة.

إن الغرب يعترف بقوة الإسلام وعظمته ويدرك حقيقة الإسلام ومدى خطورته لكن ذلك كله لاينبع من نفوس منصفة أو مشاعر متعاطفة وإنما مرد ذلك كله الخوف الشديد من أن يعود العملاق إلى القيادة ويستيقظ المسلم من جديد إنهم يجتهدون فى رصد الحقائق والاعتراف بالواقع حتى لايخدعوا أنفسهم وقادتهم فيضلون عن الحقيقة فيصابون فى تخطيطهم بانتكاسة أو يفاجئون بما لايحتسبون ولهذا فهم يقولون ما يقولون من باب التحذير والتهويل.

وإليك هذا النموذج من التحليلات السياسية الدقيقة التى يرفعها المستشرق الإنجليزى «هاملتون.جب» المستشار الثقافى لوزير المستعمرات البريطانى فى مصر لقادته يقول فى كتابه «وجهة الإسلام»: «هل يمكن أن نقع يوما ما تحت وطأة الخطر الإسلامى؟!» وبعد أن يذكر الأجوبة المختلفة التى تستبعد هذا الخطر أو مجرد توقعه يقول: «أجل إنهم اليوم ضعاف متفرقون لا نرى عزما أكيدا لدى شبابهم يحملهم على التضحية ولا نرى عند ذوى الرأى والوجاهة فيهم أنهم يستطيعون الجلوس معا جلسة جدية يتحدثون فيها عن مشاكلهم فضلا من أن يتمكنوا من حلها».

صلاح الدين الجديد

وبعد استعراض دقيق لأصول العالم الإسلامى واتجاهه نحو عقد المؤتمرات منذ بداية القرن العشرين وتشكيكه فى جدوى هذه المؤتمرات وأنها لن تبلغ غايتها حتى بعد مدة طويلة من الزمن

يعود فيقول : «ولكن ينبغى ألا نبالغ فى تقدير هذه المدة ؛ لأن هناك ظاهرة كثيرا ما يهملها الباحثون فى حركات المجتمع الإسلامى مهما كان نوعها وهى أنها تنضج بسرعة مدهشة ؛ حتى إن وجودها يندر أن يخطر على بال أحد قبل أن يندلع لهيبها ويروع العالم» ويختتم الرجل كلامه بقوله : «إن المسألة الكبرى هى مسألة الزعامة فحينما يجد الإسلام صلاح الدين الجديد رجلا يجمع بين الحنكة السياسية العظيمة وبين شعوره برسالته الدينية يبلغ أعماق نفسه ؛ فإن ما عدا ذلك ينحل من تلقاء نفسه»(٤).

وأختم هذه الشهادة التى يقدمها كتاب الغرب اعترافا بقدر الإسلام بما كتبه الدكتور أحمد شوكت عن المستشرق الغربى «ألبير شارود» الذى تناول الحديث عن المسلمين فقال :

«إن هذا المسلم الذكى الشجاع قد ترك لنا حيث حل آثار علمه وفنه ، آثار مجده وفخاره ، إن هذا المسلم الذى نام نوما عميقا مئات السنين قد استيقظ وأخذ ينادى ها أنذا لم أمت إنى أعود إلى الحياة لا لأكون أداة طيعة أو كتلا من البشر تسيرها العواصم الكبرى» ، إلى أن يقول : «ومن يدرى ؟ قد يعود اليوم الذى تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالمسلمين فيهبطون من السماء لغزو العالم مرة ثانية فى الوقت المناسب أو الزمن الموقوت .. لست أدعى النبوءة ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة لا تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها» (٥).

***

(٤) الأستاذ جودت سعيد. لم هذا الرعب كله من الإسلام؟ ص١٦.

(٥) المصدر نفسه ص١٧.

من يقف وراء الإرهاب العالمى؟!!

للدكتور/ عبد الحليم عويس

عندما يكون الظلم هو القاعدة القانونية المسيطرة ـ وليس الشذوذ ـ يكون هذا إيذاناً بخراب العالم وقيام القيامة، عندما يتحول المظلوم إلى ظالم والمجرم إلى قاضى. يقف العالم أمام منزلق خطير، فإما أن يناضل ضد قوى الظلم وإما أن يندثر وينتحر جماعياً.

ومن الغريب أن اليهودية العالمية وقوى الحضارة الأوروبية لم تحاول التعرف على الحق والعدل أبداً فلمدة (خمسة قرون والغزو مستمرّ..) هكذا يطلق هذا الشعار (نعوم تشومسكى) عنواناً لكتابه... وهو عنوان واضح الدلالة على أننا نواجه بأساليب مختلفة ـ سرّية وعلنية ـ حرباً صليبية منذ عدة قرون... فلم تضع الحرب الصليبية الواضحة أوزارها حتى هرع الأوروبيون ـ من خلال كتابات المستشرقين وطلائع الاستعمار الحديث ـ إلى تغيير خططهم والبدء بحرب أخرى ذات طبيعة خاصة (!!)..

إنه الصراع الدائم بأساليب مختلفة.. الإبادة للآخرين ولا شئ غير هذا..!!

● وقد حصلت بريطانيا على شرف تدمير ملايين المسلمين وإبادتهم فى شبه القارة الهندية وإفريقيا... أما فرنسا فقد كان لها فى الجزائر وحدها شرف إبادة ثمانية ملايين مسلم خلال مائة وثلاثين سنة...

● وهكذا نجد أن التوجه الصراعى خط مستمر شبه ثابت فى موقف الحضارة الأورو أمريكية من الآخر المسلم...

وانطلاقاً من الفكر الدينى الوثنى القديم القائم على (صراع الآلهة) فى اليونان، والفكر الفلسفى القائم على مقولات (نيتشة وهيجل) والفكر الاقتصادى القائم على (صراع الطبقات)، و(وحشية الرأسمالية) لصالح الأغنياء تحقيقاً لقاعدة عولمة الفقر لإبادة أربعة أخماس البشرية... ومروراً (بنهاية التاريخ) لصالح الرأسمالية عند فوكاياما، و(صدام الحضارات) عند (هنتنجتون) وأستاذه (برنارد لويس) المنظّر (اليهودى البريطانى الأمريكى) الدائم لوجوب إبادة المسلمين بكل الطرق.

وانطلاقاً من هذه الرؤية العنصرية العنيفة ضد المسلمين يتعامل الغرب بمعايير مزدوجة لصالح اليهود

دائماً، ويعطل فعالية الأمم المتحدة ومجلس الأمن دائماً، ويفتعل صوراً من الإرهاب عن طريق أفراد مستأجرين أو ممسوخي العقل، أو جهلاء لا يُؤْبه بهم من أجل تبرير إبادته الجماعية لشعوب إسلامية في مقابل أخطاء فردية... والعجيب أنه يدين دون محاكمة أو إجراءات قانونية... وحتى اليوم مازالت حوادث ١١ سبتمبر بعيدة عن أن تخضع لمحكمة دولية عادلة... تعرف فيها الحقائق كما هي لا كما صورها طرف من الأطراف...

أرخص دماء

● إن الشعوب الإسلامية تواجه مشكلة مأساوية غريبة تدفع بعض أبنائها عن حدود الوسطية والاعتدال، فالمجرم الصليبي والصهيوني هو القاضي، وعلاقته ببعض الحكام العرب علاقة غير معروفة المعالم، لدرجة تحار فيها بعض العقول فتتساءل: أحكامنا لنا ومعنا، أم معهم ولهم؟ وتمشي الشعوب بلا حارس يحميها ويقودها.. وكل ذلك يمضي والشعوب المسلمة تعاني من إذلال الدول الكبرى والصهيونية وقهرها وإبادتها للمسلمين أصحاب أرخص الدماء في الأرض.. سواء في فلسطين أم العراق أم أفغانستان أم غيرها.. وكما يقول رجاء جارودي: فإن الغرب سلب ونهب وقتل الآخرين طوال خمسة قرون بمنهجية مؤسسة تارة على أصولية دينية طبقاً لأخطر أساطير التاريخ الإنساني: الشعب المختار، وأرض الميعاد، ومملكة المسيح على الأرض التي تشيّد على دماء عشرات الملايين من القتلى... وتارة على علمانية ليبرالية طبقاً للداروينية الشاملة ذات البقاء للأقوى، وأن للأعراق الأعلى حقوقاً على الأعراق الأدنى، ومع ذلك كله، أي مع غزو الغرب للشرق لمدة خمسة قرون، ومع أن الغرب هو الذي أطلق حلقة العنف الشرير الأولى، فإنه إذا هبت شعوب الشرق والإسلام تدافع عن نفسها أصبحت إرهابية جديرة بسحقها(١).

ويرى مكولي: C.Mcauley في دراسته عن سيكولوجية الإرهاب أن ردّ الفعل المتحيز ضد العرب والمسلمين يجعلهم يتجهون من مؤيدين ومساندين للجهود المبذولة لمكافحة «الإرهاب» إلى مساندين «للإرهاب»، كما يؤدي أيضاً إلى رد الفعل المتحيز إلى الشك بقوة، والكره الموجّه نحو العرب والمسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية... أي تبادل الكراهية المستمر.

ويرى مكولي - أيضاً - أن العنف الذي تمارسه بعض المؤسسات الإسلامية ناتج أساساً عن السياسة الأمريكية التي تكيل بمكيالين بانحيازها الشديد لإسرائيل، واستناد هذه السياسة على الهيمنة والسيطرة والابتزاز والاستغلال لموارد الدول الأخرى فيما يخدم

---

١) روجيه جارودي، الإرهاب الغربي، ج٢، مكتبة الشروق الدولية ط١ ١٤٢٥هـ

المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى، فهؤلاء الذين يمارسون العنف من المسلمين يدركون أن الولايات المتحدة كانت ومازالت تؤذى المسلمين وتذلهم منذ خمسين عاما.

السيطرة الاستعمارية

لقد أشارت دراسة أعدتها سكرتارية الأمم المتحدة عن الإرهاب عام (١٩٧٩م) إلى أن أهم الدوافع وراء ممارسة الأنشطة الإرهابية هى السيطرة الاستعمارية والعدوانية على بعض الدول وممارسة التمييز العنصرى، واستخدام القوة من جانب بعض الدول، والتدخل فى الشئون الداخلية، والاحتلال الأجنبى للشعوب، وممارسة العنف والقمع بهدف السيطرة على بعض الشعوب، أو إجبار السكان على التخلى عن أراضيهم.

كذلك أشارت الدراسة إلى أن أهم الأسباب استمرار النظام الاقتصادى الدولى غير العادل، وغير المتوازن.

● الاستغلال الأجنبى للموارد الطبيعية للدول بالقوة.

● التدمير المستمر أو المنظم من قوى أجنبية لدولة أو سكانها، أو للبيئة الطبيعية.

● الانتهاك الصارخ لحقوق الإنسان سواء من خلال السجن والتعذيب، أو الأعمال الانتقامية، والشعور بالجوع والحرمان والبؤس[٢].

لقد أصبحت الولايات المتحدة القوة الوحيدة فى العالم، وأصبحت الرمز الفعلى للجيش العلمانى والغربى، والقوة الاقتصادية الكبرى، ورمز الهيمنة والسيادة على بقية دول العالم «شرطى العالم».

ولقد أصبح ينظر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لدى الدول بأنها تجسيد للاستعمار الجديد، ورمز للقوى العلمانية والاقتصادية التى تفرض التغير الخارجى على كثير من دول العالم المستقرة فى الماضى بالترهيب والتهديد.

وبالنسبة للجانب الاقتصادى تدل إحصاءات البنك الدولى على أن ثلث أقطار العالم يعيش ما بين (٣٠ - ٤٠٪) من سكانها تحت خط الفقر، ويعيش (٤٠٪) من سكان العالم فى اقتصاديات يقل فيها معدل الدخل السنوى لكل فرد عن (٨٠٠ دولار)، وهناك (٢,٨) مليار نسمة فى العالم يقل دخل كل فرد منهم عن دولار فى اليوم، و(١,٣) مليار نسمة يقل دخل كل فرد منهم عن دولار واحد فى اليوم... وكل ذلك نتيجة جشع أمريكا، وأوروبا، والصهيونية، وتعمدهم السيطرة على مصادر الثروة وفرض الفقر باسم العولمة على أربعة أخماس البشرية، كما أثبت العالمان الألمانيان مارتن وشومان فى كتابهما الرائع عن (فخّ العولمة)[٣].

---

٢) الأبعاد القانونية للإرهاب الدولى، مجلة السياسة الدولية، عدد (٨٥) يوليو ١٩٨٦

٣) سلسلة عالم المعرفة ، دولة الكويت



انتهك الأمريكيون الحرمات وروعوا الأطفال و النساء فى العراق وفى غير العراق ومع ذلك اتهموا المسلمين بالإرهاب!!

وتدل الاتجاهات العالمية على أن (٢٠٪) من سكان العالم الأكثر فقراً لديهم (١,٢٪) من دخل العالم عام ١٩٩٧م، ويقدر البنك الدولى أن ما بين (٦٠٠) مليون إلى مليار سيولدون فى فقر مدقع ما بين عامى (٢٠٠٠ - ٢٠١٥م) وأن ثلاثة مليارات من الناس سيكونون فقراء فى هذا الوقت.

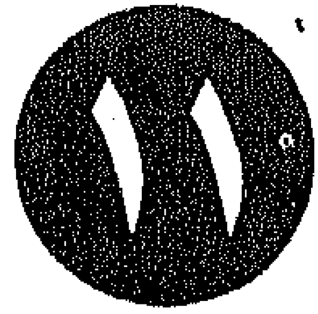
وهكذا فإن الموقف الظالم للدول الكبرى والصهيونية - مع سلبية كثير من مسئولى العالم العربى، ومنعهم شعوبهم - من الوقوف مع إخوانهم المسلمين الذين يتعرضون للقتل اليومى، والتعذيب الوحشى من جانب الديمقراطية الأمريكية والصهيونية...

هذا الواقع يفرض ظلاله النفسية والوجدانية على الإنسان المسلم فيندفع - لاسيما فى مرحلة الشباب التى يصعب معها الصبر والنظر فى عواقب الأمور - إلى الخروج عن الوسطية والاعتدال، فيميل إما إلى التفريط السلبى الذى يجعله ينحدر إلى السلوكيات المبددة لطاقته وعقله فيهمل كل شئ، وقد ينحدر إلى المخدرات والانحرافات القاتلة - أو يميل إلى الإفراط فينخرط فى سلك جماعة من تلك التى تجنح إلى التكفير والإرهاب.

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾

شهادات غربية فى إنصاف الإسلام

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة



الشريعة الإسلامية.. والقانون الإسلامى

«فى الإسلام، حل الله محل الآلهة البائدة الزائفة، وصار سيدا وحاميا لشعبه المختار، أمة المسلمين عندما أسلم أحد شيوخ القبائل فى الجاهلية، بادر النبى بقوله: «أنت ربنا».

فأسرع محمد يجيبه: «ربك الله».

فالإسلام هو دولة الله المباشرة، هو حكم الله الذى يرعى شعبه بعينه، ويكلؤه بحسن تدبيره. إن أساس الوحدة الاجتماعية، المسمى فى المجتمعات الأخرى «بولس» Polis و«كيفيتاس» Civitas (أى حكومة) يمثله (الله) عند الإسلام. فالله هو الاسم الذى يطلق على السلطة، العاملة فى حقل المصلحة العامة. وعلى هذا المنوال يكون بيت المال (هو بيت الله) والجند هم (جند الله).. حتى الموظفين العموميين هم (عمال الله)..».

***

«.. وعبثا نحاول أن نجد أصولا واحدة تلتقى فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومانية) كما استقر الرأى على ذلك..

إن الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادىء الثابتة لايمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا، وقد يحصل فى العادة خلط بين ناحيتين، فالإسلام كالمسيحية أو كأى دين آخر له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لايمكن بالطبع أن يعرّضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث. ولكن من الظلم والتجنى أن

نصمها بالجمود والشدة، كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها، إذ يوجد فى أى نظام دينى عظيم الخطر جليل الشأن شىء أكثر من محض العقيدة..».

***

أسس المجتمع الإسلامى

وهى القانون الإلهى (الشريعة). إن طبيعة هذه الجمعية الملتفة حول الدين، والمستكنة تحت حكم الله، هى التى تحدد معنى الفقه والقانون، وهى بالنظر إلينا وإلى الأسلاف: مجموعة من القواعد السائدة التى أقرها الشعب، إما رأسا عن طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم.

إلا أن التفسير الإسلامى للقانون هو خلاف ذلك، فإن صح أن الله هو رأس المجتمع الإسلامى وسائسه الأعلى، فالقانون لاشىء أمام إرادته. والقاعدة القانونية هى القاعدة التى يطبقها المشرع الأعظم (الله) على شعبه المختار. والخضوع لهذا القانون إنما هو واجب اجتماعى وفرض دينى فى الوقت نفسه. ومن ينتهك حرمته أو يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه النظام الاجتماعى، بل يقترف خطيئة دينية أيضا، لأنه «لا حق ثم لما ليس لله فيه نصيب»..».

«فكل مسائل الفقه كان مرجعها الأخير- علم الكلام (اللاهوت)»..

***

الإيمان الصحيح

«هذا القانون، أو الشريعة، التى توزع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا تفضيل، تستند إلى الإيمان القويم أساسا، فعلى المسلمين أن يفوا بالعهود التى يقطعونها على أنفسهم، وليس لهم أن ينتفعوا بمال مسلم آخر لم يُجزهم..».

«وهذا التفسير للإيمان القويم إنما هو تفسير خُلقى أدبى بصورة جوهرية، حتى إنه ليرتفع إلى فكرة «المطلق» ومبدأ «الدولية». ومن المدهش أن يكون ذلك أقرب لفهمنا من التفسير الألمانى الإقطاعى للإيمان الصحيح، ذلك التفسير الذى يرى الإيمان منبثقا من الولاء والخضوع الشخصى، ولذلك، فإن شريعة الإسلام تفسح أوسع المجال لتحكيم الإرادة البشرية، وتعلق أعظم الأهمية على القصد القانونى، لا على نص القانون الحرفى. إن إرادة البشر كافية مهما كانت لخلق رابطة قانونية، ولكن قلما كان بطلان أو صحة أى مبدأ قانونى مرهونا بأمر شكلى أو بنص حرفى فى الشريعة الإسلامية. يتجلى ذلك بمقارنته بما لا يُحصى من القواعد الشكلية فى قوانين الجرمان. فقاعدة: «الرضا فى العقود يجعلها ملزمة» هى قاعدة جوهرية فى نظر فقهاء القانون...».

***

المســـاواة

«تحريم الربا بأى شكل كان، النفور من كل أنواع المضاربة، بطلان أى اتفاق أو عقد غير مؤكد النتيجة. كل هذه المميزات فى الشريعة الإسلامية انبثقت من هذا الأصل وبنيت على المبدأ العام



(المساواة) وبكلمة أخرى: تكون العدالة رائدة المساواة في كل مرحلة من مراحلها، والافتئات عليها إنما هو ضرب من المستحيل.

ولقد اعتاد الفقيه القانوني أن يضع نصب عينيه تثبيت كفتي الميزان كلما رجحت إحداهما على الأخرى، أعني إلغاء وخنق كل محاولة ترمي إلى تطبيق النص الحرفي مدفوعا «بخدمة العدالة» كما جرى علماء القانون عندنا على تسميته..».

***

«.. ومن بين المسائل القانونية التي غنمناها من الشريعة الإسلامية، الأنظمة القانونية الخاصة بالشركة المحدودة (القيراط) وبعض المصطلحات القانونية الفنية في قانون التجارة. وإننا لو ضربنا صفحا عن كل ما تقدم، فلا شك أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم الجانب الأكبر من شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور..»

***

«أيكون معنى أن الشريعة الإسلامية مرجعيتها دينية، أن الفكرة الدينية قد أعاقت تطور القانون الإسلامي؟..

هذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التي يتمثل فيها مصدر قوة الإسلام الرئيسي. إن علم القانون ليس إلا جزءا من علم الكلام (الثيولوجيا)، وربما كانت الشريعة الإسلامية، قد صرحت بالثيوقراطية أكثر من الشريعة المسيحية بمقارنتها مع الحكم المدني، ولكن يجب ألا ننساق كثيرا وراء هذا التفسير، فلو ازددنا تأملا لوجدنا أن ما ذهبنا إليه هو المعنى الذي قصده فقهاء المسلمين.

إن الفارق بين حقوق الله وحقوق العباد ليس فيه من معنى أكثر من الفارق بين القانون العام والقانون الخاص، وللفكرة الدينية بلا ريب أثر عظيم، ولكن ليس بالمقدار الذي يظنه المرء، هذا التأثير مستمد من الصبغة الأخلاقية التي تسود القانون، أي من العلاقة التي تقترب غالبا لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية توحيدا تاما. فأحكام الشركة والقرض وشروط الشهادة وعلاقة العبد بالسيد وعلاقة المدعي والمدعى عليه، وكل اتفاق أو عقد يتهيأ فيه موضوع علاقة قانونية ذات صبغة أخلاقية، لهو أسمى درجة من أن يكون محض منفعة. فالرهن مثلا شكل من أشكال المعونة المتبادلة، لأن المرتهن يعين المالك على الاحتفاظ بملكه:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾

[المائدة: ٢]

وفي الحديث: «الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» [رواه الإمام أحمد].

«.. وهكذا ترسم الأخلاق والآداب في كل مسألة حدود القانون، وبذلك جاء الحديث النبوي: «ما ليس لله فيه سهم ليس للمرء فيه حق»(١).. وسهم الله هو إرادته في منحه كل شخص ما

---

(١) مسند الإمام أحمد ج٦/١٤٥ بلفظ مختلف.

يستحقه، وليس له أن يجور على ما يعود لغيره. وإنا لنجد أنفسنا أخيرا وقد بلغنا مرحلة «الحق المطلق»، الذى هو أساس المجتمعات المتمدنة قاطبة..».

***

«.. إن الفقه حقيقة اجتماعية، يتعلق قسم منها بالفرد وقسم بالمجتمع، فكل شيء لا ينضوى تحت لواء المنافع الشخصية يطلق عليه اسم (حقوق الله)، لأن الله فى الشرع الإسلامى يقوم مقام سلطة المدنية أى Givitaوهو المبدأ الرومانى القديم. ومن الحقوق الإلهية، القوانين المتعلقة بالعتق والوصاية والأنكحة وصلة الرحم وقانون الجزاء وتحريم الربا، هذه القوانين لا يمكن التغاضى عنها أو التقليل من شأنها، لأنها متعلقة بمصلحة المجموع، أو بتعبير أصح «بالنظام العام»، وهى خارجة عن إرادة الفرد.

أما القسم الثانى من الحقوق، وهى الحقوق المتعلقة بالفرد وشئونه الخاصة، فتسمى «بحقوق العباد». فإذا جعلنا الحرية نقطة البدء (الحرية هى أولى القواعد فى الشرع الإسلامى)، وجدنا فقهاء المسلمين قد وصلوا إلى هاتين النتيجتين:

١- تجد الحرية حدودها فى طبيعتها نفسها، لأن الحرية المطلقة معناها فناء البشرية.

والحدود التى تقف عندها الحرية هى ما اصطلح على تسميته: بالقواعد القانونية (الشريعة).

٢- ليس فى هذه الحدود اشتطاط أو غلو، لأن الغاية المتوخاة من فرضها هى المنفعة والصلاح والخير بأعظم ما يستطيع الفرد أو المجموع أن يجنى منها تلك المنفعة والصلاح والخير بأعظم ما يستطيع الفرد أو المجموع أن يجنى منها تلك المنفعة -وهى الغاية التى تهدف إليها الشريعة- إنها أيضا محدودة ومقيدة.

إن لمحة خاطفة نلقيها على مختلف الأنظمة القضائية، قد يكون لنا فيها بعض العون -على تعريفنا- بالقواعد العملية لهذه الشريعة.

لما كان الفرد خليفة الله فى أرضه، فقد وهبه خالقه ملكات تدرك الحقوق، وأسماها حق المرء - بوصفه فردا- فى السلامة والحرية، فالحرية هى الحق الطبيعى لكل مخلوق بشرى، أما الرق فهو استثناء تلك القاعدة «كان آدم وحواء وكلاهما حر».. من هذا المبدأ استخلص الفقهاء المبادىء العديد».

فللمرء أن يقتنى ما يشتهى، ويصنع بماله ما يريد، لأن متاع الدنيا جميعه خُلق لاستعمال البشر وانتفاعه، ولكن الله، مقرر حق الملكية والحيازة، وضع لهذا الحق حدا، وأتاح الفرصة لكل امرىء فى معرفة المقدار المخصص له من مصادر الثروة العامة، صيانة للنظام الاجتماعى.

لكن يخطىء من يظن أن الملكية- باعتبارها حقا- إنما هى غير محدودة، فهى فى الواقع تجد حدودها فى طبيعتها نفسها، أو فى الهدف الذى تسعى إليه.

إن الله وهب المرء متاع هذه الدنيا ليصلح بها حاله ويكفى حاجته، وبمعنى آخر ليحسن الانتفاع به لا ليبدده أو ليبعثره نزولا عنه أهوائه ونزواته الطارئة.

فلو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية المستوحاة من القرآن الكريم والعُرف لوجدناها تتجاهل مايسمى «بحق الاستعمال والتمتع»، فهى ترى فى كل

صرف لا نفع فيه تبذيرا، وهو إثم بالنتيجة. فالسفه في نظر الشريعة هو نوع من الخلل العقلي يحجر على كل مبتل به شرعا.. هذه الشريعة حريصة على الاعتدال والقسط في كل شيء، واتباع الطريق الوسط في إنفاق الثروة، لكونه يتفق تماما مع حكمة الشارع وطبيعة الشريعة من حكمة الله في إغداق آلائه ونعمه على البشر..»

***

«ومما لامراء فيه أن الشريعة لم تتدخل في جميع التفاصيل. حسبها أن تتناول عددا معينا من القضايا ذات الطابع القانوني البارز فتبحثها وتشرحها. وقديما قال المشترعون الرومان: «إن قوة القانون هي في الأمر والنهي، والسماح والعقاب». على أن الشريعة الإسلامية، ذات الطابع الديني، لم تلبث أن أضافت مبدأين قانونيين إلى ما سبق ذكره، وهما: المقبولات والمستهجنات. فإذا أسقطنا القسم العقابي من الشق الأول وأضفنا إليه المبدأين الجديدين، تم لدينا أوجه خمسة للقانون السائد بشكله التام.

إن هذه المبادىء القانونية، على تعدد أشكالها، تؤول إلى غاية واحدة هي الرفاه العام (المصلحة)، لذلك، فليس لهذا القانون الإلهي مصدرا والبشرى هدفا، إلا سعادة البشر ورفاهه.. والعين النافذة لا يمكن أن تخطىء رؤية هذه الغاية وإن شق عليها أن تتوضحها لأول وهلة.

إن القانون السائد (الشريعة) -ومعناها بالعربية «الطريق القويمة»- هو نظام لضروب أشكال النشاط البشرى الذى يهدف إلى تيسير الحاجات الدنيوية»..

***

«إن الشريعة الجديدة ألغت القيود الصارمة والمحرمات التى فرضتها شريعة موسى على اليهود، ونسخت الرهبانية المسيحية، وأعلنت رغبتها الصادقة في مسايرة الطبيعة البشرية، والنزول إلى مستواها، واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية فى الحياة..

«يسروا ولا تعسروا»[2]، تلك هى التعاليم والأوامر التى كان النبى يبلغها إلى من «أرسل إليهم».

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

[البقرة: ٢٨٦].

إن للإسلام بعض الميل إلى الصوفية، ولكن لا إلى الزهد. وبعبارة أجلى، إنه لا يقر تعذيب النفس وإماتتها بالتقشف وبسائر الوسائل الأخرى التى تضعف البدن وتكبت الغرائز البشرية الطبيعية. إنه يحض المؤمن على التمتع بـ[الطيبات] التى أنعم الله بها عليه، شريطة أن يقيم الحدود ويخضع للسنة التى وردت فى القرآن، وهى ليست بالكثيرة ولا بالصارمة.

إن الشريعة الإسلامية تحبذ كل نشاط عملى مجد، فهى تشجع الزراعة والتجارة وكل أنواع العمل، وتعزر أولئك الطفيليين الذين يعيشون على كواهل غيرهم، وتحتم على كل فرد أن ينفق

(٢) البخارى ١/٢٧.

على نفسه من كدحه وكسبه، ولا تحتقر أى عمل متى أغنى صاحبه عن غيره وكفاه ذل السؤال.

يقول «رينان» [١٨٢٣- ١٨٩٢م] «الإسلام هو دين الإنسان، فروح الشريعة الإسلامية تتسم بطابع جلى، هو إفساح أرحب المجالات للأعمال البشرية».

***

«ولما كان الشرع الإسلامى يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية، غير جامدة، خلافا لشريعتنا [الرومانية] -من بعض الوجوه- ثم إنها علم مادامت تعتمد على المنطق الجدلى الديالكتى، وتستند إلى اللغة، إنها ليست جامدة، ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة، ومدارسها الفقهية العظيمة تتفق كلها على هذا الرأى، فيقول أتباع المذهب الحنفى: إن القاعدة القانونية ليست بالشىء الجامد الذى لا يقبل التغيير، إنها لا تشبه قواعد النحو والمنطق، ففيها يتمثل كل ما يحدث فى المجتمع بصورة عامة، وهى تتغير بتغير الظروف والأحوال، والقانون أيضا عرضة للتبديل والتغيير نظرا للاستعمال والتطبيق. وتتفق المالكية مع الحنفية فى هذا الصدد، ويقولون: «المنفعة هى مبدأ الفقهاء والمشرعين». ولقد أدرك الغرب بوضوح تام سر هذه المرونة، وهو الاستعمال بلا ريب. فالمجتمعات بوصفها أعضاء حية تعترضها فى حياتها تغييرات مستمرة..»

«إن أسس السلطة العظيمة التى منحها الفقهاء المسلمون للعرف والعادة هذه، إنما هى شكل من أشكال القواعد غير المكتوبة التى تكمن فيها القدرة على صنع القانون وتبديله وتحويره «ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن»، فعندما يكون هذا الاستحسان (الاستعمال) ثابتا موافقا للنظام العام، غير مخالف للأخلاق الحميدة، أو مضاد لقواعد الشريعة العامة، كان له إذ ذاك قوة القانون، لا بل كان الجزء المتمم له..»

«إن الشريعة لم تقتصر على قبول العرف وحده، بل أخذت تتبعه فى كل تغيراته (القاعدة العامة تقضى بأن تكون الممارسة والعادة مصدر كل قانون، تلك العادة التى لا تتغير إلا بعادة)».

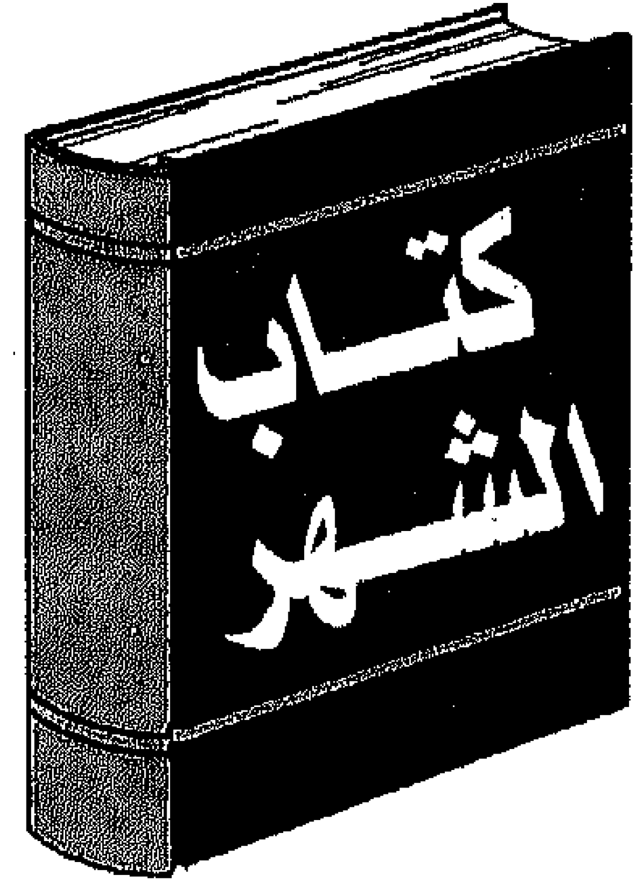
تلك هى الميزات التى تسم الشريعة الإسلامية فى كبد حقيقتها، قد تجرؤ على وضعها فى أرفع مكان، وتقليدها أجل مديح علماء القانون، وهو خليق بها.

ومجمل القول: أنها سمت حتى أصبح علينا أن نترسم وجه مقارنة بينها وبين قواعد وإجراءات القوانين الإقطاعية السائدة -[يقصد فى الغرب]- أيام ازدهرت الشريعة الإسلامية.

أما ما يفتقر إليه الشرع الإسلامى، فهو ما كانت تفتقر إليه جميع الشرائع التى سبقتها وعاصرتها وكثير من الشرائع التى لحقت بها، أعنى وجود مسحة من الفوضى وعجز فى التبويب والتنظيم، تلك الأسباب التى «أدت بالعرب إلى الضعف السياسى، وكانت فى الوقت نفسه مصدر الضعف الذى تخلل نظامهم القانونى..»[٣].

---

(٣) المصدر السابق ص٤٠٩، ٤٣١، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٣٦، ٤٣٨- ٤٣٨، ٤١٦- ٤١٨، ٤١٣، ٤٣٨.



الإرهاب الغربى

تأليف

روجيه جارودى

ترجمة

د. داليا الطوخى د. ناهد عبدالحميد
د. سامى مندور

الجزء الأول

عرض وتحليل ونقد

الأستاذ الدكتور / إبراهيم عوضين

٣

الإنسان - بأصل تكوينه وإيجاده - مفطور على كل ماينمو به فى المسار الذى يؤدى به دور الاستخلاف فى الأرض الذى أناطه به الخالق جل وعلا وفق علمه وتدبيره، على ماأوضحه سبحانه وتعالى لملائكته فى قوله:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾

(البقرة: ٣٠)

وقد هيأ هذا الخالق العليم فى كيان ذلك الإنسان بذور الدوافع التى تحركه وتقوده لأداء دوره فى الأرض، وهيأ له من الإمكانات مايستعين به على أداء ذلك الدور، وربط بين الدوافع والإمكانات المحدودة بحدود الذاتية الفردية، وبين الدوافع والإمكانات المطلقة العامة والشاملة، وجعل الأرض ومايكنفها من الاتساع والرحابة بالقدر الذى لايضيق بالإنسان فيها مسعى مستقيم، ولايعجز أمامه مكان عن تلبية حاجاته الحيوية!

ولكن هذا الإنسان - فى مسيرته الوديعة تلك - عنت له عوارض الأثرة والذاتية، فزلزلت الأرض الثابتة تحت قدميه، فمادت تلك العوارض بمن استجاب لها عن الطريق السوى، واستولى عليه من الأوهام الخادعة ما أفقده الاستبصار. ونأى به عن توازن الفطرة، فرأى نفسه على غير حقيقتها.. حتى ادعى الألوهية.. بل الألوهية المتفردة، على نحو ما قرره فرعون موسى فى قوله:

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾

(النازعات: ٢٤)

ثم فى قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾

(القصص:٣٨)

وبهذا صار الإنسان فى الأرض غير الإنسان، بعد أن انخلع من مقومات الفطرة التى فطره الله عليها، وتجلى ماأرشدنا إليه المصطفى ﷺ فى قوله:

«كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه، وينصرانه..» (سنن أبى داود: ٤/ ٢٢٩).

وهكذا .. حل الفساد فى الأرض محل النماء، وذاق الإنسان - كل إنسان - ألوان الذل والهوان على يدى أخيه الإنسان، على مانبه إليه المولى سبحانه فى قوله :

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾

(الروم:٤١)

وقد بدأ ذلك أول مابدأ فى هيئة سلوك فردى، كان من أحد أبناء آدم قبل أخيه، حيث نفس أن تُقبِّل قربانه. ولم يتقبل منه هو ماتقرب به، فقتله.. ثم أصبح هذا السلوك الشاذ - مع مرور الزمان - ظاهرة عامة، ضجت منها الأرض التى أفعمت تربتها بدماء الضحايا، وتحول الإنسان بذلك عما أناطه الله به من استخلافه فى الأرض.

وجارودى - فى ثنايا كتابه هذا - يقدم إحدى مراحل هذا التحول الإنسانى عن فطرة الله سبحانه.

ميلاد الوحش فى الإنسان وتطوره

وفى الفصل الثالث (نشأة المتوحشين) ترجمه الدكتورة ناهد عبدالحميد.. ينتقل (جارودى) مع الإرهاب الغربى إلى ميدان آخر أفرخ فيه هذا الإرهاب وتفاقم، لينتهى بالإنسان الى المذهب الذى يدفع إلى تحقيق المنفعة البحتة، وفرض السيطرة الرأسمالية، بعد التجرد من أى معنى إنسانى يميزعن الوحش الكاسر فى الغابة.

ويذكر جارودى: أن الطريق إلى هذه المنفعة وتلك السيطرة لم يكن سوى قصر الإنسان على غاية واحدة، يصل إليها بالتطور المستمر للعلوم والتكنولوجيا، وماهذه الغاية إلا السيطرة والمنفعة، أو (رأسمالية المجتمع).

ومن هنا .. تبدو حتمية الاستعمار الذى يلزم هذا الإنسان الوحش بأن يدمر كل الثقافات غير الغربية، ويمحو كل الأخرى للتفكير والحياة، وذلك لكى يتمكن من خنق أى توجه مقاوم.

ومثل جارودى لذلك المسعى من هذا الوحش بشعار (التنمية)، ذلك الشعار الذى يعمى به أعين فريسته، ويصم

آذانه، حتى يخلد إلى الاستسلام المطلق أمام ما يفعل به وبثرواته، وبقيمة، وبثقافاته.

وإذا كانت (التنمية) تعنى فى المفهوم السوى: البدء بتنمية الفرد، وتعهد طاقاته الجسمانية والفكرية، والروحية بالازدهار، حتى يتمكن من المشاركة الخلاقة فى تحسين القديم من المخترعات، وتقديم الحديث من الإبداعات.. بما يستلزمه هذا من إقامة علاقات اجتماعية، تعمل على إذابه الفروق العميقة، ومن توفير للحرية ذات المسئولية، ومن خلق الوسائل التنموية التى تتلاءم مع تنمية كل أفراد المجتمع، ومن توفير للحاجات المباشرة اللازمة للمتطلبات المعيشية، والاحتياجات الثقافية والروحية والفكرية.. يقول جارودى: إذا كانت التنمية فى المفهوم السوى تعنى هذا، فإن التنمية فى التعبيرات الغربية المعاصرة يتم تحديدها وفقا لمعايير معينة أحادية الجانب، واقتصادية صرفة، فهى تنمية نوعية للانتاج والاستهلاك، لاتعتمد على إرادة الإنسان، ولا على أى خاصية من خواص الحياة.

أى: إن التنمية التى تسود المجتمعات الغربية المعاصرة.. إن هى إلا سعى لتحقيق المنفعة المادية الاستهلاكية، وليس لتحقيق تنمية الإنسان.

ولهذا.. كان الشرط الأساسى لتنمية الغرب.. هو نهب القارات الثلاثة، واستنزاف ثرواتها لصالح أوروبا وأمريكا الشمالية، مما أدى إلى تخلف مايطلق عليه نفاقا (العالم الثالث)، فالتخلف هو التعبير الواقعى عن علاقة استغلال بلد بلداً آخر، إذ التنمية والتخلف هما الأساس للنظام الرأسمالى.

فالنمو الغربى قام على إبادة الهنود فى أمريكا، وماصاحب ذلك من حماية تجارة العبيد لاستغلالهم فى المناجم. وزراعة الأراضى الأمريكية. ومن السيطرة السياسية والعسكرية على أفريقيا، وأكبر جزء من آسيا وأمريكا اللاتينية، وذلك لضمان الاستثمارات المربحة للغاية فى الصناعة والتجارة، عن طريق بخس أجر الأيدى العاملة، ورفع أسعار المنتجات المستوردة.

ثم ظهر أخيرا نمط جديد من استغلال العالم الثالث .. تمثل فى الشركات متعددة الجنسيات الأجنبية التى تقام داخل الحدود الوطنية، لتنظيم عملية النهب فى حماية القوى الكبرى، مثل الولايات المتحدة.. كما رأينا صنيعها فى (جواتيمالا) وفى (فيتنام) ثم فى (العراق).

وهكذا .. استطاعت أوروبا أن تقضى على صفة (الإنسانية) لتقيم نهضتها

على سيطرة السوق وتفرده، وتقديس المال، فقسمت العالم قسمين، من يملك، ومن لايملك. وجعلت المال هو القوة المحركة لكل الأفعال، فحولت العالم مرة أخرى إلى عالم متوحش، يحيا فى أدغال رأس المال، على الرغم من المحاولات الحادة التى بذلها كثير من المفكرين لإيقاف زحف هذه البربرية المتوحشة.

ومثل جارودى لهؤلاء بـ (توماس مور) الذى أعدمه الملك (هنرى الثامن) ١٥٣٤م، لمحاولته التصدى لزحف هذا الوحش، ودعوته إلى التنمية التى تهدف إلى تحقيق رفاهية الإنسان، لا إلى تكديس الذهب.

ومثل بالكاتب الفرنسى (مونتانى) ١٥٣٣ / ١٥٩٢م، الذى أدان التوجهات الجديدة للتاريخ، وأشار إلى الحال التى يمكن أن يصبح عليه التقاء العالمين، إذا التقيا على الحوار، والتفاعل المتبادل، وليس على إلغاء الآخر، والسلب بالقوة والإبادة، ثم تساءل عن الحال التى كانت سيصبح عليه العالم لو التقت أوروبا وأمريكا الهندية فى أمور تختلف عن طموحات المرتزقة، والتجار المتعطشين للذهب.. إن معظم الأحاديث والمفاوضات التى أجريناها - نحن الأوروبيين - معهم تدل على أنهم ليسوا فى مرتبة أدنى منا، من حيث وضوح الفكر التلقائى، والفطنة! كم كان الأمر سهلا لتحقيق المنفعة المادية فى تعاملنا مع هذه النفوس البريئة، ولكنا استغللنا جهلهم وعدم خبرتهم.. فى إخضاعهم لعاداتنا، كى يحذو حذونا، سواء بالخيانة، أو بالإغراء، وبالترف، أو بالبخل. وبكل أنواع الممارسات اللاإنسانية والقسوة القاهرة.

ومثَّل بالسيد (Bartolomede las casas) الذى يؤكد همجية الغازين قائلا: «كى يطعموا كلابهم، كانوا يكبلون الهنود، ويقتادونهم، ويقتلونهم، ويجعلون من لحمهم البشرى جزارة متنقلة»، «إن همجيتهم لايمكن أن تقارن بهمجيتنا، فلقد تفوقنا عليهم فى كل أنواع البربرية».

مقومات الإرهاب الأوربى الحديث

ورجاء جارودى - بنظراته المتأنية الفاحصة - يرى: أن الغرب انتقل بمسلمات (بولس) التى باركت القوة الغاشمة، والعنف المدمر، وفرضتها.. مع دعمها من الغرب بمسلمات ثلاثة جديدة تمد الثقافة الغربية بالقيم المناسبة للتحديث، وتصنع المحور الفريد للمبادرة التاريخية.. هذه المسلمات هى مسلمة (آدم سميث) الإنجليزى فى العلاقات الإنسانية، ومسلمة (ديكارت) الفرنسى فى علاقتنا مع الوجود، ومسلمة (فاوست) الألمانى فى علاقاتنا

المستقبلية.

١ - أما مسلمة (آدم سميث) القائلة: «عندما يعمل كل منا على سبيل منفعته الخاصة، فهو بهذا يسهم في تحقيق المنفعة العامة»، فقد كانت هذه المسلمة.. هي الملهمة لظهور النمط الأول للرأسمالية، الذى دفع شركة الهند إلى إهلاك أكثر من ثلثى سكان المنطقة التى كانت تتمتع بازدهارها الزراعى.. ودفعها إلى نشر البؤس بشدة فى مناطق أخرى.. على ماجاء فى التقرير الرسمى للشركة سنة ١٧٧٠م، وجاء فى أحصائية اللورد (كورنواليس) الحاكم العام للهند: «إنه يستطيع التصريح - بكل تأكيد - أن ثلث أراضى هندوستان تحولت الآن إلى غابة تقطنها الحيوانات المفترسة» وكان القانون العقارى الدائم سنة ١٧٩٣م الذى قسم الهند أربع مناطق كملكيات خاصة، فأتاح الفرصة لسلب الأراضى التقليدية الريفية من الفلاحين.. هذا القانون، وتلك السياسة كانا السبب الرئيسى فى مجاعة الهند الأولى، حيث وقع مليون قتيل بين عامى ١٨٠٠، ١٨٢٥، وأكثر من خمسة ملايين بين ١٨٥٠، وسنة١٨٧٥م وخمسة عشر مليونا بين سنة١٨٧٥، و١٩٥٥م، فتم القضاء على الاقتصاد الزراعى المعيشى فى الهند، وتلاه انهيار صناعة النسيج، حتى تحولت الهند إلى مستورد للأقمشة من (مانشستر) الإنجليزية فى المدة بين سنة ١٨١٤، وسنة ١٨٣٤م.

وجاء (هوبس) ليرسم مسار منهج (الفردانية التنافسية)، فدعا إلى: الدكتاتورية الشمولية التى تأخذ شكلا سياسيا مقنعا، ولكن مغاليا ومستبدا من الناحية الاقتصادية، لأنها محاولة لفرض الهيمنة الدولية عن طريق توحيد السوق.

وآزر (سميث) و(هوبس) فى هذا السبيل كل من (جون لوك) الذى روج لفكرة إنشاء البنوك، و(بنثام) الذى دعا إلى إلزام الشرع بفرض عقوبات اقتصادية نسبية مقارنة بالجنحة المرتكبة، والذى أجمل فكرته فى عدم التفريق بين الإنسان والحيوان ومعهما (جون ستوارت ميل) الذى ظل مروجا للاستعمار وداعية له، حتى انخرط فى حرب الأفيون ضد الصين سنة ١٨٤٦م، وفى قمع ثورة المحاربين الهنود سنة ١٨٥٨م ورابعهم (مالتوس) الذى آزر الزعم الرابط بين الزيادة السكانية والبطالة، لإخفاء المسئول الحقيقى عن جريمة الجوع.

٢- وأما مسلمة (ديكارت) فتدعو إلى أن «تصبح أسيا والعالم وملاكه» بناء على اعتقاده فى مفهومى (الشمولية)، و(الاستمرارية) التى يحققها وجود الآلة.. هذا الاعتقاد الذى أنطلق به إلى

استعباد أى معنى، وأية غاية للوجود، والإيمان بالسيطرة التقنية على العالم.

وعلى هذه الفلسفة الديكارتية بعد تنقيحها قامت فى فرنسا فلسفة التنوير، فأدت إلى ظهور المذهب الآلى المادى الذى ينكر وجود الروح والعالم الآخر، والله.

وبتلك السيطرة التقنية على العالم.. تمكنت أمريكا من إبادة ثمانين ألف نسمة فى لحظة واحدة بقنبلتها على (هيروشيما)، فتفوقت على جنكيزخان، والذى شيد هرما ارتفاعه ألف جمجمة فى سبعة أيام عندما استولى على أصفهان.. مع العلم أن المخزون النووى حاليا يوازى أكثر من مليون قنبلة تماثل قنبلة هيروشيما، أى تكفى لتدمير سبعين مليار نسمة، ومحو كل أثر للحياة على وجه الأرض.

ومن ناحية أخرى: يبدو أثر تلك السيطرة التقنية واضحا فى تدمير طبقة الأوزون الناجم عن التلوث الصناعى وعن ماينشأ عما يفعله الجشع المادى من تدمير للغابات والمساحات الخضراء التى تمثل المتنفس الطبيعى للإنسان على الأرض.

٣-أما مسلمة (فاوست) فتدعو الإنسان إلى أن يتحول بفضل عقله إلى إله، وإلى سيد ومولى كل عناصر الكون، وإلى أن يتولى تسيير العالم بدلا من الله، كما ردده عمالقة الفكر، مثل (جوتة)، و(كانط)، و(فيخت)، و«هيجل» ثم طوره «أوجست كونت» باختلاقه نوعا من الكاثوليكية بغير إله، وباختلاقه كنيسة تؤمن بالوضعية.

بهذا الإرهاب المتنوع بدأت عملية نهب ٩٠٪ من الثروات المادية فى العالم، وقام بهذا النهب أولئك الذين يعيشون من أجل الثراء والقوة، حيث وجد مايطلق عليه الغربيون مصطلح (العصور الحديثة).. وماكلف المؤرخون بنقل (أيديولوجيته) إلى الأطفال، وكلفت وسائل الإعلام بنقلها إلى البالغين.

فى الطريق إلى الانتحار الكونى

وفى الفصل الرابع (الجغرافية السياسية للقرن العشرين) ينبه جارودى إلى: أن فشل الرأسمالية، وإفلاسها بعد هيمنتها على العالم قرابة نصف قرن من الزمان .. هو الحدث الأكثر دلالة خلال النصف الثانى من القرن العشرين، حتى رأى بعض المفكرين فى ذلك الانجراف الى حالة من الانتحار الكونى.

ورؤيتهم تلك.. ناجمة عما رصدوه من تجميع لرأس المال خلال عمليات استعمارية امتدت خمسة قرون وتراكم للمال فى حيازة الدول الكبرى الصناعية فى أوربا القديمة، حيث اتسم هذا المال بسمتين أساسيتين لتحقيق المزيد من

الأرباح، هما المضاربة، والطفيلية، دون تفكير فى أى إنتاج مفيد للبشرية، حتى أصبح أفضل معيار يحدد العمل الخلاق هو العمل الذى يزيد من معدل تراكم الثروات، وحتى أصبحت كلمة (التقدم) تعنى: الانحراف الأعمى الذى يقود إلى تدمير الطبيعة البشرية، وحتى أصبحت كلمة (الديمقراطية) تعنى: انتهاك حقوق الإنسان، وحماية الأغنياء فى تحقيق مزيدٍ من الثروات، وتغذية الصراعات والحروب الأهلية فى الدول الأفريقية والآسيوية، والتدخل السافر فى الشئون الداخلية للدول المقهورة فى العالم الثالث بدعوى صيانة حقوق الإنسان.

وحتى أصبح مايطلق عليه (التبادل الحر) أو (السوق الحرة) وسيلة يفرض بها الأقوياء قواعدهم الديكتاتورية غير الإنسانية لافتراس الضعفاء.

وحتى أصبح مايطلق عليه (العولمة) لايعنى سوى الاتحاد الاستعمارى لتدمير التنوع الحضارى، وفرض أحادية ثقافية، تطمع فى الهيمنة على هذا الكوكب.

وهكذا .. أصبح مايطلق عليه (تنمية) إنما يعبر عن نمو اقتصادى بلا نهاية، دون اكتراث بكونه مفيدا أو ضارا، حيث عُدَّ من التنمية.. إنتاج الأسلحة بكافة صورها، والمخدرات بكافة أنواعها.

وبذلك .. انتصر حفارو القبور الذين حاولوا وضع قواعد منظمة لكل العلاقات الإنسانية فى السوق، فأضافوا (توحيد السوق) إلى (الذرَّة)، و(الصاروخ) لتحقيق وحدة تدمير العالم، على الرغم من توفر الوسائل التى يمكن أن تسمح بتحقيق نوع آخر من توحيد العالم. مثل وسائل الاتصال البرى والبحرى، والجوى المستحدثة.

فتزايد معدل الدمار والخراب فى ظل هيمنة جماعات المافيا، وتزايد أعداد العاطلين والمستبعدين ليملؤا شوارع كل الدول، تحقيقا لما ترمى إليه الأصولية العولمية - بتعصبها المتطرف - والاستعمار ببطشه الطاغى من فرض عالم واحد، له اقتصاده، وسياسته، وجيوشه وثقافته، وديانته الواحدة، ورفض أى تنوع.

من وسائلهم التدميرية

وينبه جارودى إلى : أن انتصار هؤلاء الأصوليين المنتمين إلى الكنيسة الشمولية التى تهيمن عليها عقلية استحوازية تجلب البؤس، والحرب، والتفرقة النوعية.. انتصار هؤلاء دفعهم إلى السخرية من قيامة (يسوع) واختياره التفضيلى للفقراء.

وساعد على ذلك .. ماأصيب به المسلمون من مرض الانغلاق، والعصبية

العمياء، والقصور فى فهم جوهرالإسلام بعالميته التى بجلت كل الأنبياء، وأسهمت فى مزج الثقافات والحضارات، دون انغلاق.

١- ثم يذكر جارودى أن هؤلاء الأصوليين يعتمدون - فى تحقيق مآربهم - على طائفة من الحكام الدمويين يمكنون لهم فى كل موطن يريدون استعماره، من دول أمريكا اللاتينية، وأفريقيا، وآسيا، وبخاصة فى الدول المهددة بالمجاعة، وتفشى الأمراض المعدية.

٢- ويرى جارودى أن من الوسائل التى تقود بها أمريكا دول العالم - خصوصا أوروبا - مايقوم على ماقرره من قبل (ترومان) فى قوله: إذا رأينا أن ألمانيا تتفوق فعلينا مساعدة روسيا، وإذا احتلت روسيا مكان السبق والانتصار فعلينا مساعدة ألمانيا بطريقة تقود إلى الاقتتال المستمر بين الاثنتين قدر الإمكان.

وفى الوقت نفسه .. تقوم على مارصده المدير التنفيذى لصندوق النقد الدولى فى ٣٠ مارس ١٩٩٢ فى قوله: «لقد أظهر النظام الذى قمنا بصياغته وتطبيقه والدفاع عنه أنه يتمتع بقدرة عالية على خلق وتكوين الثراء وزيادة معدل التراكم الرأسمالى.، دون أن يكون للجانب الإنسانى فى هذا النظام الأهمية اللازمة. وقد أصبح الفرد فى هذا النظام يعمل وفق هدف وحيد، مفاده: الإنتاج، ثم الإنتاج لزيادة معدل التراكم الرأسمالى فى المجتمع لصالح قلة مهيمنة، حيث إننا تجاهلنا الوظيفة والبعد الاجتماعى والإنسانى لهذا النظام الذى ندافع عنه من خلال توظيفنا للأفراد حسب أهداف النظام».

٣- ومن وسائلهم - كذلك - تقبل الفساد أساسا من أسس النظام، بل والثناء عليه.

ففى فرنسا مثلا: عرف (آلان كونا) منطق نظام (اقتصاد السوق) بأنه: «صعود الفساد والأنانية التى تدفع الأنشطة المالية والإعلامية حيث تتيح بعض المعلومات ثروة لايمكن لأى عمل جاد أن يحققها طيلة حياة كاملة»، ويضيف: «يلعب الفساد دوراً مهما فى تحقيق بعض الأهداف التى يتم صياغتها، والتخطيط لها فى هذا الاقتصاد».

وفى المانيا، قرر (هورست إبرهارد): أن «من يريد أن يحكم عليه أن يمارس الفساد، والتفاعل بين فن الفساد والخضوع للفساد يخلق، ويحفظ، ويحمى النظام.. فى السياسة لا يوجد مكان للضمير، لأن هذا يعنى: غياب القدرة على التحرك».

«يتبع»

الخيار العسكرى وإيران النووية

للأستاذ / صلاح عبدالرحيم محمد

يشغل الملف النووى الإيرانى، بال الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس «جورج بوش»، فهو يمثل التحدى الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية، خاصة بعد أن أعلنت إيران، برئاسة «محمود أحمدى نجاد»، أنها على أعتاب دخول النادى النووى العالمى، بعد نجاحها فى تخصيب اليورانيوم، بنسبة ٤,٨٪، وأن ما يقلق أمريكا كثيراً، أن يتحول البرنامج النووى الإيرانى.. فى ظل احتكار إسرائيل لترسانة نووية ضخمة الى إنتاج السلاح النووى حتى لا تكسر إيران هذا الاحتكار النووى الإسرائيلى فى المنطقة.

وعلى الرغم من تأكيد طهران أن برنامجها النووى مخصص فقط لإنتاج الطاقة الكهربائية، لكن الإدارة الأمريكية لا تثق فى النوايا الإيرانية، وتصر على إيقاف تخصيب اليورانيوم على الأراضى الإيرانية، حتى لو أدى ذلك إلى استخدامها القوة العسكرية ضد إيران الشيعية المسلمة، فتؤكد تصريحات وزيرة الخارجية الأمريكية «كوندوليزا رايس» مدى ضيق الخيارات أمام الإدارة الأمريكية الحالية، خصوصا الخيار العسكرى، فتقول: «إن الولايات المتحدة، قد تلجأ إلى خيار شن الحرب ضد إيران، من دون موافقة مجلس الأمن الدولى، إذا عجزت عن إصدار قرار من هذا المجلس، وذلك اعتماداً على حقها فى الدفاع عن النفس».

العاصفة تتجمع

ويبدو- كما يذهب البعض- الى أن الضربة العسكرية ضد إيران، قد انتقلت من دائرة الفكر إلى دائرة التخطيط، فإن تدفق العديد من التقارير والتحليلات عبر وسائل الإعلام المختلفة، فى الآونة الأخيرة تكاد تجمع على أن احتمال اللجوء إلى الخيار

العسكرى بات وشيك التحقيق. فقد نشرت جـريدة «واشنطن بوست» فى التـاسع من ابريل ٢٠٠٦، تقريراً كتبه كل من «بيتر بيكر»، و«دافنالينز»، و«توماس ريكز» تحت عنوان: الولايات المتحـدة تدرس خيـارات توجيه ضربة عسكرية إلى إيران». كما نشرت وكالة «نوفوستى» الروسية للأنباء فى الرابع عشر من ابريل ٢٠٠٦، تحليلاً كتبه الجنرال «جينادى يستافييف» تحت عنوان: «العاصفة تتجمع فوق إيران». فكل هذه التحليلات السياسية التى اخترنا منها نموذجين تؤكد أن الخيار العسكرى- فى الرؤية الأمريكية- بدأ يتحول من «دائرة الخيار الأخير»، إلى «دائرة الخيار الوحيد». فيرى المحللون أن الولايات المتحدة تملك فى يدها من الأوراق الضاغطة، ما يحقق لها الفوز على الساحة الإيرانية، إذ أنه لايزال فى إمكانها أن تعتمد على حلفائها فى المنطقة، وعملائها على الصعيد العربى والإسلامى والدولى، فهناك الاتحاد الأوروبى، وهناك إسرائيل أول المحرضين على استخدام القوة المسلحة ضد إيران، وهناك بعض الأنظمة العربية الحاكمة التى تعتقد أنها على أتم الاستعداد للتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية، راغبة، أو مضطرة، إما بدافع الخوف من الأطماع الإيرانية فى الخليج، وإما بدافع الحاجة إلى «جزرة الولايات المتحدة» أو الخوف من عصاها. ويعتقد الكثيرون أنه فى كل الأحوال فإن الإدارة الأمريكية الحالية التى يحكمها المحافظون الجدد، قد لا تحتاج الى إذن من أحد بالمرور أو العبور، بسبب تواجدها فى المنطقة، بقواتها، وأساطيلها، وقواعدها الجوية.

ويتساءل المراقبون ماذا تريد الولايات المتحدة من وراء التلويح بالخيار العسكرى ضد إيران؟

إن الولايات المتحدة تريد أن تتخلى إيران عن برنامجها النووى، وأن تساعدها فى تهدئة الأوضاع فى العراق، وعدم الاعتراض على بقاء قواعد عسكرية أمريكية دائمة فى المنطقة، والضغط على حلفائها للامتثال للمطالب أو الأوامر الأمريكية.

ففى لبنان مطلوب من إيران أن تضغط على حزب الله لإقناعه بإلقاء السلاح لتأمين شمال الجليل الإسرائيلى، والضغط أيضا على الفلسطينيين فى المخيمات بتسليم أسلحتهم، وربما محاولة اقناعهم بقبول التوطين فيها.

وفى سورية مطلوب من إيران التخلى عن دعم النظام الحاكم بقيادة الرئيس بشار الأسد، أو إقناعه بالتعاون مع أمريكا، وتنفيذ كل ما يخص سورية فى القرارين ١٥٥٩، و١٦٨٠.

والواضح ان الهدف من هذه المطالب الأمريكية، هو إحراج القيادة الإيرانية لأن هذه المطالب غير قابلة للتحقيق فى الواقع الراهن، وأن الهدف الحقيقى الذى تسعى إليه الولايات المتحدة من التلويح باستخدام

القوة المسلحة ضد إيران يبدو أنه إسقاط النظام الإيراني الإسلامي.

من أجل إسرائيل

واللافت للنظر أن الوثيقة الأخيرة لاستراتيجية الأمن القومي الأمريكي قد احيت هذا الخيار العسكري، وأكدت عقيدة الرئيس الأمريكي «بوش» بحق الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام بضربات وقائية ضد أي تهديد حالي أو مستقبلي للقوة العظمى في أي مكان كما يرى «كينيث بولاك» مدير قسم البحوث في مركز سابان للسياسات الشرق أوسطية التابع لمعهد بروكنجز الأمريكي، «أنه يتعين على الولايات المتحدة أن تفكر جديا في إمكان شن هجمات جوية ضد المنشآت النووية الإيرانية بهدف إعاقة البرنامج النووي الإيراني لاحتواء إيران»، ويذهب كثير من المحللين إلى أن الولايات المتحدة قد تضطر من أجل أمن إسرائيل إلى اللجوء للخيار العسكري منفردة أمام عناد القيادة السياسية الإيرانية. وعلى رأسها «محمود أحمدي نجاد» الذي يهدد الدولة العبرية بمحوها من الخريطة السياسية، والتشكيك في المحرقة اليهودية، وأن ثمة عدداً من العوامل قد تدفع الجانبين إلى المواجهة المسلحة، بينهما يأتي في مقدمتها:

أولاً: أنه لأول مرة، منذ قيام الجمهورية العراقية عام ١٩٥٨، يصل حلفاء طهران إلى مواقع السلطة في بغداد، ويشكلون الأغلبية في البرلمان العراقي.

وثانيا: احتفاظ الجمهورية الإيرانية الإسلامية بعلاقات قوية مع سوريا، وازدادت هذه العلاقات رسوخاً، بعد الضغوط الأمريكية المتوالية على سوريا.

وثالثا: ارتباط حزب الله مع إيران بوشائج قوية غير محكومة بسقف السياسة، بل السقف المرجعية الدينية، بالإضافة إلى أنه الطرف الأقوى على الساحة اللبنانية، وقد سمح سلاح حزب الله وحضوره في الجنوب اللبناني لإيران بالإطلال العسكري على العمق الإسرائيلي، وهو أمر جديد في تاريخ الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

ورابعاً: من الواضح. أن إطلالة إيران الجغرافية على الخليج العربي بما فيه مضيق هرمز من الشمال، يضاف إلى ذلك قوة إيران الديموجرافية، وقدراتها العسكرية تؤهلها بأن تصبح «قوة إقليمية كبرى»، خصوصا بعد انهيار قدرات العراق العسكرية والاقتصادية منذ الاحتلال الأمريكي له في التاسع من ابريل ٢٠٠٣.

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن احتمال توجيه ضربة عسكرية ضد إيران من شأنه تعريض العديد من المواقع الأمريكية والإسرائيلية للضربات العسكرية الإيرانية وأهمها استهداف القوات الأمريكة في العراق، سواء من الأراضي الإيرانية أو الأراضي العراقية من خلال حلفاء طهران،

واستهداف القواعد العسكرية الأمريكية فى الخليج بالصواريخ الإيرانية، واستهداف مواقع القوات الأمريكية فى أفغانستان انطلاقاً من الأراضى الإيرانية، والأراضى الأفغانية عبر حلفاء طهران، واستهداف المنشآت العسكرية فى شمال إسرائيل من مواقع حزب الله فى الجنوب اللبنانى، وضرب العمق الإسرائيلى بصواريخ «شهاب- ٣»، وإغلاق مضيق هرمز فى وجه السفن الحاملة للنفط إلى العالم، مما يسهم فى ارتفاع أسعاره إلى ما يجاوز المائة دولار للبرميل الواحد، أو يزيد.

ويرى الخبير العسكرى الأمريكى «ريتشارد روسيل» أن الخيار العسكرى هو خيار ملئ بالمخاطر، إذ يترتب على القوة المهاجمة ضرب المئات من المراكز الحساسة أو احتلال البلاد، وهى مغامرة فى الحالتين تفوق كلتاهما قدرات الولايات المتحدة الغارقة الآن فى المستنقع العراقى.

ايران لا تشكل تهديداً

وفى هذا السياق يقول «زبيجنيو بريجنسكى» مستشار الأمن القومى الأمريكى الأسبق «أن ثمة أسباباً عديدة قد تدفع بعيداً عن التفكير فى ضرب إيران ومنشآتها النووية:

الأول: أن إيران لا تشكل أى تهديد حتمى للأمن القومى الأمريكى، فمازال الوقت مبكراً أمام إيران لتطوير قنبلة نووية.

والثانى: أن رد الفعل من جانب إيران يمكن أن يضاعف من الصعوبات التى تواجهها الولايات المتحدة فى كل من العراق وأفغانستان، خصوصاً أن طهران تمتلك أوراقا ضاغطة على المصالح الأمريكية فى هاتين الدولتين، بل يمكن لها استيعاب الضربة الأمريكية والرد عليها بقوة مؤثرة، فهى ليست دولة صغيرة أو ضعيفة.

والثالث: أنه إذا تحولت التهديدات الأمريكية إلى ضربة، عسكرية ضد إيران، فإن أسعار البترول العالمية ستتصاعد إلى مستويات فلكية، وربما تؤدى إلى حدوث انهيار الاقتصاد الأمريكى والعالمى على السواء. والرابع: أنه فى اليوم التالى لضرب إيران ستتحول الولايات المتحدة إلى هدف رئيسى لضربات المنظمات الإرهابية الموالية لإيران فى كل مكان.

والخامس: إن مثل هذا الهجوم العسكرى الأمريكى على إيران سوف يعزز مشاعر العداء للولايات المتحدة الأمريكية بين العرب والمسلمين، وربما تتعرض المصالح الأمريكية فى العالمين العربى والإسلامى للخطر.

وفى هذا الإطار يصف «بريجنسكى» الضربة العسكرية ضد إيران بالحماقة فيقول: «إن أى هجوم أمريكى على إيران هو حماقة سياسية كبيرة». ويضيف مستشار الأمن القومى الأمريكى الأسبق قوله: «إن الإدارة الأمريكية ترتكب حماقة أخرى

بإصرار مسئوليها على ترديد عبارة أن «الخيار العسكرى مازال مطرحاً فى التعامل مع إيران، فمثل هذا الكلام لافائدة منه للأمريكيين، بل يصب فى مصلحة القيادة الإيرانية بزيادة التفاف الشعب الإيرانى حولها، ويتحول البرنامج النووى الإيرانى إلى مصدر فخر للشعب الإيرانى كله ويختتم «بريجنسكى» حديثه حول حماقة الخيار العسكرى الذى تلوح به الولايات المتحدة فى وجه الجمهورية الإسلامية الإيرانية فيقول: إذن لا تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية أى خيارات سوى التعامل مع إيران على أساس من الاحترام والتفاهم حتى يمكن تسوية الملف النووى الإيرانى الى جانب العديد من الملفات الشائكة الأخرى فى المنطقة بالوسائل السلمية التى توفر على واشنطن خسائر لاتستطيع تحملها».

استخدام القوة ضد إيران كارثة

وفى هذا الصدد أصدرت مجموعة من وزراء الخارجية السابقين- منهم مادلين أولبرايت «الأمريكية»، ويوشكافيشر «الألمانى»، وهيوبرت فيدرين «الفرنسى»، وفان أرتسين «الهولندى» بياناً يطالبون فيه الرئيس الأمريكى «جورج بوش» أن يتفاوض مع إيران، ويتخلى عن لغة التهديد والوعيد، وحذر البيان من لجوء أمريكا إلى استخدام القوة العسكرية ضد إيران، لأن عواقبها سوف تكون كارثة على العالم.

ومن هذا المنطلق قال العضو الجمهورى البارز فى مجلس الشيوخ الأمريكى السيناتور «ريتشارد لوجار» إن على الولايات المتحدة إجراء محادثات مباشرة مع إيران بشأن برنامجها النووى، وأن تتمهل فى توجهها نحو فرض عقوبات على طهران، فنحن بحاجة إلى تحقيق تقدم أكبر على الصعيد الدبلوماسى».

واللافت أنه يوجد شبه إجماع لدى صناع القرار الأمريكى بأن «الحكومة الحالية فى طهران تمثل تهديداً خطيراً للمصالح الأمريكية، عبرت عنه «وثيقة استراتيجية الأمن القومى الأمريكى» التى أصدرها الرئيس بوش قبل أربعة أشهر، وصفت إيران بأنها «أكبر تهديد يواجه الولايات المتحدة فى المرحلة الحالية». ويصرح الخبير العسكرى الأمريكى «انتونى كوردزمان» بقوله: «إنه على الرغم من كل ماتشير إليه الدراسات من الآثار الوخيمة لأية ضربة عسكرية محتملة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران، من استهداف القوات الأمريكية فى العراق، وتعطيل الممرات الملاحية للنفط، وإشعال الموقف على الجبهة اللبنانية والقيام بعمليات إرهابية ضد المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، فإن صناع القرار فى البيت الأبيض، مازالوا يصرون على عدم استبعاد توجيه ضربة عسكرية ضد إيران، ويرون فى ذلك «رسالة واضحة» لإيران بأن

الولايات المتحدة جادة في إصرارها على عدم السماح لها بامتلاك قدرات نووية» ويصف «كوردزمان» مخطط الإطاحة بالنظام الإيراني الإسلامي الحالي فيقول: يأمل مؤيدو التوجه العسكري في الإدارة الأمريكية من أمثال «ديك تشيني» نائب الرئيس الأمريكي بوش، إلى أن تؤدي الضربة العسكرية إلى إضعاف الحكومة الإيرانية الحالية، وربما تحريك المعارضة الداخلية والخارجية ضدها، إلى جانب تعطيل البرنامج النووي الإيراني لأطول فترة ممكنة، وفي خلالها يمكن للولايات المتحدة مواصلة جهدها للإطاحة بالنظام الإيراني» ومايؤكد هذا المخطط، ما قامت به الإدارة الأمريكية الحالية من إنشاء مكتب جديد، تحت إشراف ابنة نائب الرئيس الأمريكي «ليزتشيني» لتنسيق الأنشطة مع ممثلي المعارضة في الخارج أمثال «على رضا جعفر زادة» المقيم في واشنطن الذي يحرض الإدارة الأمريكية ضد طهران بقوله: «إن الباحثين الإيرانيين يجرون أبحاثا نووية سرية في معامل جامعة الإمام الحسين في طهران» كما حدد هذا المعارض الإيراني أسماء ١٢ عالماً إيرانياً يشاركون في تلك الأبحاث.

منبر للمعارضة

وفي هذا السياق تحاول الولايات المتحدة من خلال القنوات الفضائية التي أنشأتها، أن تكون منبراً للمعارضين الإيرانين لديها، وعلى رأسها «قناة التليفزيون الوطني الإيراني» (إن أي تي في) التي تتخذ من أطراف مدينة «لوس أنجلوس» بولاية كاليفورنيا مقراً لها، ويمكن للمواطن الإيراني مشاهدتها في إيران، ويرى «مايكل ليدن» المحلل السياسي الجمهوري أن المشكلة تتعدى الخطر النووي، وتكمن في «نظام الملالي» الإسلامي الإيراني الذي يجب إسقاطه بدعم ثورة داخلية معارضة لهذا النظام ويُثني هذا المحلل الأمريكي على الخطوة التي اتخذتها إدارة بوش بطلب ٧٥ مليون دولار من الكونجرس لدعم الديمقراطية في طهران، في إطار السياسة الأمريكية الخارجية لتغيير النظام الإيراني القائم، ويذكر في هذا الشأن، أنه في نهاية عام ٢٠٠٤، وضع مجموعة من الجنرالات الأمريكيين «خطة ضرب إيران» أمام الرئيس الأمريكي «جورج بوش» واحتلالها خلال أسبوعين، بحيث تتم على ثلاث مراحل.

الأولى قيام القوات الأمريكية بشن هجوم على قواعد الحرس الثوري الإيراني لتدميره، انطلاقاً من العراق وأذربيجان لمدة يوم واحد.

والثانية يتم خلالها تدمير المنشآت النووية الإيرانية من الجو بواسطة الصواريخ.

وفي النهاية يتم إقامة نظام حكم صديق، موال للولايات المتحدة.

المــأزق الأمريكـــى

وفى إطار الربط بين المأزق الأمريكى فى العراق، وضرب النظام الإسلامى فى إيران، فالحقيقة أن هذا المأزق بلغ أقصاه، بسبب عنف المقاومة العراقية، والخسارة الفادحة فى الأرواح (حوالى ٢٤٦٠ قتيلا أمريكيا، ونحو ١٥ ألف جريح أمريكى)، والنفقات الباهظة (أكثر من ٣٥٠ مليار دولار) كما أن القوات الأمريكية غير قادرة على الرحيل من العراق، إذ إن فى رحليها اعترافاً مبكراً بالهزيمة الأمريكية، وفى بقائها تكلفة بشرية واقتصادية باهظة، هذا بالإضافة إلى الضغوط من جانب الداخل الأمريكى يحث هذه القوات على الرحيل.

ولحل هذه المعادلة المعضلة، والخروج من المستنقع العراقى، فقد تفتق ذهن عباقرة المحافظين الجدد فى إدارة بوش على «بديل آخر» وهو القفز إلى الأمام نحو إيران» لصرف الأنظار عن عمق المأزق الأمريكى فى العراق، بالنسبة للداخل الأمريكى الضاغط بأتجاه ضرورة رحيل القوات الأمريكية منها لذلك جاءت تصريحات وزير الدفاع الأمريكى «دونالدرمسفيلد تؤكد ذلك بصراحة شديد بقوله: «إن الهدف من البقاء فى العراق، وأفغانستان هو من أجل محاصرة إيران» وبذلك يضرب «رمسفيلد» عصفورين بحجر واحد فهو من جهته يجد مبرراً لبقاء القوات الأمريكية فى العراق وأفغانستان، ولو بقاء مؤقتاً، ومن جهة آخرى يبتدع من عنده «تحدياً جديداً» يصرف به أنظار الرأى العام والكونجرس الأمريكى عن محاسبة الإدارة الأمريكية على فشلها فى العراق.

ويلخص المرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية «على خامنئى» أهداف الحملة الإعلامية الأمريكية الشرسة حول البرنامج النووى الإيرانى فيقول: «إنها تتمثل فى هدفين.

الأول: منع إيران من التقدم العلمى عبر التقنية النووية.

والثانى: الدعاية المضادة للنظام الإسلامى الإيرانى وترويج الشائعات حول فشله السياسى».

ويضيف قوله: «إن الولايات المتحدة تتخذ من الملف النووى الإيرانى «ذريعة» لاستمرار حملتها الإعلامية ضد إيران ونظامها الإسلامى، وإذا تراجعت إيران عن حقها المشروع فى امتلاك التقنية النووية من أجل الاستخدامات السلمية، فإن الولايات المتحدة سوف تبحث عن «حجة آخرى» لاستمرار حملتها ضد النظام الإسلامى الإيرانى».

ومن هنا يمكن القول، فى الختام، بأن سيناريو ضرب إيران ونظامها الإسلامى، هو جاهز ومعد للتنفيذ، ولايبقى إلا تحديد ساعة الصفر للإطاحة بقلعة من قلاع الإسلام الشامخة.

فهل من مدكر؟

بين الصحف و المجلات

إعداد

أ/ محمود الفشنى

أ/ عبدالموجود أمين

القرآن بحر من المعارف.. شيد صروح العلم فى العالم

تحت هذا العنوان نشرت جريدة «عقيدتى» الصادرة فى ٢٠٠٦/٦/١٣ كلمات لعدد من علماء الغرب جاء فيها:

الخبير الفرنسى جول لابوم يقول: أيها الناس دققوا فى القرآن حتى تظهر لكم حقائقه فكل هذه العلوم والفنون التى اكتسبها العرب.. وكل الصروح التى شيدوها إنما أساسها «القرآن الكريم».. وينبغى على أهل الأرض على اختلاف ألوانهم ولغاتهم أن ينظروا بعين الإنصاف إلى ماضى العالم ويطالعوا صحيفة العلوم والمعارف قبل الإسلام.. وليعلموا أن العلم والمعرفة لم تنتقل إلى أهل الأرض إلا عبر المسلمين الذين استوحوا هذه العلوم والمعارف من القرآن كأنه بحر من المعارف تتفرع منه الأنهار.. والقرآن لايزال حيا.. وكل فرد قادر على أن يستقى منه حسب إدراكه واستعداده.

الفيلسوف الفرنسى الشهير فرانسوا مارى فولتير يقول: أنا على يقين أنه لو تم عرض القرآن والإنجيل على شخص غير متدين لاختار القرآن إذ أن الكتاب الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم يعرض فى ظاهره أفكاراً تنطبق وبالمقدار اللازم مع الأسس العقلية.. ولعله لم يوضع قانون كامل فى الطلاق مثل الذى وضعه القرآن.

العالم البريطانى فردجيوم الأستاذ بجامعة لندن يقول: القرآن الكريم كتاب عالمى يمتاز بخصائص أدبية فريدة من نوعها لا يمكن المحافظة على تأثيرها فى الترجمة. للقرآن «الكريم» نغمة موسيقية خاصة وجمالية عجيبة وتأثير عميق يدغدغ سمع الإنسان.. ولقد تأثر كثير من المسيحيين العرب بأسلوبه الأدبى.. كما استمال القرآن الكثير من المستشرقين إليه.. فحينما يتلى القرآن نجد نحن المسيحيين أثرا سحريا فى نفوسنا حيث ننجذب لعباراته العجيبة وحكمه وعبره.. ومثل هذه المميزات تجعل المرء يقتنع بأن القرآن الكريم لا يمكن منافسته.. والحقيقة أن الأدب العربى بما فيه من شمولية فى النثر والشعر ليس فيه ما يمكن مقارنته بالقرآن الكريم.

نــذر العاصــفة

وفى جريدة الجمهورية الصادرة فى ٢٠٠٦/٦/١٩ كتب الأستاذ مرعى يونس

تتجمع فى سماء منطقة الشرق الأوسط نذر عاصفة جديدة وخطيرة من العنف وسفك الدماء.. الأفق العربى يبدو داكناً أسود اللون فى فلسطين والعراق وحتى فى باقى دول المنطقة التى يلفها هدوء مصطنع واستقرار واه مثل سراب كاذب.. فى فلسطين المأزق مازال مستمراً.. شعب أعزل تقريباً يتلقى الضربات من البر والبحر والجو يومياً.. يتعرض للتصفية وإرهاب الدولة.. يقابل ذلك عجز عربى كامل، صمت حتى عن الكلام المباح. فى العراق الاحتلال باق ومستمر.. الرئيس الأمريكى بوش الصغير يؤكد أن انتهاء العنف مستحيل بصرف النظر عن مقتل الزرقاوى.. والكونجرس يرفض تحديد جدول زمنى للانسحاب.

لكن الظواهر البادية فى العراق الآن تبدو كقطع الليل المظلم.. الفتنة تطل برأسها.. التفجير داخل المساجد ودماء المصلين تسيل أنهاراً فى أماكن طاهرة المفروض أن يتخلص فيها الانسان من أدران الدنيا.. الأئمة يُقتلون بدم بارد خارج المساجد والفاعل مجهول.. الواقع يقول إن ما يجرى على أرض العراق هو صراع لقوى خارجية معروفة تريد أن تترك أرضاً محروقة أيا كان الثمن الذى سيذفعه العراقيون.

أخطر ما يحدث فى العراق ما أوردته صحيفة «الجارديان» البريطانية بأن هناك الآن فى العراق قوات إسرائيلية خاصة ترتدى الزى الأمريكى وتتركز فى الصحراء العراقية الغربية أى نفس المنطقة التى انطلقت منها صواريخ سكود التى أطلقها العراق ١٩٩١.

صدام أطلق ٤٠ صاروخا على إسرائيل بعضها كان محملا برءوس خراسانية وحسب الصحيفة فإن إسرائيل تطالب بإخضاع الصحراء الغربية العراقية لإشرافها العسكرى حتى لا تضطر لأن تعيش التجربة المرعبة التى عاشتها عام ١٩٩١.

إيران أمامها خياران لا ثالث لهما إما أن تقبل بحوافز وهمية وتوقف تخصيب اليورانيوم وإما العقوبات وما أدراك ما العقوبات فهى قد تنتهى بعمل عسكرى حتى وإن كان على المدى الطويل.. الصومال انتحرت.. كل مدينة صارت دولة لها حكومتها وميليشياتها.. بعض أمراء الحرب يستنجدون بالأجنبى والبعض الاخر يرفض وأذكر الصومال لأنه كان لها دور حيوى فى حرب ١٩٧٣.

فى باقى الدول العربية السخط وعدم الرضا الشعبى هما القاسم فهناك قصور فى الأداء وعدم قدرة على الوفاء بالحد المناسب من التطور والنمو. وثمة ظاهرة أخرى مقلقة تشيع الآن فى العالم العربى وهى الاستقواء بالخارج المتحفز دوما للتدخل ونصرة طرف على الآخر تريدون أمثلة.. فى لبنان قوى ١٤ مارس تستنجد بالأمم المتحدة والدعم الأمريكى والفرنسى لمواجهة قوى لبنانية أخرى معارضة وسوريا.. فى السودان حركة التمرد فى دارفور تعطل المفاوضات برعاية الاتحاد الأفريقى وتؤيد مزاعم تشاد ضد الخرطوم وتطالب بتدخل دولى.

العدوان الإسرائيلى على الشعب الفلسطينى

وتحت هذا العنوان جاءت الكلمة المنشورة فى زاوية «رأى الأهرام»:

تمادت قوات الاحتلال الإسرائيلى فى عدوانها الوحشى على الشعب الفلسطينى بصورة عشوائية متعمدة، متحدية بذلك جميع الأعراف القانونية والأخلاقية التى تحظر استهداف المدنيين الأبرياء، فبعد أن صدمت مذبحة غزة العالم كله قبل أيام، قامت القوات الإسرائيلية بقصف صاروخى لعدد من السيارات المدنية فى القطاع مما أدى لمقتل وجرح العشرات الذين يضافون إلى ضحايا العدوان الإسرائيلى المتواصل.

الأمر المؤكد أن إسرائيل والمجتمع الدولى يتحملان المسئولية الكاملة عن هذا العدوان، فميوعة الموقف الدولى الذى يتسم بحالة من اللامبالاة إزاء السياسة الإسرائيلية، واقتصار رد الفعل على عبارات الشجب والإدانة وضبط النفس، كان عاملا مشجعا لإسرائيل على الاستمرار فى عدوانها.

إن الشعب الفلسطينى يعيش بالفعل مأساة حقيقية، لا تقتصر أبعادها على التجويع والحصار فقط، بل القتل وسفك دمائه تارة بأيدى القوات الإسرائيلية وتارة أخرى بأيدى أبنائه، حيث القتال والمواجهات المسلحة بين حركتى حماس وفتح فى صراع واضح على السلطة ومحاولة كل طرف فرض منطقه ورؤيته، ولم يعد الدم الفلسطينى خطا أحمر لا يمكن تجاوزه، بعبارة أخرى فإن الشعب الفلسطينى هو الضحية للاقتتال الداخلى والعدوان الإسرائيلى وسلبية المجتمع الدولى الذى ساعد فى حصار الفلسطينيين وقطع المعونات عنهم، إن الأوضاع الحالية تفرض ضرورة التدخل العاجل من جانب المجتمع الدولى، خاصة مجلس الأمن، لاتخاذ إجراءات محددة لوقف العدوان الإسرائيلى المتواصل على الشعب الفلسطينى، كما أن على الفلسطينيين على اختلاف توجهاتهم السياسية نبذ العنف وانتهاج الحوار لبلورة موقف مشترك لمواجهة التحديات المتزايدة حتى لا تتجه الأمور إلى ما هو أسوأ.

***

ندوة بالرياض تناقش

تطوير أنظمة العدالة

تأصيل منهج الوسطية فى الإسلام والتقيد به قولا وعملا وسلوكا

عقدت بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية وبالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية ندوة علمية تحت عنوان «تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب، فى الفترة من ٣ - ٤ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ الموافق ٣٠ - ٣١ مايو ٢٠٠٦. وحضر هذه الندوة معالى الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى والدكتور عبدالعزيز بن صقر الغامدى رئيس جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية كما دعى للندوة مجموعة من العلماء والباحثين من العالم العربى، لتقديم أوراق علمية فى هذه الندوة.

عقدت الندوة خمس جلسات، حيث رأس الجلسة الأولى الأستاذ الدكتور مأمون سلامة وقدم فيها الدكتور محمد يحيى النجيمى ورقة علمية حول مفهوم تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب، من وجهة نظر الفقه الإسلامى والقانون الوضعى.

وقدم الدكتور محمد المدنى بوساق ورقة علمية حول الاجتهاد المقاصدى ودوره فى تطوير أنظمة العدالة الجنائية، الخاصة بمكافحة الإرهاب.

ورأس الجلسة الثانية د. محمد المدنى بوساق وقدم خلالها ورقة علمية حول معوقات تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإهاب، وسبل تذليلها من وجهة نظر الشريعة والقانون قدمها الدكتور محمد عبدالرحيم سلطان العلماء، كما قدمت ورقة أخرى من جانب الدكتور محمد أبو العلا عقيدة عنوانها تطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب، على المستوى الوطنى والإقليمى والدولى.

وقد ناقشت الجلسة الثالثة المعاهدات

ـة الجنائية لمكافحة الإرهاب

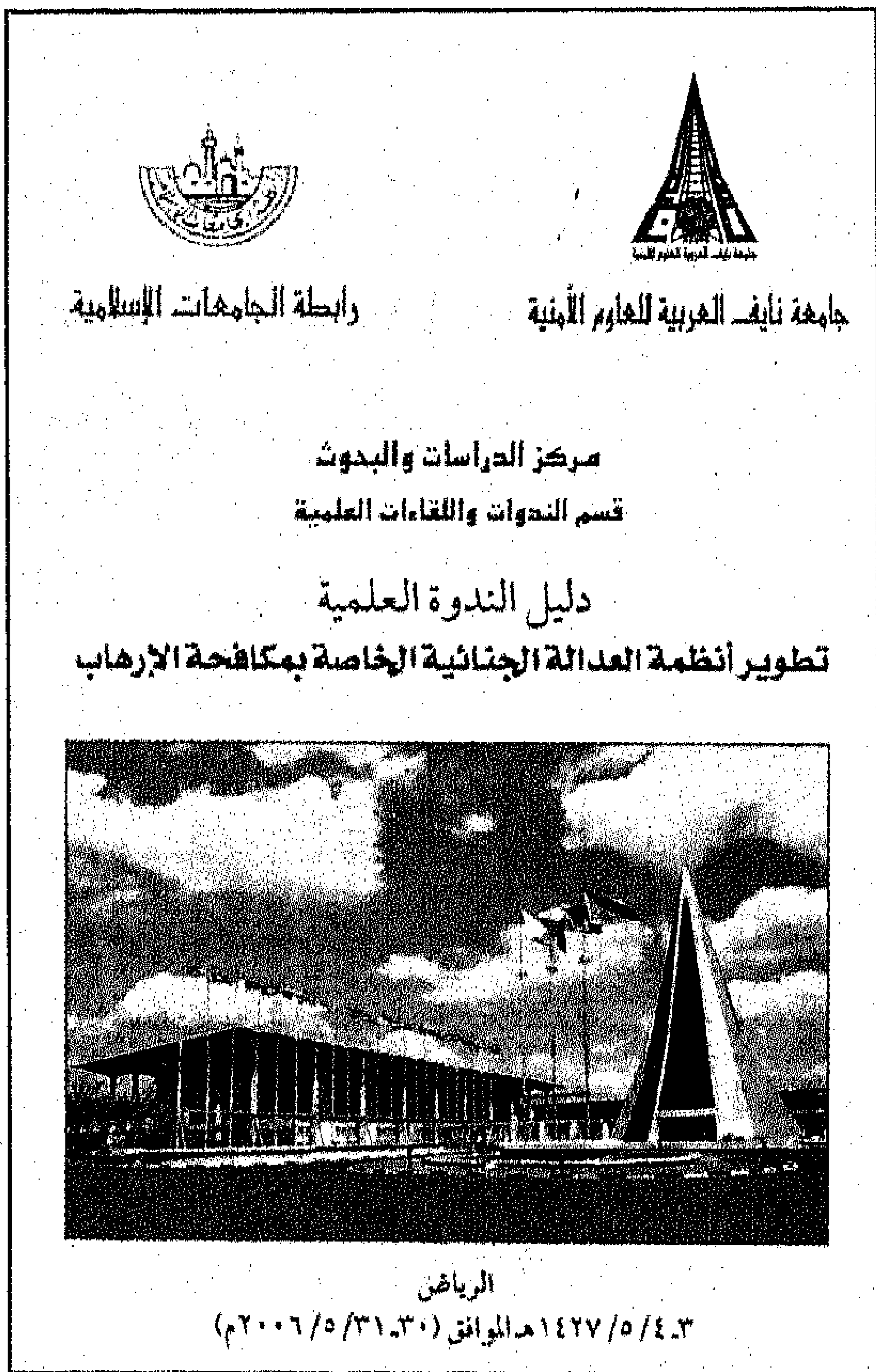
متابعة: الأستاذ/ عاطف مصطفى

والاتفاقيات الدولية والإقليمية، ودورها فى تطوير أنظمة العدالة الاجتماعية قدمها الدكتور محمد نسيب الزروقى. وقدم الدكتور مأمون سلامة ورقة بعنوان التشريعات القضائية لمواجهة الإرهاب فى الوطن العربى. كما ناقشت الجلسة قبل الأخيرة بحثا قدمه د. محمد السيد عرفة بعنوان تطوير أنظمة العدالة الجنائية وملاءمتها لحقوق الإنسان وسيادة الدول. كما قدم د. فؤاد عبدالمنعم أحمد ورقة دارت حول السياسة الشرعية ودورها فى تطوير أنظمة العدالة الجنائية، الخاصة بمكافحة الإرهاب.

الاجتهاد المقاصدى

ومن بين البحوث المقدمة بحث الدكتور محمد المدنى بوساق وتناول فيه تعريف الاجتهاد المقاصدى وتعريف الجريمة الإرهابية، ودور الاجتهاد فى تطوير أجهزة العدالة الجنائية.

وقد أكد الدكتور محمد نسيب أرزوقى



على أن المشروع الجنائى الوطنى يجب أن يوفق بين متطلبين أساسيين قد يبدو أنهما متعارضان:

تفعيل المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية لتطوير أنظمة العدالة الجنائية الخاصة بمكافحة الإرهاب

● الأول: هو متطلب حماية المجتمع والأفراد وممتلكاتهم، وفى نهاية الأمر حماية الأمن الوطنى من ظاهرة الإرهاب.

● أما المتطلب الثانى: وهو يرتبط بالمجال القانونى والأخلاقى فهو يتمثل فى ضرورة تأمين احترام حقوق الإنسان، وفقا للمبادىء التى أقرها المجتمع الدولى منذ منتصف القرن العشرين، وهو فى هذا الصدد عرض لأهم المعاهدات والاتفاقيات الدولية ذات الصلة لمواجهة الإرهاب.

وأكد على أهمية تطوير القوانين الجنائية الوطنية، بما يحقق الأهداف المشتركة للنظامين القانونيين الجنائيين الدولى والوطنى.

توصيف الإرهاب

وفى بحث حول تطوير أنظمة العدالة الجنائية ناقش د. محمد يحيى اللجيمى توصيف الواقعة الإرهابية، ومسألة إثبات الدعوى الإرهابية ودلائل تجميعها، وعقوبة ممارسة الإرهاب فى الشريعة الإسلامية، وعقوبة ممارسته فى القانون الوضعى.

كما عرض لأهم الأحكام الإجرائية لجرائم الإرهاب فى التشريعات العربية.

وأكد أن الأفعال الإرهابية تشتمل على العديد من الانحرافات مثل الترويع، ونشر الرعب، وإلحاق الأضرار بالأشخاص، وهتك العرض، وقتل النفس.

وكل هذه الأعمال تقع فى إطار ما نهى عنه القرآن الكريم، وشدد العقوبة عليه فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡىٌ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(المائدة ٣٣)

وقد أفتى مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فى عام ١٤٠٩هـ بأن من ثبت شرعا أنه قام بعمل من أعمال التخريب والإفساد فى الأرض التى تزعزع الأمن بالاعتداء على النفس، والممتلكات الخاصة أو العامة، كنسف المساكن أو المساجد أو المدارس أو المستشفيات والمصانع والجسور ومخازن الأسلحة والمياه والموارد العامة لبيت المال



د. عبدالله تركى ود. جعفر عبدالسلام فى إحدى جلسات المؤتمر

كأنابيب البترول، ونسف الطائرات أو خطفها ونحو ذلك.. عقوبته القتل لدلالة الآيات على أن مثل هذا العمل، إفساد فى الأرض يقتضى إهدار دم المفسد ولأن خطر هؤلاء الذين يقومون بالأعمال التخريبية.. وضررهم أشد من خطر وضرر الذى قطع الطريق. فيعتدى على شخص فيقتله، أو يأخذ ماله. وقد حكم الله عليه بما ذكر فى آية الحرابة التى سبق ذكرها.

وقد ناقش الدكتور مأمون سلامة فى بحثه: تعريف الإرهاب والجرائم الإرهابية فى التشريعات العقابية العربية، والاتفاقيات العربية لمكافحة الإرهاب، حيث أوردة القوانين المعمول بها فى تونس ولبنان واليمن والسعودية وسوريا والجزائر وموريتانيا والأردن والعراق والإمارات العربية المتحدة ومصر.

كما ناقش أهم الجرائم المرتبطة بالإرهاب فى التشريعات العربية

أما د. محمد أبو العلا عقيدة فقد ناقش فى بحثه أربع قضايا:

- القضية الأولى: ماهية الإرهاب والجريمة الإرهابية
- الثانية: العوامل الدافعة إلى الإرهاب
- والثالثة: أهم جرائم الإرهاب
- والرابعة: تطوير المواجهة ضد الإرهاب

وناقش د. جعفر عبدالسلام فى بحث له بعنوان «المعاهدات الدولية فى تطوير أنظمة العدالة الجنائية» الخاصة بمكافحة الإرهاب، ومفهوم الإرهاب، وأنه جريمة تنصب على مصلحة رئيسية للمجتمع الدولى بأكمله والتى تتمثل فى سيادة الأمن فى مختلف ربوع العالم، فالإرهاب رغم استهدافه دولة واحدة أو مجموعة من شعبها، إلا أنه يستهدف كل الدول.

فقتل النفس فى الإسلام وإشاعة الرعب والفزع فى نفوس الناس فضلا عن تخريب وإتلاف الأموال، إنما يمثل عدوانا على الإنسانية بأسرها، وهذا يمكن أن يستفاد من قوله تعالى:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[سورة المائدة ٣٢]

هكذا أكد ديننا الحنيف على أن قتل نفس واحدة، يعدل قتل كل الناس فى كل المجتمعات، لأن النفس فى الإسلام مقدسة، محمية لا يجوز الاعتداء عليها، ولا إزهاقها إلا بحقها.

وقد أورد د. جعفر فكرة واقعية عن الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، والاتفاقية الإسلامية لمكافحة الإرهاب، الصادرة عن وزراء خارجية دول منظمة المؤتمر الإسلامى فى وجادوجو عاصمة بوركينا فاسو فى الفترة من ٢٨ يونيو إلى أول يوليو عام ١٩٩٩

كذلك فقد أورد موجزا عن الاتفاقات الدولية الخاصة بمكافحة الإرهاب الموجه ضد الأفراد المتمتعين بحماية دولية، والاتفاقيات الدولية الخاصة بمكافحة الإرهاب؛ الموجه ضد الطيران المدنى الدولى.

وعرض لدور الاتفاقات الدولية فى تطوير أجهزة مكافحة الإرهاب.

ومن المؤسف أن إسلامنا اليوم يوصف من قبل الغرب بالإرهاب، مع أن المسلمين هم أصل الحضارة والعلم والمدنية وقرآننا يشهد بهذا.

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

[البقرة: ٢٠٨]

بل يجعل القرآن الكريم إجارة المشرك واجبة فى قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾

[التوبة: ٦]

ورسولنا ﷺ هو نبى الإنسانية وهو الرحمة المهداة للعالمين ينهى عن كل

دعوة المؤسسات الإعلامية فى العالمين العربى والإسلامى إلى تبين المدخل السليم فى مخاطبة الآخر عن قضايا العرب والمسلمين

أشكال العنف والإرهاب ويدعوا إلى الله بالتى هى أحسن، وإلى الرأفة والرحمة.

وقد قررت منظمة المؤتمر الإسلامى وضع وسائل لنشر سماحة الإسلام ووسطيته لمواجهة الحملة الظالمة ضد الإسلام والمسلمين واتهامهم بالإرهاب وكراهية الآخر، كما أوصت بضرورة التمييز، بين الحق فى المقاومة، وفى ممارسة أعمال الإرهاب المحظورة.

إن مقاومة الإرهاب ومكافحته فرض عين على المسلمين وعلى كل شعوب الأرض، وهو ما يحضنا عليه قرآننا الكريم والسنة المطهرة.

توصيات

وقد انتهت الندوة إلى توصيات من أبرزها:

● تأصيل منهج الوسطية الذى يتميز به الإسلام، والتقيد به قولا وعملا وسلوكا، انطلاقاً من قوله سبحانه وتعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

[البقرة:١٤٣]

● دعوة الجامعات العربية والإسلامية إلى الاضطلاع بدورها فى وضع استراتيجية مناسبة لتطوير أنظمة العدالة الجنائية المتعلقة بمكافحة الإرهاب وفق الثوابت الإسلامية مع الأخذ بالمستجدات المعاصرة.

● إنشاء قنوات فضائية تخاطب الأمم الأخرى بلغاتها، وفق مضامين إنسانية راقية، تعكس القيم العربية والإسلامية، وتتصدى للشبهات المغرضة فى وسائل الإعلام الأخرى، التى تهدف إلى إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين.

● ضرورة التعاون بين أجهزة العدالة الجنائية والأجهزة الأمنية فى الدول العربية فى المجالات المختلفة، لتعزيز المواجهة ضد الإرهاب.

***

الجريمة الإيجابية عن طريق الامتناع بين

يسود لدى البعض اعتقاد بأن الشريعة الإسلامية غير صالحة للتطبيق إلا فى زمانها الغابر وبيئتها المحلية وأنها قد استنفدت أغراضها ولم تعد موائمة لتطور المجتمعات وتجدد الأحداث، وأن ما يشهده العالم من تطور فى المعارف النظرية منها والعملية إنما مرده إلى جهود المعاصرين من علمائه ومفكريه ولا شك أن هذا الاعتقاد يمثل افتئاتا على الواقع وتزويرا فاضحا للتاريخ، فكثير من النظريات والأحكام الفقهية التى نسبت فى غفلة من الزمان إلى ابتكار العقل الغربى هى نظريات وأحكام نبتت أول ما نبتت فى التربة الفكرية الإسلامية واستوت على سوقها بجهود علماء المسلمين قبل أن يتطرق إليها الفكر الغربى ولسنا بهذا نهدف إلى تغليب فكر على فكر أو رفع شأن حضارة على أطلال أخرى وإنما نحن نستنطق التاريخ ونضع الأمور فى نصابها الصحيح.

ومن الموضوعات الهامة فى الفقه العقابى والتى تثير فكرة أسبقية تناول موضوع إمكان وقوع الجريمة الإيجابية بطريق الامتناع حيث سبق الفقه الإسلامى إلى تقرير أحكام لها لم يصل إليها الفقه الغربى إلا بعد قرون، بل إن النطاق التطبيقى الذى قرره الفقه الإسلامى لهذه الأحكام -وكما سنرى- يتجاوز فى اتساع نظرته ومثالية مبادئه ما استقر عليه الفقه الغربى فى أحدث نظرياته.

وقبل التعرض بالتفصيل لأحكام موضوع هذا البحث يجدر بنا أن نشير إلى أن فقهاء القانون يقسمون الجرائم إلى جرائم إيجابية وجرائم سلبية، فالجرائم الإيجابية هى ارتكاب ما نهى عنه القانون مثل: القتل- السرقة- التزوير-إلخ وهذا النوع هو الغالب فى القانون، أما الجرائم السلبية فتمثل الامتناع عن القيام بما أمر به القانون مثل: الامتناع عن الشهادة، امتناع قاض عن الحكم.. إلخ، وليس ثمة خلاف أى دولة على معاقبة من يرتكب أيا

من الفقه الإسلامى والتشريع الوضعى

للأستاذ/ عصام شوكت أمين

من هذين النوعين ولكن الخلاف على أشده حول (الجرائم الإيجابية بطريق الامتناع) ومن الأمثلة التى يسوقها الفقه لهذا النوع من الجرائم أن يجد شخص شخصا آخر على وشك الغرق فلا يسرع لإنقاذه مما يفضى إلى موته، فهل يعد الممتنع مرتكبا لجريمة قتل؟!!

ومثالها أيضا: أن يرى الشخص النار تلتهم منزل جاره فلا يبادر إلى إطفائها حتى تأتى النار على المنزل تماما فهل يعتبر هذا الشخص مرتكبا لجريمة الحريق.. إلخ.

ولقد تباينت آراء الفقهاء فى الإجابة عن هذا السؤال فذهب البعض إلى أن الامتناع عن الإتيان بنشاط مادى لا يمكن أن ينتج فى ذاته نتيجة إيجابية معينة، لأنه عبارة عن لا شىء.. عن عدم وليس للعدم أن يكون سببا فى شىء آخر بدوره إلا العدم. وعلى ذلك فليس ثمة مسئولية جنائية على الممتنع عن إنقاذه الغريق أو إطفاء الحريق المندلع فى منزل جاره.

وقد تبنى هذا الرأى ثُلة من كبار فقهاء القانون الفرنسى منهم: رينيه جارسون، رينيه جارو، بوزا، لبواتفان، إيمار.

بينما ذهب فريق آخر من الفقهاء- خصوصا فى ألمانيا- إلى أن من يترك عمدا نتيجة معينة تتحقق مع أنه كان فى مقدوره منعها إنما يتسبب فيها، إذ السببية ما هى إلا إرادة الإنسان عندما تستخدم- فى الوقت المناسب- قوى الطبيعة المختلفة فى تحقيق رغباتها، فإذا كان من الممكن تفادى قتل المجنى عليه لو تدخل الجانى فى الوقت المناسب لإنقاذه، فإن هذا وحده يعنى توافر رابطة السببية بين الامتناع وبين النتيجة النهائية.

ووفقا لهذا الرأى يعد مسئولا جنائيا من يرى شخصا على وشك الغرق ثم يمتنع عن مد يد المساعدة له مما يفضى إلى غرقه، ويعد مسئولا جنائيا من يرى النار تندلع فى منزل جاره ولايهب لإطفائها حتى تأتى على كل المنزل. وقد استند أنصار هذا الرأى إلى مجموعة من الحجج

يضيق المقام عن سردها لإثبات قيام رابطة السببية بين الامتناع المحض وبين النتيجة النهائية التى يجرمها القانون وقد تبنى هذا الاتجاه فى ألمانيا عدد من الفقهاء على رأسهم: لودر، لندسبرج ميركيل، كروج.

وقد أضحى الرأى السائد الآن لدى الكثيرين من شراح القانون فى ألمانيا وانجلترا وفرنسا وبلجيكيا هو أن القتل بالامتناع معاقب عليه كالقتل بفعل إيجابى سواء بسواء وذلك- فحسب- إذا كان على الممتنع التزام قانونى أو تعاقدى بالتدخل لإنقاذ المجنى عليه فخالف هذا الالتزام لأن السببية بين مخالفة الالتزام وبين القتل تكون واضحة، فالقاتل بالامتناع يعد حينئذ قاتلا عمدا طالما توافر لديه قصد القتل أى إرادة إزهاق الروح ويعد قاتلا بإهمال إذا ما انتفى لديه هذا القصد وتطبيقا لذلك فالشخص الذى يرى آخر يصارع الموج مشرفا على الغرق ولا يبادر إلى انقاذه حتى يغرق بالفعل لا يمكن مساءلة هذا الشخص عن جريمة قتل عمد أو خطأ إذ إنه غير ملتزم التزاما قانونيا أو تعاقديا بهذا التدخل بينما لو افترض أن الشخص كان ملتزما بحكم عمله بالتدخل لإنقاذ المعرضين للغرق فامتنع عن هذا التدخل فيمكن مساءلته عن جريمة القتل خطأ، بل ويمكن مساءلته عن جريمة قتل عمد إذا ثبت أن الغريق كان عدوا له وأنه امتنع عمدا عن إنقاذه وصولا إلى إزهاق روحه غرقا.

● أما على المستوى التشريعى فقد سوَّت بعض التشريعات بين الفعل الإيجابى والسلبى فى العقاب فى نطاق الرأى السابق فالمادة ٢٤٠ من قانون العقوبات الإيطالى الصادر عام ١٩٣٠ تعتبر أن «الامتناع عن منع نتيجة معادل لإحداثها إذا كان على الممتنع واجب قانونى بالتدخل.

بينما تعتبر بعض التشريعات الترك أو الامتناع جريمة قائمة بذاتها مثل المادة ٩٥٣ من القانون السويسرى والمادة ٢٤٧ من القانون البولوينى.

الفقه الإسلامى

- ومن خلال العرض السابق- على المستويين الفقهى والتشريعى- يتضح أن اتجاها له أنصاره وحججه يميل إلى عدم العقاب على الجرائم الإيجابية بطريق الامتناع واتجاها آخر يذهب إلى العقاب عليها بقيد هام وهو أن يكون على الممتنع التزام قانونى أو تعاقدى بالتدخل. ويبقى السؤال الهام، وهو: هل عرف الفقه الإسلامى هذه المشكلة؟ وما الحلول التى قدمها لها؟ وهل هذه الحلول تمثل سبقا فقهيا وفكريا أم لا؟

فى البداية يقرر الفقه الإسلامى أن الحكم التكليفى الذى قد يوجب العقاب

إما أمر وإما نهى، فعدم طاعة الأمر هو الجريمة السلبية، وارتكاب ما نهى عنه هو الجريمة الإيجابية، ومثال الجريمة الإيجابية فى الشريعة: القتل والسرقة، ومثال الجريمة السلبية امتناع المدين الموسر عن سداد دينه وعدم إقامة المسلم الصلاة.

وقد ذكر الفقهاء أمثلة على ما يسمى بنظرية الارتكاب بالترك أو الجرائم الإيجابية بطريق الامتناع وذلك عند تعرضهم للكلام على جريمة القتل وكان مما ذكروه:

● إذا حُبِسَ المجنى عليه فى مكان ما، ومنع عنه الطعام والشراب مدة لا يبقى فيها حتى يموت، فعلى الحابس القود عند أحمد والشافعى ومالك، لأن الحبس مع منع الطعام والشراب يقتل غالبا وترتب القتل على ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والظروف فإذا كان الشخص عطشا فى شدة الحر مثلا مات فى الزمن القليل، والحكم كذلك إذا منعه الدفء وكان البرد يقتل غالبا «القصاص» للأستاذ الدكتور أحمد محمد إبراهيم.

● وفى مذهب مالك ذكر ابن يونس عن بعض القرويين أن من منع فضل مائة مسافرا عالما بأنه لا يحل له منعه، وأنه يموت إن لم يسقه قتل به وإن لم يلِ قتله بيده وظاهر ذلك أنه يقتل به سواء قصد بمنعه قتله أو تعذيبه «حاشية الدسوقى جـ٤ ص٢٨٥، حاشية الدسوقى جـ٢ ص٣٤٦».

- وعند مالك أيضا: إذا منعت الأم ولدها الرضاع حتى مات تقتل إن قصدت قتله «الشرح الكبير للدردير جـ٤ ص٣٨٥»،

وعنده أيضا: إذا أمر شخص آخر بقتل ثالث، فيقتص من المباشر دون الآمر إلا إذا كان «الآمر»، حاضرا فيقتل أيضا لقدرته على خلاصه شرح الخرشى جـ٨ ص١٢.

● وفى الفتاوى الكبرى (فى مذهب الشافعى) أنه إذا حضر نساء ولادة ذكر فقطعت إحداهن سرته من غير ربط، ونهاها الباقيات فمات بعد القطع بقليل فإن كان يقتل غالبا فيجب القود عليه، ولو قيل بوجوب القود على الجميع إذا لم يرين الربط لم يبعد، لأن المهلك ترك الربط، ولأن البرء موثوق به لو ربط فى العادة المطردة فالهلاك ينسب إليهن كلهن فيلزمهن القود وإلا فدية العمد «الفتاوى الكبرى» جـ٤ ص٢٢٠-٢٢١.

● وعند الأحناف لا قود أصلا فى الارتكاب بالترك «ابن عابدين» جـ٥ ص٥٣٦

وهم فى هذا يمثلون سبقا فكريا وزمانيا للرأى الفقهى القائل بهذا من فقهاء القانون الوضعى المعاصرين خاصة الفرنسيين.

● ويسبق إمام المذهب الظاهرى ابن

حزم بخطوات واسعة فى اعتماد مبدأ المسئولية عن هذا النوع من الجرائم بل ويصل فى نطاقه إلى ما لم يدركه الفقه الغربى المعاصر، فنرى الفقيه الكبير يقرر نصياً فى كتابه «المحلى» جـ١ ص٥٢٢، ٥٢٣ تحت عنوان مسألة: من استسقى قوماً فلم يسقوه حتى مات:

قال على: روينا من طريق أبى بكر أبى شيبة، أخبرنا حفص بن غياث عن الأشعث عن الحسن أن رجلاً استسقى على باب قوم فأبوا أن يسقوه فأدركه العطش، فَضَمَّنهُمْ عمر بن الخطاب ديته.

ثم يقول ابن حزم معلقاً: القول فى هذا عندنا وبالله تعالى التوفيق هو أن الذين لم يسقوه إن كانوا يعلمون أنه لاماء له البتة إلا عندهم ولا يمكنه إدراكه أصلاً حتى يموت، فهم قاتلوه عمداً، وعليهم القود بأن يمنعوا الماء حتى يموتوا كثروا أم قلوا.

والملاحظ فيما ذكره الإمام ابن حزم أنه إضافة إلى تقريره لمبدأ المسئولية عن جرائم الامتناع فإنه لم يشر إلى القيد الذى يعتمده الفقه الغربى وجُل تشريعاته وهو وجود التزام قانونى أو تعاقدى على الممتنع وإخلاله بهذا الالتزام بل يكف- وفق كلامه- وجود رابطة الإنسانية فحسب وهو ما يتفق مع نظرة الشريعة إلى حرمة النفس الإنسانية وأنها تعدل -أيا كان صاحبها- فى إحيائها حياة الناس جميعاً، كما أن قتلها- بأية وسيلة- يعدل فى حرمته قتل الناس جميعاً.

وفى هذا الإطار ينص الفقهاء على أنه إذا نزلت بشخص مخمصة ووجد مع رجل طعاماً فامتنع عن إطعامة ومن مساومته له فإن له أن يقتله ولا شىء عليه إن قتله.

● وحكى الإمام أبويوسف- رحمه الله- فى كتابه «الخراج» أن قوماً وردوا ماءً فسألوا أهله أن يدلهم على البئر فلم يدلوهم عليها فقالوا: إن أعناقنا وأعناق المطايا قد كادت تنقطع من العطش، فدلونا على البئر وأعطونا دلواً نستقى بها فلم يفعلوا. فذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه- فقال: فهلا وضعتم فيهم السلاح..

المعاملات الشرعية للمرحوم الأستاذ/ أحمد بك إبراهيم ص٢١ وما بعدها.

وبعد فقد كان هذا موقف الفقه الإسلامى من قضية.. إمكان وقوع الجريمة الإيجابية بطريق الامتناع..وقد وضح من عرض كلام الفقهاء سبق الشريعة الإسلامية لما قال به فقهاء الغرب خاصة الألمان منهم بل إن النطاق الذى رسمه الفقهاء لمسئولية الممتنع أوسع مدى مما قرره فقهاء الغرب ولا غرو فى ذلك، فأحكام الفقه الإسلامى تنهل من معين نورانى لا ينضب وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيا حيَّا الله تراثنا الفقهى العظيم، ويا حيَّا الله كل منصف فى نظرته إليه وحكمه عليه.

والله ولى التوفيق

من أمثال القرآن الكريم

مثل الذبابة

للأستاذ الدكتور/ محمود محمد عمارة

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج/ ٧٣-٧٤]

تمهيد

عندما اتخذ المشركون إلها غير الله - عز وجل- لم يكن لديهم على ذلك علم. ولا هدى. ولا كتاب منير..

ومع ذلك فإن لديهم من التبجح ما يدل على إعلان صحة دعواهم فيما ذهبوا إليه..

وكان لابد من إفحامهم وإلزامهم بأنهم على الباطل.. بهذا المثل الذى هو أعجوبة من الأعاجيب.. التى يجب أن نتأملها.. أن نستمع إليها.. أن نتدبرها :

(لأن نفس السماع لا ينفع .. وإنما ينفع التدبر)

المقصود : بيان أن ما عبدتموه أمثالكم.

بل أحقر منكم.. فإن المفروض أن الإنسان لا يبذل ولاءه لمن هو أحقر منه.. ولكنكم فعلتم فعبدتم من هو أحقر منكم.. والطيور على أشكالها تقع.

لماذا الذباب بالذات يقول المفسرون:

إن الذباب لما كان فى غاية الضعف. احتج الله - تعالى - به على إبطال قولهم:

فقوله عز وجل (لن).. فهى أصل فى نفى المستقبل. إلا أنه ينفيه نفيا مؤكدا. فكأنه سبحانه قال: إن هذه الأصنام - وإن اجتمعت- لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها. فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا؟!!

.. وكأنه قيل: يستحيل أن يخلقوا الذباب حال اجتماعهم.. فكيف حال انفرادهم؟!!

وقوله تعالى:

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾

(الحج / ٧٣)

كأنه سبحانه قال: أترك أمر الخلق والإيجاد.. وأتكلم فيما هو أسهل منه: فإن الذباب إن سلب منها شيئا. فهى لا تقدر على استنقاذ ذلك الشىء من الذباب.

والنتيجة: أنكم ما عظمتم الله تعالى حق تعظيمه.. حيث جعلتم الأصنام - على نهاية خساستها- شريكة لله تعالى فى المعبودية.

وإذا كان الله تعالى هو القوى.. وهو العزيز.. فما حاجة الإنسان إلى أن يُشرك به سبحانه غيره.. من مخلوقاته الضعاف. المهازيل. الأذلاء؟

ألا إن الذباب أحقر الحشرات.. ولكن فى هذه الحشرة الحقيرة تكمن عظمة الله: كيف تطير؟ وكيف تتوالد؟ وكيف تنقل العدوى؟ وكيف أننا لا يصح أن نبهر بالطائرات التى صنعها الإنسان، فالذى صنعه الله أعظم! إنه خلق الإنسان الذى اخترع الطائرة! ولكن الإنسان أعجز من أن يصنع جناح ذبابة! وإن الذباب إذا سرق منا شيئا فنحن لا نقوى على استرداده.. سبحان الله العظيم.

يقول العلم الحديث: عندما نتأمل أجزاء فم الذبابة. وما كشف عنه العلم. من أن أجزاء فمها من النوع اللاعق بمعنى أن الذبابة تفرز أولا لعابها وما يحويه من أنزيمات على المادة الغذائية الصلبة فتغير طبيعتها وتركيبها الكيماوى نتيجة فعل الأنزيمات ثم بعد ذلك تصعد المادة الغذائية إلى أعلى فى تجويف فم الذبابة عن طريق القصيبات الكاذبة الرقيقة المنتشرة على سطح الشفية، فأى أجهزة علمية مهما بلغت دقتها وقوتها لا

تستطيع استرجاع ما أخذته الذبابة، وليس هذا فحسب بل لا توجد تكنولوجيا أو أى معامل تستطيع استرجاع المادة الغذائية إلى طبيعتها الأولى قبل تحويلها إلى مواد أخرى بفعل لعاب الذبابة.

ومن ناحية أخرى نجد أن جسم الذبابة الصغيرة يستطيع أن يحمل أكثر من ١٥٥ مليون جرثومة، فأى قوة وأى علم يستطيع أن يسترجع هذا العدد الهائل من جسم الذبابة؟!

وقد يشاهد الإنسان الذبابة وهى تسير على الأسطح الملساء (كالزجاج مثلا) معتدلة أو مقلوبة.. فكيف تستطيع هذه الذبابة أن تسير وتلتصق على هذا السطح الأملس دون أن تسقط؟! وبالرغم من صغر حجم الذبابة وضعف جسمها إلا أنها عظيمة الخلقة فيها آيات بينات لأصحاب العقول المفكرة فهى تمتلك الأجهزة التى تهيئ لها الحياة.

وقد قالوا: فى داخلها مخزون من القوى الدفاعية. إننا قد نجبر الطائرة على الهبوط.. ثم نتحكم فيها.. لكن ذبابة واحدة تسلبنا شيئا.. فإننا لا نقدر على استنقاذه منه. على ما نملك من أجهزة ومعامل!

وإذن.. فما أضل الإنسان.. ما أضله حين تتزاحم النذر.. وتستعلن الآيات من حوله شاهدة بعظمة القوى العزيز سبحانه.. ولكنه يعرض عنها:

﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

(الحج: ٧٤)

ويعنى ذلك أن عقول الضالين فى أجازة.. وأن «الحقد» هو الدافع: هو الواقف من وراء هذه الأوهام.. وإنها لأوهام كتمثال الشمع: كلما اقترب من الحق.. فإنه ينهار. ذلك بأن «الحقد» يشتعل.. أما الحق فيضئ..

وإذا كان هذا دأب الطالحين.. وإذا كان هذا سعيهم الخثيث.. فى القديم والحديث.. فإن الأمر على ما يقول عز وجل:

﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

[الرعد/ ١٤]

- يتبع -

***

خطبة الجمعة :

نعمة الله على عبده

لفضيلة الشيخ/ طه الساكت

إعداد الشيخ / على حامد عبد الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان وفضله وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله أفضل من شرفه الله وجمله اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه صلاة مهذبة لنا ومكملة أما بعد فقد قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]

خلق الله الإنسان فى صورة بديعة دلت على عظيم قدرته وبالغ حكمته فميزه عن سائر الحيوانات بجميل الخلقة وحُسن الاعتدال. وخصه بفضل يسترشد بنوره ولسان يعبر عما فى ضميره. وسخر له ما يهتدى به ويستخدمه فى مصالحه. فدواب البر تحت إرادته وسفن البحر رهائن قدرته، ثم شق له الأرض شقا فأخرج من نباتها أصنافاً وأنتج من طيباتها أنواعاً. ذلك قليل من نعم الله على عبده ويسير مما تفضل به عليه

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

[إبراهيم : ٣٤]

وقد اقتضت حكمته جل شأنه أن يكون عباده مختلفين فى الرزق متفاوتين فى الغنى ليسخر بعضهم بعضاً وليكونوا متآزرين على حوائجهم متعاونين على مصالحهم. ذلك قليل من نعم الله على عبده وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار. يقول الإنسان ـ وما أكثر قوله ـ لو كنت مثل هذا الغنى مالا، أو لو كنت بمنزلة هذا الرئيس جاها، ويا حبذا لو كنت كذلك الحاكم منصبا، يقول ذلك وهو غافل عن نعم الله العديدة ومننه الجليلة وربما كان فى الواقع أفضل منه حالا

وأحسن منه مالا ولو أنصفت أيها العاقل لعلمت أن هذا سنة الله في خلقه :

﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٣]

فرحم الله امرءا تذكر نعم الله عليه ونظر فى دنياه إلى من هو أقل حالا ونظر فى دينه إلى من هو أعلى شأنا فكفى نفسه المؤنة ونهج منهج السبيل.

لو نظر إلى نفسه لوجد انه أحسن منه دينا وأوفر منه رضا وأرضى بالا، ولكن

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٧]

وقد تقتضى حكمة الله البالغة أن يستوفى ذلك الغنى فى الدنيا نصيبه فيتمتع بلذاتها ويمرح فى شهواته ويقضى أربه، وماله فى الآخرة من نصيب.

وانظر إلى الكافر يظهر لك انه متمتع بزخارف الدنيا، غارق فى لذائذها ذلك لهوانه على الله وقلة قدره عنده.

أفليس من الظلم بعد هذا أن يتمنى كل أن يشارك فى فانية لماذا يرجو ذلك؟!.. فرحم الله امرءاً نظر بعين العقل واهتدى بنور البصيرة فرضى بما آتاه الله ولم يحزن على ما فاته.. وليس ينهاكم الله أن تسعوا فى معاشكم وبه صحة دين ودنيا.

كل الناس يريد أن يكون غنيا وكل الناس يحب أن يكون رئيسا وكل الناس يود أن يكون حاكما. إذن تعطلت المصالح ووقفت الأمور وتغيرت سنة الله في خلقه. ولن تجد لسنة الله تبديلا فرحم الله امرءاً نظر بعين العقل واهتدى بنور البصيرة فعرف حكمة الله البالغة ونظام الله البديع.

ولو نظر إلى نفسه وإليهم لوجد أنه أهدأ بالا وأقل اشتغالا وقد يقضى الله على عبده أن يتمتع بزخرف الدنيا فيمرح فى شهواتها ويتيه فى لذاتها حتى يستوفى فيها نصيبه وماله فى الآخرة من نصيب وها نحن أولاء نرى أعداء أكثر مالا وأشد لذائذ وأكبر حظا وأوفر دنيا، أفليس من الظلم أن نحسده على زخرف فان ونعمة زائلة وغرور زائل، بل أليس من الظلم أن نشاركه فى لذاته ونحن نبتغى فضل الآخرة.

نعم الدنيا الصالحة للرجل الصالح يجعلها سبيلا إلى الآخرة وأنعم بذلك سبيلا.

فتذكروا رحمكم الله نعم ربكم واستعينوا بها على شكره وتجنبوا ما لا يليق بمقام العبودية واضرعوا إليه وتذكروا قوله تعالى:

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧]

واعلموا انه الفعال لما يشاء واستعينوه تعالى على التوفيق فى الأمر والسداد فى الرأى والهدى إلى خير السبيل طريق الحق وخير السبيل.

وقد يبتلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان بنقص فى المال، أو بفقد فى الأولاد، أو بنقص فى الثمرات، ليعظم لصاحب الصبر الأجر:

﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ
(١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ
(١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

[البقرة: ١٥٥، ١٥٦]

فخذوا رحكم الله من حكم الله عونا لكم، ونصرة فى أموركم، وقيسوا مالم يُبين على ما بُين لكم، فذلك طريق الحق.

قصة العدد

فى مجلس عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه

للأستاذ الدكتور عبداللطيف الحديدى

كان مسلمة بن عبدالملك فى مجلس أصدقائه ببيته العامر فى دمشق إذ قدِمَ عليه حاجبه يعلنه أن وفداً من أقاربه الأمراء أبناء بنى مروان يطلبون لقاءه، وفى وجوههم من الاهتمام ما يدل على أن وراءهم ما يرجون إذاعته من الأنباء، فتطلع مسلمة إلى جلسائه فعرفوا أنه يريد الخلوة بأمراء بيته، فاستأذنوا منصرفين.

واستقبل مسلمة ضيوفه مُرحبًا، ولم يُمهلوه إذ تحدث كبيرهم فى أسف يدل على الغيظ، فقال: أيها الأمير أنت كبير المروانيين وقد جئناك نشكو أمير المؤمنين الجديد عمر بن عبدالعزيز إذ حرمنا ما كنا نناله من الخِلع والبِدَر عقب تولى كل خليفة جديد! وحين عاتبناه فى ذلك أظهر الغضب، وقال:

إن بيت المال للمسلمين وليس لآل مروان.

●● فأطرق مسلمة كمن يفكر ثم قال: لقد كان من عادة أمير المؤمنين من بنى مروان إذا تولى الأمر أن تهيأ له الخلع الجديدة والخيول المطهمة، وتساق إليه آلاف البدر من بيت المال، فهل نال ابن عبدالعزيز شيئًا من ذلك؟!

● قال كبير القوم: إذا كان قد حرم على نفسه ما هو حق له، فكيف يحرم علينا حقا كان يفعله معاوية، ويزيد، ومروان، وعبدالملك الوليد، وسليمان، إن هذا لهو الظلم البين، هبه ظلم نفسه أيظلمنا معه!

●● قال مسلمة: سأكلمه فى ذلك بتؤدة لأنى أعلم أنه يسلك مسلك عمر وأبى بكر وعلى ولا يسلك مسلك معاوية ويزيد!

وهنا حانت صلاة الجمعة، فتهيأ الجميع إلى صلاتها بالمسجد الأموى، حيث يقوم بالخطبة أمير المؤمنين.

● صعد عمر إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ما أعده الله لثوابه وعقابه، فعمل طالبا لهذا

وخائفا من هذا، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم!

واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وثق بالنجاة من عذاب الآخرة، فأما من لا يداوى جرحا إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يطمئن بالدنيا؟!

وأعوذ بالله أن آمركم بما أنهى نفسى عنه فتخسر صفقتى، وتظهر مسكنتى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ثم بكى عمر، فارتج المسجد بالبكاء.

●● قال مسلمة لأصحابه: ليس هذا يومكم بعد ما سمعتم من قوله. ولى يوم آخر معه إن شاء الله.

***

لم يكد مسلمة يذهب إلى منزله، فينام نومة القيلولة حتى فاجأه الحاجب بوجود شعراء المدينة يشكون إليه حرمانهم من لقاء أمير المؤمنين حيث لم يسمح لهم الحاجب بالدخول، ويرون أن مسلمة بن عبدالملك هو الذى يستطيع أن يشفع لهم بالدخول، فأنزلهم منزلاً كبيراً فى قصره الكبير وطلب أن يمهلوه إلى الغد حتى يستطيع لقاء أمير المؤمنين.

وفى صباح الغد توجه مسلمة إلى قصر الخلافة، وقابله عمر بن عبدالعزيز بأسمى مظاهر التجلة والاحترام، وجلس مسلمة ليرى مع عمر صاحبيه سالم بن عبدالله ورجاء بن حيوة، وسالم يتحدث إلى عمر فيقول له:

- يا أمير المؤمنين إن أردت النجاة من عذاب الله، فَصُمْ عن الدنيا، وليكن إفطارك الموت، وإن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين لك أبًا وأوسطهم لك أخًا وصغيرهم لك ابنا فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك.

ثم سكت سالم فقال رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحبه لنفسك واكره لهم ما تكرهه لنفسك، وإنى أخاف عليك كل الخوف من يوم تزل فيه الأقدام، وتعظم الآثام.

فابتسم مسلمة وقال لعمر: نِعْمَ الصاحبان رفيقاك، ولكن الدنيا لا تسير على نمط واحد، ولى معك حديث خاص.

فاستأذن سالم ورجاء، فأذن لهما أمير المؤمنين.

● قال مسلمة، وقد خلا المكان: معى لك أمران، أمر يتعلق بأمراء البيت المروانى وأمر يتعلق بشعراء المدينة وقد عرفا منزلتى لديك فاستشفع بى هؤلاء وأولئك فماذا تقول؟

●● فابتسم عمر وقال: أنت يا مسلمة جاهدت فى سبيل الله، وحضرت معركة القسطنطينية، وجاهدت على أبواب الصين غازيا، وأرجو أن أكون فى ركابك يوم يقوم الناس لرب العالمين، فهل ترانى على حق

حين أحمى بيت المال، وأدع ذخائره للفقراء والمساكين، أم أكون على حق حين أبذره تبذيرا فأعطيه لمن تكدست عندهم الأموال ويعيشون عيشة البذخ والتبذير ينفق الواحد منهم فى اليوم الواحد ما يحتاجه مئات الفقراء حين يتضورون من الجوع، قل أيها المجاهد الباسل الشريف؟!.

● قال مسلمة: لقد سحرنى قولك على إيجازه، ومادام القوم يعيشون فى بذخ كما أعلم وتعلم فأنا مع أمير المؤمنين.

●● قال عمر: الحمد لله! بلغنا منتصف الطريق. فماذا عن شعراء المدينة المنورة؟

● قال مسلمة: لقد كانوا يفدون على أمير المؤمنين عبدالملك، ثم أمير المؤمنين الوليد، ثم أمير المؤمنين سليمان، حين يملكون زمام الحكم فيمدحونهم ويرجعون بالهبات الجزيلة يتحدثون عن فضائلهم فى قصيد رنان ويذيعون مآثرهم فى إسهاب، ثم حضروا إلى قصر الخلافة بالأمس، فردهم الحاجب خائبين واستشفعوا بى إليك.

●● فقال عمر: ويلى من شعراء المدينة لقد كنت واليا على المدينة عدة سنوات وسمعت كثيراً مما قالوا من الشعر عفيفًا وغير عفيف، بل حفظت بعض ما قالوا لأنى أَطْرب إلى الأدب، وأرى الشعر ديوان العرب، وأنا أعرفهم واحداً واحداً، ولأجلك سأقابلهم وأناقشهم فيما قالوه، فقد يرتدعون عن الضلال.

قال مسلمة: حياك الله وأكرمك، ومتى يكون اللقاء؟

●● قال: من الغد وفى الصباح بإذن الله.

***

فوجئ عمر بن عبدالعزيز بأن القادمين ليسوا من شعراء المدينة وحدهم، بل معهم الفرزدق، والأخطل، وجرير، فأسرها فى نفسه ثم سمح بدخولهم واحداً واحداً، وبدأ بعمر بن أبى ربيعة فدخل مستخذيا فقال له أمير المؤمنين:

- يا عمر! ألست القائل:

فَيا لَيتَ أنى حَيثُ تَدنو مَنيّتى
شَمَمتُ الَّذى ما بَينَ عَينَيكِ وَالفَمِ
وَلَيتَ سُلَيمى فى القبور ضَجيعَتى
هُنالِكَ أَو فى جَنّةٍ أَو جَهَنَّمِ

إن الإنسان حين تدنو منيته يثوب إلى رشده، وأنت فى هذا المأزق الحرج تتمنى ما لا يباح! ارجع إلى وطنك واسلك غير سبيل الضالين.

فخرج عمر منكسراً، وجاء الحاجبُ بكثيِّر فنظر إليه عمر مليًّا وقال له:

- ألست القائل:

رهُبانُ مَدينَ وَالَّذينَ عَهِدتُهُم
يَبكونَ مِن حَذَرِ العَذابِ قُعودا
لو يَسمَعونَ كَما سَمِعتُ كَلامَها
خَرّوا لِعَزَّةَ رُكَّعًا وَسُجودا

أيكون السجود والركوع لغير الله يافاسق ! ارجع إلى وطنك ولا أرى وجهك المقيت .

فخرج كُثيِّر منكسراً، وجاء الحاجب بالأحوص، فنظر إليه عمر فى غضب وقال له :

– ألست القائل :

اللَّهُ بَينى وَبَينَ سيدها
يَفِرُ عَنّى بِها وَأَتَّبِعُ

فهل وصل الفحش بك إلى محاصرة الجوارى ومتابعتها دون أن يردعك ضمير أو دين، ارجع إلى وطنك ولا أراك فى دمشق .

فخرج الأحوص مخذولا، وجاء الحاجب بالفرزدق، وهو ينظر متعاظماً كأنه يعتز بشعره فقال له عمر :

– أتفضح نفسك يا فاسق فتقول :

هُما دَلَّتانى مِن ثَمانينَ قامَةً
كَما انقَضَّ بازٍ أَقتمُ الريشِ كاسِرُه
فَقُلتُ ارفَعا الأَسبابَ لا يَشعُروا بِنا
وَوَلَّيتُ فى أَعقابِ لَيلٍ أُبادِرُه

هب أن الله ستر عليك أتكون عدو نفسك وتشيع الفاحشة بين المؤمنين ارجع إلى وطنك أيها التعيس .

فخرج الفرزدق حزيناً، وجاء الحاجب بالأخطل، فنظر إليه عمر متفرساً وقال له :

– وأنت يا أخطل تقول :

وَلَستُ بِصائِمٍ رَمَضانَ عُمري
وَلَستُ بِآكِلٍ لَحمَ الأَضاحى
وَلَستُ بِقائِمٍ كَالعَيرِ يَدعو
قُبَيلَ الفَجرِ حَيَّ عَلى الفَلاحِ

أنت نصرانى فلا تلزمك صلاة ولا صيام فلماذا تتهكم بشعائر المسلمين ثم تجئ لتأخذ هبة أمير المؤمنين، ارجع عنى أخزاك الله .

فدخل الحاجب ومعه جرير فابتسم عمر فى وجهه وقال :

– يا جرير ألست القائل :

ذُمَّ المَنازِلَ بَعدَ مَنزِلَةِ اللِوى
وَالعَيشَ بَعدَ أُولَئِكَ الأَيامِ
طَرَقَتكَ صائِدَةُ القُلوبِ وَلَيسَ ذا
وَقتَ الزِيارَةِ فَارجِعى بِسَلامِ

هذا والله هو الغزل العفيف والتشوق إلى ماضى العهد البهيج، وأنا يا جرير لا أمنح الشعراء من بيت المال، فهم ليسوا من ذوى الصدقات ولكن ما فى منزلى غير مائة درهم صافية لى، هى لك، فقال جرير :

– ستكون أحل مال كسبته منذ قلت الشعر !

● فرغ المكان إلا من عمر ومسلمة فقال عمر لمسلمة : ماذا تقول فيما رأيت ؟

فقال مسلمة : لقد فتحت عينى على كثير مما لم أكن أعلم، فوفقك الله إلى خير ما تحب يا أمير المؤمنين.

نظـرة أدبيـة

الحمــاة
بين الواقع الاجتماعى والرؤية الأدبية

للدكتور- متولى محمد البساطى

الحديث عن الحماة لا يكاد يخرج عن دائرة الاهتمام لأى فرد: رجلا كان أو امرأة، متزوجاً، أم عزباً.. وهو موضوع خصب يصلح للنظر من جوانب عدة، اجتماعية، أو تاريخية، أو أدبية، أو دينية أو نفسية.

والمجتمع العربى- شأنه شأن المجتمعات الأخرى- تبدو فيه النظرة العدائية للحماة متأصلة فى الوجدان الفردى، والجمعى، ولها جذورها الممتدة التى يصعب اقتلاعها سواء من جهة الزوج نحو أم زوجته، أو من جهة الزوجة، نحو أم زوجها، وإن بدت بصورة حادة فى الحالة الثانية.

وهذه النظرة العدائية من قبل كل من الزوج والزوجة يقابلها فى العادة نظرة مماثلة من قبل الحماة، ولذا يبدو الشعور العدائى متبادلا بين الطرفين، ولربما يرجع السبب الأساسى إلى الغيرة المتبادلة: فأم الزوج تغار من الزوجة التى انتزعت منها ابنها الذى لا يمكن أن تفرط فيه، أو تقبل التنازل عنه، هذا الابن الذى صارت زوجته محور اهتمامه، ومحط تفكيره واحتلت مكانة الأم.

والأم تريد من جانبها أن تظل لها مكانتها بالنسبة لابنها، فتحاول التشبث بهذا الابن، والحصول على ما يمكن من غريمتها زوجة الابن، وهى مشكلة ربما تكمن فى اللاشعور عند كل منهما، إذ أن الزوجة هى الأخرى تتشبث بزوجها محاولة أن تظفر به ظفرا كاملاً، ولا ترضى أن تتنازل عن شىء، ويكون الابن «الزوج» ضحية هذا الصراع النسائى.

والحال كذلك بالنسبة للزوج مع أم زوجته، إذ يظفر هو الآخر باهتمام زوجته، ويحل محل أمها في اهتمامها به، والتوجه نحوه، وتريد الأم هي الأخرى أن تظل لها سيطرتها على ابنتها، بينما الزوج يريد أن يكون سيد الموقف، وما تدخل الأم في حياة ابنتها بعد الزواج إلا صورة من صور هذا التشبث، وهو تصرف قد يفسد حياتها الزوجية، وينتهي بها إلى الانهيار.

وأظن أن قضية الصراع هذه إنما هي قضية إنسانية، لا تقتصر على مجتمع دون آخر.

ومما يساعد على اشتداد هذا الصراع قوة العلاقات، وتشابكها، وطبيعة الحياة المشتركة، حيث يعيش الابن في منزل الأسرة مع أمه، وأبيه، فيظل للأم دورها في توجيه الأمور داخل المنزل، وينظر إلى الزوجة على أنها وافد جديد، دخيل على الأسرة، وأنها غرة صغيرة، بينما ترى الزوجة أنها صاحبة الحق، وسيدة المنزل، وتحاول أن تأخذ مكانتها، وتعد أي تدخل في شئونها انتقاصا من حقها وقدرها.

وهذا الصراع العدائي يترتب عليه نتائج سيئة غير ما سبق، منها: انتقال العداوة أحيانا من الزوجة إلى الزوج، أو من الأم إلى الزوج، مما قد يترتب عليه اتساع شقة الخلاف في الحياة الزوجية، مما قد يفضي إلى الانفصال.

وتظفر الحياة بنصيب وافر من الأمثال الشعبية، التي تعكس تلك النظرة، التي تتوارث من جيل إلى جيل، وكذلك الحال في المسرحيات، والمسلسلات، والأفلام، ومن الأقوال الشائعة في هذا: «حماتك مماتك» وقد ورد في مجمع الأمثال للميداني:

إن الحماة أولعت بالكنّة
وأُولعت كنّتُها بالظِّنَّة

وهو مثل يضرب في الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك (1).

ومن الإنصاف القول بأنه وسط هذه الصورة العدائية لسوء العلاقة وتوترها بين الطرفين تبدو لوامع مضيئة لعلاقة طيبة حميمة تعطي انطباعا بالأمل لصحة العلاقات وقوتها بين حموات وأبناء وبنات اتسمت صلتهم بالود والبر، وظل الوفاء للحماة سمة مميزة في حياتها وبعد مماتها مثلها في ذلك مثل الأم عند بعض الأبناء والبنات، ليظل ذلك استثناء من القاعدة، وهو استثناء نرجو أن يصير هو القاعدة.

وفي محاولة لتتبع هذه القضية، وانعكاسها في الجانب الإبداعي استرعى انتباهي موقف شاعرين: أحدهما قديم، والآخر حديث معاصر.

ففي القديم يصور أبو النجم العجلي «ت ١٢٠ هـ» هذه العلاقة غير الطيبة تصويراً ساخراً، في وصية لابنته عند زواجها ضمن

(١) مجمع الأمثال،ص١ ص١١، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم. مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٩٧٨.، والكنة : امرأة لابن.

عدة وصايا، فكان مما حرص عليه ألا تتوانى عن إيذاء حماتها، وعن مضاعفة هذا الإيذاء، وهى وصية لها خطرها، وأثرها السيىء على حياة ابنته، لأنها إذا عملت بها ستجعل حياتها معركة مشتعلة الأوار وما كان أحراه بدعوتها إلى البر بحماتها، والصبر عليها لتستقيم حياتها.

وكأن أبا النجم يدعو ابنته أن تنتقم له مما أصابه فى حياته الزوجية، إذ أنها لم تكن هادئة وادعة، كما يبدو من شعره، فزوجته أم الخيار كانت تجفوه وتعنفه، وتؤذيه بالقول الجارح [٢] ولا ندرى كيف كان حاله مع حماته، أم زوجته قبل زواجه منها، وبعد زواجه.

فلعل لأمها دوراً فى ذلك، مما جعل أبا النجم يكرهها، ويجفوها، وتصير علاقته بها أعقد من ذنب الضب.

ومما قاله فيها:

قد زعمت أم الخيار إنى
شبت وحنى ظهرى المحنى
وأعرضت فعل الشموس عنى
فقلت ماداؤك إلا منى
لن تجمعى ودى ولن تضنى

ولأم الخيار كذلك رجز فى أبى النجم تعيبه فيه، وتسبه، ولا يسمح المقام هنا بذكره[٣].

وكان لأبى النجم ثلاث بنات هن: ظلامة، وبرة، وثالثة أهمل ذكر اسمها، وولد اسمه شيبان.

وأبو النجم فى حديثه عن زوجته أم الخيار، يذكر أنها كانت تلفق له الأكاذيب، وتدعى عليه إدعاءات [٤].

قد أصبحت أم الخيار تدعى
علىّ ذنبا كله لم أصنع
من أن رأت رأسى كرأس الأصلع

وفيما سبق اعتراف ضمنى بذنب ارتكبه، وعنفته عليه، وذلك فى قوله: كله لم أصنع، وتتضمن القصيدة تهديدا لزوجته بالحبس، والشتم، والضرب، والإيجاع، على الرغم مما يربطه بها من قرابة:

يا ابنة عما لا تلومى واهجعى
لا تسمعينى منك لوما واسمعى
أيهات أيهات ولا تطلعى [٥]
هى المقادير فلومى أو دعى
لا تطمعى فى فرقتى لا تطمعى
ولا تروعينى، ولا تروعى
واستشعرى اليأس ولا تفجعى
فذاك خير لك من أن تجزعى
فتحبسى، وتشتمى، وتوجعى

وتتكرر منه الوصية، لابنته فى أكثر من

(٢) مقدمة ديوان أبى النجم العجلى ص٢٣، تقديم وشرح وتحقيق علاء الدين أغا، النادى الأدبى بالرياض ١٤٠١/١٩٨١م.

(٣) السابق ص ٢٢٥-٢٣٦ (٤) السابق ص ١٣٢-١٣٣

(٥) أيهات أيهات بمعنى: بعد ما تطلعين إليه منى من ودأوخير أو حتى فراق

قصيدة مما يفيد تعمق النظرة العدائية بينهما، وإن جاء شعره على سبيل السخرية والمفاكهة، جريا على طبيعته.

فهو يوصى ابنته «برة» أن تكرم الكلب، ولا تكرم الحماة، وأن تعم بالشر الحى كله حيث توجد الحماة، فيقول:

أوصيت من برة قلبا حرا
بالكلب خيرا، والحماة شرا
لا تسأمى ضربا لها وجرا
حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهبا ودرا
والحى عميهم بشر طرا

ويقول لابنته فى قصيدة ثانية:

سبى الحياة وابهتى عليها
وإن دنت فازدلفى إليها
ثم اقرعى بالودء مرفقيها
وأوجعى بالفهر ركبتيها
وركبتيها واقرعى كعبيها
ومزقيها واضربى جنبيها
وظاهرى النذر لها عليها
لا تخبرى الدهر به ابنتيها
واغلقى كفيك فى صدغيها (٦)

وفى وصية ثالثة جاءت ضمن عدة وصايا، كلها خير ماعدا ما يتصل بالحماة، وهى وصايا يحرص عليها لأنه موقن أنه ميت، ويضم الزوج إلى الحماة فى الوصية بالشر والأذى، لأنه ابنها:

أوصيتك يا بنيتى فإنى ذاهب
أوصيك أن يحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب
لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تنى أظفارك السلاهب
منهن فى وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب (٧)

وعلى الرغم من شيوع هذه النظرة العدائية لا يوجد فى الشعر العربى القديم غير القليل من القصائد التى تعكس تلك النظرة العدائية، وستكون الندرة كذلك فى الشعر العربى المعاصر.

ولربما يرجع السبب فى الندرة إلى حساسية الموقف، وتشابك العلاقات، وما يترتب على ذلك من عواقب وخيمة قد يمتد أثرها إلى الآخرين، فالحماة أم للزوجة، ولا نظن الزوجة تقبل هجاء أمها أو النيل منها، فيكف الشاعر لسانه إيثارا للسلامة.

---

(٦) ديوان أبى النجم ص٢٣٠، وابهتى عليها: افترى عليها الأكاذيب واقذفيها بالباطل. والود هو العشيان بالإسادة، والشتم. والفهر: الحجر ملء الكف يدق به الوتد.

(٧) ديوان أبى النجم. ص٦٧. والسلاهب: الطوال. وكاتب أن تكتب وتخطر فى وجه الحماة، لتتأكد من الأذى بظهور أثره.

طرائف.. ومواقف

للشيخ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

ما قيل في العلم والعلماء

قال الحسن البصرى رضى الله عنه :

قد يكون الرجل عالمًا ولا يكون عابداً، ويكون عابداً ولا يكون عاقلاً.

وقد تحقق قول الحسن هذا فى مسلم بن يسار، فقد كان عالما عابداً عاقلاً.

وقد قيل : ما قرن شىء إلى شىء أفضل من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة.

وقالوا : من تمام آلة العلم أن يكون شديد الهيبة، رزين المجلس، وقوراً صموتا، بطىء الالتفات، قليل الإشارات، ساكن الحركات، لا يصخب ولا يغضب، ولا يهم فى كلامه، ولا يمسح عثنونه عند كلامه فى كل حين، فإن هذه كلها من علامات العى.

ومدح العلامة عبدالله بن المبارك مالك ابن أنس فقال :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة
فالسائلون نواكس الأذقان
هدى الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال فيه أيضًا :

صموت إذا ما الصمت زين أهله
وفتاق أبكار الكلام المختم
وَعى ما وعى القرآن من كل حكمة
وسيطت له الآداب باللحم والدم

حقيقة

وبينما المرء أمسى ناعمًا جزلاً
فى أهله معجبًا بالعيش ذا أنف
فما تزود مما كان يجمعه
إلا حنوطا وما واراه من خرق

لم أعز أحسن من هذا العزاء

رثا «متمم بن نويرة» أخاه مالك بن نويرة الذى قتل بيد خالد، فلما استنشده عمر ذلك الشعر:

لقد لامنى عند القبور على البكا
رفيقى لتذراف الدموع السوافك

تأثر به عمر، وقال: ليت مثله قيل لأخى زيد بن الخطاب، وكان قد استشهد فى القتال للإسلام، فقال «متمم»: ولكن أخى مالكا لو قتل كما قتل أخوك لم أبك عليه [هدف مختلف].

فقال عمر - رضى الله عنه -: لم يعزنى أحد فى أخى زيد بن الخطاب أحسن من هذا العزاء.

يطلق خمس نسوة فى يوم واحد

قال الأصمعى للرشيد: يا أمير المؤمنين بلغنى أن رجلاً طلق خمس نسوة فى يوم واحد، فقال الرشيد: وكيف ذلك، ولا يجوز للرجل الزواج بأكثر من أربع؟

قال الأصمعى: كان هذا الرجل متزوجًا بأربع، فدخل عليهن فوجدهن متنازعات يتعاركن، وكان سريع الغضب فقال: إلى متى هذا النزاع، ونظر إلى امرأة منهن، وقال: ما أظن إلا أنك المتسببة فى هذا، اذهبى فأنت طالق.

فقالت له صاحبتها: عاجلت عليها بالطلاق، ولو أدبتها بغير هذا لكان أصلح.

فقال: وأنت أيضًا طالق.

فقالت الثالثة: قبحك الله يا رجل، فوالله لقد كانتا إليك محسنتين.

فقال لها: وأنت أيتها المعددة أياديهما طالق.

فقالت الرابعة: ضاق صدرك إلا أن تؤدب نساءك بالطلاق؟

فقال لها: وأنت طالق أيضًا.

وكانت جارية تسمع ما جرى منه فأشرفت عليه، وقالت له: والله ما شهدت العرب عليك بالضعف ولا على قومك إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا أن تطلق نساءك فى ساعة واحدة.

فقال لها: وأنت أيتها المرأة المتكلمة فيما لا يعنيك طالق إن أجازنى بعلك، وسمعه زوجها فأجابه صائحا: لقد أجزتك، فعجب الرشيد من ذلك.

برد.. ونار

يكفيك من التقوى برد الاطمئنان، ويكفيك من المعصية نار القلق والحرمان.

«ما الرزية»؟؟

لعمرك ما الرزية فقد مال
ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر
يموت بموته خلق كثير

«العمل بالعلم»

قال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا [الصفا الحجر الأملس].

وقال حكيم: لولا العمل لم يطلب العلم، ولولا العلم لم يطلب العمل.

وقال الصائى:

ولم يحمدوا من عالم غير عامل
ولم يحمدوا من عامل غير عالم

«النية والحسبة والخلق»

خاطب عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ابنه عبدالله فقال:

أما بعد: فإن من اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن استقرضه جزاه، فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا صديق لمن لا خُلق له.

غرور

قال أبوالعلاء المعرى:

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

فقال له صبى: إن كنت صادقاً فيما تقول، فهات حرفاً جديداً غير حروف العربية الثمانية والعشرين فلم يستطع أبوالعلاء جواباً.

لماذا تبكى؟

جلس أشعب مع قوم يأكلون فبكى، فقالوا له: لماذا تبكى؟

فقال: الطعام حار.

قالوا له: دعه حتى يبرد.

فقال أشعب: ولكنكم لا تدعونه.

دعاء

اللهم اعطنى من الحلم أجمعه، ومن العلم أنفعه، ومن الرزق أوسعه، واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.

ما يقال عن البهائية

للأستاذ/ عادل خفاجة

إن أهم ما يميز الدين الإسلامى أنه دين يعتمد العقل والتفكير منهاجاً وأساساً للإيمان وفى نفس الوقت يعتمد البساطة والبعد عن التقعر الفلسفى أساسا للتفكير لينأى بأصحابه بعيدا عن الضلالات العقلية.

لذلك نرى الحق سبحانه وتعالى يقول:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة/ ١٦٤)

ويقول جل من قائل:

﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان/ ٦٢)

ويقول النبى - ﷺ: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة» (صحيح البخارى جـ ٢).

إن المتأمل لآيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم يلاحظ بوضوح أن الإسلام دين يكرم العقل ويقدس البعد عن الغلو والتطرف، فمن لايحترم العقل أو لايلتزم بالوسطية فليس له من الإسلام شىء غير اسم يدعيه.

ولقد علم أعداء الإسلام ذلك فأتوه من هذا الجانب جانب الغلو والتطرف للخروج عن صحيح الدين بعيدا عن سماحة الإسلام ويسره فكان أول من بذر فى الإسلام بذرة المغالاة فى الدين عبدالله بن سبأ، فزعم إن القرآن له باطن وظاهر وان الظاهر غير مراد، والباطن لايفهمه إلا الأئمة وليس من الضرورى أن يكون هذا الباطن منسجما مع العقل أو متمشياً مع المنطق «وزعم أن عليا - كرم الله وجهه - كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله»[1].

---

(١) راجع الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر البغدادى واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين الرازى.

وهذا المبدأ بالذات كان القصد منه وضع خط فاصل بين ألفاظ القرآن ومصطلحات الشرع من جهة وبين المضامين والمعاني التي تنصرف إليها هذه الألفاظ وتحتويها هذه المصطلحات»[٢].

من هذه البذرة التي بذرها عبدالله بن سبأ خرجت الباطنية ومن سار على شاكلتها من الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت مَن ادعى النبوة لبعض آل البيت كفرقة الإسماعيلية الذين قالوا بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر، بل زعمت هذه الفرقة انه لا يخلو زمان من نبوة إلى يوم القيامة ولم يقفوا عند دعوى النبوة بل تجاوزوها إلى القول بالإلهية لجماعة من آل البيت وغيرهم قالوا بإلهية عليٍّ عليه السلام وإلهية كثير من أولاده وأحفاده[٣] وقد سار البابية البهائية على نفس الدرب الذى سلكه إخوانهم الباطنية لصرف القرآن والحديث عما يراد بهما من الحكمة والهداية.. ولكي نعرف البهائية لابد أن نعرف أولا البابية التي انبثقت عنها البهائية وورثت دعوتها وقامت على أنقاضها أو صارت امتدادا لها فالبابية نسبة إلى الباب وهو محمد على الشيرازى الذى أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه الباب.

وكلمة الباب معروفة عند طوائف الشيعة والصوفية فالإسماعيلية يطلقون كلمة الباب على الشيخ أو الأساس الذى يعلم الناس أمور الدين.

والدروز يطلقونها على الوزير الروحاني الأول الذى يشمل «العقل الكلى».

وقد ولد محمد على فى شيراز أول المحرم سنة ١٢٣٦هـ-٢٦ من مارس سنة ١٨٢١م وكان أبوه تاجرا فتوفى وهو صغير فقام خاله بكفالته وأخذ يشتغل بعد ذلك بتجارة أبيه ثم ظهر اهتمامه بالأمور الدينية وجنح إلى الزهد والتقشف والاشتغال بالتصوف إلى حد الهوس حتى لقد كان يصعد إلى سطح المنزل ويظل فى الشمس ساعات طويلة وقد انتهت به هذه الحال إلى أن بدا عليه خلل فى تفكيره واضطراب فى قواه العقلية.

فبعث به خاله إلى النجف وكربلاء للاستشفاء بزيارة قبرى الإمام على والحسين رضى الله عنهما ولكنه طاب له المقام هناك فأقام فى كربلاء وأخذ يعاود ما كان عليه وأكثر من التلاوة والتهجد مما لفت إليه بعض تلاميذ الرشتى فأخذه إلى مجلس شيخه وكان الرشتى شيخ طائفة الشيخية بعد الأحسائى وكان كلاهما يكثر من الحديث عن الموعود والمهدى والقائم الذى أوشك زمانه ويحث أتباعه على البحث الجاد عنه فوجد الشيرازى فى كلام الشيخ الرشتى ما يهدهد أحلامه ويفتح أمامه باب الأمل فيما هجست به وساوسه فأخذ يكتب ويقلد الرشتى ثم أخذ يهمس لمن حوله بأنه باب المهدى.[٤]

تعاليم الباب

قام الباب بتلفيق كثير من التعاليم جمعها من الديانات المختلفة وأطلق عليها دينه الجديد ودعا إليها أتباعه ومريديه نذكر منها أنه:

---

(٢) البهائية وسائل وغايات.. للأستاذ الدكتور طه حبيشى ص٧، ٨ الطبعة الثانية - القاهرة ٢٠٠٦.

(٣) محمد الخضر حسين: البابية أو البهائية.. مجلة الأزهر المجلد ٨ ص٣٥٨.

(٤) محمد إبراهيم الجيوشى - مجلة الأزهر المجلد ٣٤ ص١١١٨، ص١١١٩.

١- ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا فى الجنازة.

٢- جعل القبلة هى البيت الذى ولد فيه بشيراز أو مكان سجنه أو البيوت التى عاش فيها هو وأتباعه وفرض على أتباعه الحج إليها.

٣- أنكر وجوب الطهر من الجنابة.

٤- جعل للعدد - ١٩ - عند البابية تقديرا خاصا ولذا فهم يقدسونه جدا، فالسنة عندهم تسعة عشر شهرا، والشهر تسعة عشر يوما، ويدير شئون جماعتهم مجلس يتألف من تسعة عشر عضوا. (٥)

وهذه الفتنة بالرقم ١٩ جعلتهم يجعلون عدة المطلقة تسعة عشر يوما.. فأى فائدة ترجى من هذه التسعة عشر يوما إذا كان المقصود من العدة براءة الرحم؟!

وهم لا يصلون فى مساجد المسلمين ولا كصلاتهم بل لهم معابد وصلوات مخصوصة كما انهم لايحجون البيت الحرام بل يحجون قبر بهاء الله والمهدى ولا يصومون رمضان بل يصومون تسعة عشر يوما ابتداؤها يوم شم النسيم وبالجملة فلو اطلع أحد على حقيقة دينهم اطلاعا تاما لعلم ان الإسلام برىء منهم وان ما يتصفون به من قولهم: إنا نحن مسلمون رياء وكذب لايرضاه الله ولا المسلمون أجمعون.

عقيدة البهائيين

استقرت عقيدة البهائيين - كما قررها لهم البهاء حسين على المازندرانى «١٢٣٣ - ١٣٠٩» فى ألواحه ووحيه وكما فسرها دعاته فى كتبهم ونشراتهم - على أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هى رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديما وحديثا هم مظاهر أمر الله ومهابط وحيه فى زعمهم، وآخرهم وأكملهم هو مفسر سورة الواقعة فى مؤتمر بدشت ميرزا حسين المازندرانى الذى لقب نفسه «بهاء الله» فهو عند نفسه وعند أذنابه مظهر الله الأكمل وهو الموعود ومجيئه الساعة الكبرى وقيامه القيامة ورسالته البعث والانتماء إليه الجنة ومخالفته هى النار وعندهم أن الديانات السابقة والأنبياء كانت مهمتهم التبشير بسخافاته وأن ظهوره هو ظهور جمال الله الأبهى وإن أتباعه - حتى الذين يمتازون عليه بالعلم والذكاء والخبث مثل أبى الفضائل الجرفادقانى - كلهم يدعونه «ربنا» وليس ذلك تعظيما له ولا اعتقادا بتفوقه عليهم ولكن بغضا فى الإسلام وحقدا عليه وتآمرا مع ربهم على الكيد للرسالة المحمدية. (٦)

وإلى القارىء بعض ما ورد فى كتبهم، على ما أورده الأستاذ الكبير محب الدين الخطيب:

---

(٥) المرجع السابق ص١١٢١.

(٦) محب الدين الخطيب.. البهائية.. مجلة الأزهر ص٢٧٥ المجلد السادس والعشرون.

كتاب (الإيقان)

ولقد نسبت إلى ربهم كتب يؤمنون بأنها هى وحى الله - ومنها - ولعله أولها - كتاب «إيقان» الذى طبعه محفلهم المركزى فى مصر سنة ١٣٥٢ وهو فى ٢٠٠ صفحة ويقول عنه أعظم دعاتهم الجرفادقانى فى رسالته الثانية من مجموعة رسائله المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٩ «١٩٢٠» صفحة ٣٦ عند كلامه على «المعاد والرجعة» : «إن إرادة حضرة المحبوب - لازالت أقطار الأرض منورة بأنوار وجهه ورياض العالم مزينة بأزهار أمره - قد تعلقت باتحاد كلمة أوليائه وأمره المبرم قد نفذ باتفاق قلوب أحبائه فعليك بالاغتراف من معين «الإيقان» الذى جرى من قلم الرحمن، هذه الأزمان فإنه - مع وجازته - تبيان الزبر والألواح ومترجم كتب الله فالق الإصباح به فك ختم النبيين[7] وحل عقد إشارات السابقين فابذل غاية الجهد والتدبر فى هذا الكتاب المستطاب ليلهمك الصواب فى كل باب واحفظ قلوب الأحباب عن نطاق الشك والارتياب ان «ربنا» لبالمرصاد وهو ولينا فى المبدأ والمعاد.

تنازع الأخوين على كتاب «الإيقان»

ومن العجيب أن كتاب «إيقان» هذا يتنازعه عدو الله البهاء المازندرانى وأخوه المخالف له يحيى المازندرانى فكل منهما يدعيه لنفسه ومعلوم أنهما كانا معا فى إيران وانتقلا معا إلى العراق ثم إلى القسطنطينية وأدرنة فلما تقرر نفيهم إلى عكا سنة ١٢٨٥ أبى أخوه يحيى أن يبقى في عشرته وتمرد على ربوبيته وطلب الانفصال عنه فأرسل إلى قلعة ماغوسة فى جزيرة قبرص ومن هنا ادعى يحيى أن كتاب «الإيقان» من إنشائه باللغة الفارسية وقال أخوه حسين «البهاء» : بل هو من وحيى وتنزيلى حتى قال فى «الإشراق التاسع» ص١٠٤ من ترجمة الإشراقات المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٤٣ مع «نبذة من تعاليم حضرة بهاء الله» : ولما وردنا العراق ألفينا أمر الله خامدا ونفحات الوحى مقطوعة وشاهدنا الأكثرين جامدين بل أمواتا غير أحياء، لذا نفخ فى الصور مرة أخرى، وجرت هذه الكلمة المباركة من لسان العظمة «نفخنا فى الصور مرة أخرى، وأحيينا الآفاق من نفحات الوحى والإلهام».[8]

مجموعة الألواح

ومما يسميه البهائيون وحيا من ربهم البهاء كتاب يسمونه «مجموعة الألواح المباركة» وهو مطبوع بأمر عبد البهاء فى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨ «١٩٢٠» وقد جاء فى ص١٦١ منه في لوح من ألواحه عنوانه «هو الناظر من أفقه الأعلى» مخاطبا شخصا اسمه عبدالوهاب : «ياوهاب، إذا اجتذبك ندائى الأحلى وصرير قلمى الأعلى قل : إلهى إلهى لك الحمد بما فتحت على وجوه أوليائك أبواب الحكمة والعرفان.. أى رب أسألك بالذين أسرعوا إلى مقر الفداء شوقا للقائك وما منعتهم سطوة الأمراء عن التوجه إليك بما أنزلته فى كتابك ثم بالذين أقبلوا إلى أفقك بإذنك وقاموا لدى باب عظمتك وسمعوا نداءك

(٧) أى أبطل به كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين.

(٨، ٩) محب الدين الخطيب مجلة الأزهر - المجلد السادس والعشرون.

وشاهدوا أفق ظهورك وطافوا حول إرادتك أن تقدر لأوليائك ما يؤيدهم على ذكرك وثنائك وتبليغ أمرك إنك أنت المقتدر على ما تشاء لا إله إلا أنت الغفور الرحيم، يا قلمي الأعلى بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء».

وهذا الخطاب - وكثير غيره من أمثاله - مبنى على أن البهاء حسين على المازندرانى هو الله وأنه لا إله إلا هو الغفور الرحيم المقتدر على ما يشاء وإن أساس عقيدتهم أن الله ليس له وجود الآن إلا بظهوره فى البهاء الأبهى بلغ الكمال الأعلى وإنه ليس لله - عندهم - أسماء ولا صفات ولا أفعال إلا ما يتصف به من صفات مظهره وهو البهاء وما يصدر عن البهاء من أفعال إلهية ![9]

ومن كتبهم الدرر البهية: وفيه إنكار كون القرآن معجزا ببلاغته وفصاحته وتأويل آيات القرآن على ما ينطبق على بدعتهم وغير ذلك من الضلال.

وهم يزعمون أن النبى ﷺ لم يبين للناس معنى القرآن الحقيقى وأسراره الخفية وبواطنه المعنوية ولا بينها الصحابة والأئمة من بعده وإنما بقيت مجهولة مبهمة حتى قام «بهاء الله» الأعجمى الفارسى الذى لم يحسن العربية فبينها على حقيقتها لأن الروح الإلهى حل به فأنطقه بذلك.

بيت العدل

«اتجه البهائيون بتوجيه اليهود إلى تأسيس بيت العدل فى حيفا بعد أن استقرت الدولة الإسرائيلية واستقرت فيها التشكيلات البهائية الممثلة للمحافل البهائية فى جميع أقطار الدنيا.

والمرء حين يقرأ لأول مرة تشكيل بيت العدل البهائى ويتأمل الأعضاء فيه يجد نفسه مشدوها.. إذ انه لو لم يقرأ اللافتة البهائية لظن نفسه داخل أعتى تشكيل للماسونية العالمية، حيث تشكل بيت العدل فى حيفا لأول مرة سنة ١٩٦٣ انتخب الصهيونى الأمريكى «ميسون» ليكون رئيسا روحيا لجميع أفراد الطائفة البهائية مع العالم». [10]

وبعد... فإذا كان القرآن قد بشر بأن الله تعالى رفع عن كل البشر سيطرة الرؤساء الروحانيين حتى خاطب من أنزله عليه بقوله:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾

(الغاشية ٢١: ٢٢)

وسمى النبى ﷺ عبدا، وذلك هو الرجوع إلى الفطرة المعتدلة كما ورد فى قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾

(الروم: ٣٠)

وهو بالإضافة إلى أنه رجوع إلى الفطرة السليمة ففيه تبشير برشد البشر واستقلالهم فهل يحق للبابية أو دين أو أى فرقة أخرى أن تأتى لتهدم هذا كله عودة إلى إرجاع السيطرة الدينية للأشخاص؟!

إن الله الذى منَّ على الإنسان بنعمة العقل لايرضى لعباده أن يكونوا عبيدا لبشر مثلهم، مهما ادعى بعضهم أنه مظهر الله!! فإن الله تعالى لايرضى لعباده الكفر.

(١٠) أ.د. طه حبيشى.. البهائية وسائل وغايات ص٢٥.

بين المجلة و القارئ

إعداد وتقديم
أحمد السيد تقى الدين

عن البهائية

لا خلاف فى أن شبكة المعلومات الدولية «الانترنت» واحدة من أهم وسائل الاتصال والتواصل الحضارى والثقافى فى العالم ان لم تكن الأهم على الإطلاق لأنها تتيح فرصة التواصل لجميع المستويات الثقافية والعلمية بدون انتقاء أو تفرقة وبالتالى فهى تعطى صورة تقريبية صادقة إلى حد ما لما يحدث فى مختلف دول العالم.. ومن الطبيعى أن يقوم المرء بتصفح المواقع المنتمية لبلده وهذا هو ما أوصى به ويحرص عليه غيرى.

ولكننى توقفت عند ملاحظة غريبة وهامة فى نفس الوقت وهى أن عددا من المنظمات والحركات والتجمعات المصرية التى نشأت مؤخرا تتبنى أى فكر مناوىء للدولة لا لشىء إلا لأنه مناوىء للدولة وهو أمر بالغ الخطورة، فبالتأكيد هناك العديد من السلبيات التى يمكن رصدها فى كافة مؤسسات الدولة ولكن بالتأكيد هناك إيجابيات!!

والخطير فى الأمر أن السلبيات أو ما اعتبرته تلك المنظمات سلبيات هى أمور لا تتعلق بسياسة الدولة، ولكن بما وقر فى أذهان الشعب - وأقول الشعب - بأنه مسلمات بدهية لا تقبل النقاش، حيث تقوم هذه المنظمات بمهاجمة تلك المسلَّمات الشعبية البدهية التى لايقبل رجل الشارع فى مصر المساس بها - من منطلق أنها سياسة الدولة وليست توجها شعبيا فطريا.

وأقصد بهذا مسألة «البهائية» تلك الفئة التى طالب الأزهر منذ سنوات ولا يزال يطالب بتطهير مصر منها ومن أدرانها واجتثاثها من جذورها.

المنظمات الشعبية لم تدافع بشكل صريح ومباشر عن البهائية ولكنها سمحت للبهائيين والشيوعيين بعرض فكرهم على مواقعها كما لو كان يدخل فى إطار حرية التعبير!!

البهائيون عرضوا فكرهم على مواقع المنظمات الشعبية من منطلق أنهم أقلية مضطهدة، والذى يضطهدها الحكومة وليس الشعب.. هكذا عرضوا فكرهم.

والسؤال: هل ردع الكفر ومواجهته والحيلولة دون انتشاره يعد مصادرة لحرية التعبير وحرية التدين؟

- البهائيون يدعون النبوة وأنهم أفضل من سيدنا محمد ﷺ.
- البهائيون يرفضون ما جاء في القرآن الكريم جملة وتفصيلاً.
- البهائيون أبطلوا الحج إلى مكة وجعلوا حجهم إلى حيفا في الأراضي الفلسطينية المحتلة وتحت العلم الإسرائيلي.
- البهائيون جعلوا السنة تسعة عشر شهرا والشهر تسعة عشر يوما وبالتالي فهم يصومون تسعة عشر يوما فقط.
- والبهائيون رفضوا فكرة الجهاد ضد الاحتلال ودعوا إلى الاستسلام وإلقاء السلاح أمام العدو وغير ذلك كثير كثير.

هل من المنطق أن يُعبد الطريق لهذه الفئة الضالة المنحرفة لتفتن الناس في دينهم وتنحرف بهم عن الجادة بما تبثه من سموم على شبكة المعلومات الدولية.

هل الجهر بالكفر والمفاخرة به يدخل في إطار حرية التعبير والديمقراطية التي تتبنى الولايات المتحدة الأمريكية نشرها في الشرق الأوسط وبشكل خاص في مصر؟! مع ملاحظة أن الولايات المتحدة الأمريكية قدمت ملايين الدولارات وبشكل علني لعدد غير قليل من منظمات المجتمع المدني في مصر وغير مصر.

وهناك أصوات أمريكية عديدة استنكرت وهاجمت الموقف الديني والشعبي الرافض للوجود البهائي في مصر، خاصة وأن الولايات المتحدة بها نحو مليوني بهائي بما يمثل أكبر تجمع للبهائيين في العالم.

فهل تكون هذه المنظمات - التي نشأت في مصر مؤخرا بدعم أمريكي قوي - طابور خامس يعمل لصالح الأهداف الأمريكية التي تهتم حالياً أكثر ما تهتم بشن حرب شعواء على العقيدة الإسلامية وتهاجم كل الدول العربية والإسلامية التي تنص دساتيرها على أن الإسلام هو المصدر الأول للتشريع فيها ومن بين هذه الدول مصر؟!

- المنظمات المذكورة لم تحدد موقفها بشكل صريح وواضح من النص الدستوري الذي يقول: إن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأول للتشريع.
- المنظمات المذكورة لم تحدد موقفها بشكل صريح وواضح تجاه البهائية والقاديانية والشيوعية وغيرها.

في الوقت نفسه فإن هذه المنظمات بدأت تتغلغل في كيان هذا الشعب استغلالا للظروف السياسية والاقتصادية التي تمر بها البلاد، وبدون أن تسفر عن وجهها الحقيقي الذي يكتنفه الكثير من الغموض فما أيسر استغلال الظروف وتهييج الرأي العام وإثارته وادعاء المواقف البطولية لكسب التعاطف والتأييد وصولا إلى تحقيق الأهداف غير المعلنة ألا وهي تجريد الأمة من عقيدتها وهويتها الدينية التي هي سر وجودها ووحدتها وتماسكها.

أتمنى أن أكون مخطئا وألا يكون في مصر خونة وعملاء.

أحمد نقي الدين

معاوية بن أبى سفيان

القارئ أحمد عبدالرحيم ـ شبرا الخيمة كتب يقول: إنه قرأ فى أحد الكتب أن معاوية بن أبى سفيان تسبب فى مقتل الخليفة الراشد على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ واغتصب الخلافة لنفسه، فى حين أنه سمع من خطيب المسجد أن معاوية كان أحد كتبة الوحى، وأنه كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطلب تفسيرا لهذا التناقض: كيف يتفق لصحابى أن يقتل الخليفة؟

●● وأقول للقارئ العزيز إن معاوية بن أبى سفيان بن حرب أسلم يوم فتح مكة، وبعض الروايات التاريخية تقول إنه أسلم قبل ذلك وكان يكتم إسلامه.

حسن إسلام سيدنا معاوية وشارك فى غزوة حنين وكان أحد كتاب الوحى لرسول الله ﷺ، روى له عن النبى ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثا، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو الدرداء، وجرير بن عبدالله البجلى، والنعمان بن بشير، ومن التابعين سعيد بن المسيب، وحميد بن عبدالرحمن.

وقد أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن أبى عميرة الصحابى عن النبى ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هاديا مهديا»

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب».

وعلى هذا فسيدنا معاوية بن أبى سفيان صحابى جليل والصحابى كما عرفه ابن حجر: «من لقى النبى ﷺ مؤمنا ومات على الإسلام».

وقد روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن احدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه».

وروى الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون».

ومن هنا فلا يجوز أبدا أن ننساق وراء روايات تاريخية زائفة ليس لها من هدف إلا الطعن فى عدالة وإسلام أصحاب رسول الله ﷺ بل والتشكيك فى رسالة الإسلام نفسها.

وما وقع من خلاف بين سيدنا على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ وسيدنا معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه ـ كان مرجعه أسلوب القصاص من قتلة

سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ فسيدنا على ابن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ كان يرى أن الفتنة تضرب الدولة الإسلامية بعنف، وأن الأمر يقتضى القضاء على الفتنة أولا وتوفير الأمن ثم القبض على القتلة والقصاص منهم، فى حين أن سيدنا معاوية كان يريد القصاص فورا من القتلة فشب بينهما الخلاف وكان ما كان من أحداث لا ينبغى لنا أبدا أن نكون مؤيدين فيها لطرف ضد طرف.. إنهم صحابة رسول الله ﷺ

وفى ذلك روى الإمام أحمد أن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما ـ قال: «لا تسبو أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره».

إنما الأمم الأخلاق!!

كتب الأستاذ / السيد حسين العزازى ـ وكيل وزارة سابق بالكهرباء والطاقة، قال:

ـ الحضارة بدون أخلاق ليست أكثر من مظهر براق بلا مضمون وما أقربها شبها بما حذرنا منه الرسول (ﷺ) بقوله «إياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله قال: المرأة الجميلة فى منبت السوء» والحضارة المادية المتسارعة بما تحتويه من إبهار وإثارة تخفى أنياباً قاطعة تفتك وتمزق الخارجين عليها والكارهين لها إن اعترضوا طريقها أو سدوا المنافذ لانطلاقها باتجاه مصالحها النهمة وطموحها الجياش ـ ومهما تكلمنا عن التقدم فلا يمكن توصيفه بمنأى عن الأخلاق باعتبارها صمام الأمان والسياج الواقى للإنسانية بكل ما تعنيه من قيم رفيعة وسلوك رشيد وفكر ملتزم ورؤية ثاقبة وهمة عالية وإرادة واثقة تبذل وتنجز وتدفع وتنقذ وتنصف وترفع ويتنامى عطاؤها ويتواصل خيرها فيعم الجماعات والمجتمعات ويتخطى المكان بالانتشار ويواكب الزمن بالاستمرار.

والذين يتحلون بالأخلاق النبيلة يشكلون القدوة والنبراس للبشرية مصلحين ومجددين يغرسون المثل ويرسخون الثوابت ويهيئون القلوب والضمائر لاستيعاب الصلاح علما له مناهجه، وعملا له قواعده وفوائده والرسول ﷺ كان يلخص رسالته بقوله الشريف: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ويصفه الخالق ـ عز وجل ـ بقوله الكريم:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(القلم/ ٤)

ومن منطلق خلقه كانت سجاياه وشمائله وخصاله وفضائله وفيوض نوره وإلهامه الكاشف وجرأته فى الحق وبسالته

فى الواجب وصبره واحتسابه عن إيمان بمشيئة الله.

ومن جملة ذلك تحققت أستاذيته للبشرية قاطبة واتسمت رسالته بالشمولية والعمومية والعالمية والخاتمية لأنها خاطبت الفطرة السوية والنفوس النقية وزودت المؤمنين بالتقوى وجعلت منهم أمناء وحراسا للحق وطلاباً للحقيقة الناصعة وعندما يتواجد ويتكاثر أمثال هؤلاء يقلٍ الفساد حتى يتلاشى ويصير الصواب سبيلاً والسداد نتيجة وما نعانيه من عجز وهوان يشخص افتقادنا وافتقارنا للاقتداء وبما يرتب وهن الانتماء وضعف الوفاء وغياب التكافل فى إطار من القناعة والتواضع، ونحن بما نعانى لا نخرج عن كوننا فصيلا معاندا للمنهج الأخلاقى، وتحولنا للأفضل رهن بالرجوع والإنابة من منطلق موضوعى يترفع عن الصدام وينهج من المرجعية ما فيه خير البشرية مصداقا للحديث الشريف: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى).

وليتنا نتخلى عن الاستعلاء والتفرد ونحرص على دعم الشورى والمشاركة وأن يكون لدينا إلى جانب ملكة الابتكار فضيلة الاعتبار بالموروث الأخلاقى للسلف ممن أبرزوا العدل أسلوبا وسلوكا، ويالها من صيحة مدوية فى قرار المكان وعمق الزمان تلك التى قالها أبو بكر الصديق لجموع المبايعين «أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم» وتلاه عمر بن الخطاب: «لو رأيتم فىَّ اعوجاجا فقومونى» فيعقب عليه الأعرابى لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف فتهلل عمر ولم يضق صدره أو يبدو حرجه بل حمد الله الذى أودع الشجاعة فى قلوب الرعية.

● وتكمن مشكلتنا فى تعطيل ميراثنا الثقافى وبخاصة الأخلاقى بكل ما يشتمله من معاملات وأدبيات الحوار والتفاهم بما فى ذلك النقد والإفادة والنصح والاستجابة، وتبرز الفواصل بين ما نقول ونعرف، وبين ما نفعل ونعمل وهذه الانفصامية ترتب الجفاف والجمود وتنزع نبض الحيوية بحيث يصير الشعار مجردا من الشعور وأحرى بنا أن ندعم الدعوة الأخلاق وأن نسعى جاهدين للتطبيق لكونها ضرورة لازدهار المجتمع وترسيخ الأمن الاجتماعى عبر كل مجالات الحياة بدوافع إنسانية وتلقائية تضفى عليها المصداقية والغيرية والخيرية، وأن تتجسد آلياتها وهى الشفافية والإخلاص، وأن تكون عين الفرد على الجماعة وهمة الجماعة فى خدمته وبذلك يتوفر طوق النجاة الذى يحملنا إلى بر الأمان ومن خلاله نستطيع أن نبنى حصون السلام ورحم الله القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يوسف بن تاشفين

وعن يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين كانت كلمة الأستاذ الأديب فرج مجاهد عبدالوهاب - عضو اتحاد الكتاب - شربين - دقهلية، قال:

ولد فى المغرب سنة ٤١٠هـ ولقب بملك الملثمين وهو أول من دعى بأمير المسلمين.

آل إليه أمر دولة المرابطين سنة ٤٦٢هـ وكان رجلا تقيا حازما داهية مجربا فمد فتوحه فى المغرب الأفريقى حتى دان له جميعا واختط مدينة مراكش فكانت عاصمة لدولة المرابطين ثم ملك سبتة وطنجة وفاس وأصبح بذلك مطلا على جنوب الأندلس.

استنجد به المعتمد بن عباد من أشبيلية ضد الافرنج فى الأندلس فاستجاب له بدافع من حب الجهاد والنصرة لإخوانه المسلمين فعزم على الزحف إليهم بجموعه وما كادت سفن جيش المسلمين تنشر قلاعها حتى صعد ملك الملثمين إلى مقدمة سفينته ودعا الله قائلا: «اللهم إن كنت تعلم أن فى جوازى هذا خير وصلاحا للمسلمين فسهل علىّ جواز البحر وإن كان غير ذلك فصعبه حتى لا أجوزه» فهدأ البحر وجازت السفن سراعا ولما نزل بأرض الأندلس سجد شكرا لله، وانضم إليه ملوك الطوائف بالأندلس منهم الراضى، ومنهم الكاره، فاخترق الولايات بجيوشه حتى التقى ألفونسو السادس عند الزلاقة سنة ٤٧٩هـ وظهرت منه خصال وأفعال تعيد إلى الأذهان سيرة السلف الصالح.

أعد ألفونسو ملك الفرنج جيشا قوامه خمسين ألفا وقال: هؤلاء أحارب بهم الجن والملائكة. فلما تقابل الجيشان أحاط جيش المسلمين بجيش ألفونسو وضيق عليه وأباده إبادة تامة ولم ينج إلا ألفونسو وخمسمائة مقاتل من جيشه.

وبايعه بعد موقعه الزلاقة ثلاثة عشر ملكا من ملوك وأمراء الأندلس وعند تكرار اعتداءات الإفرنج فى الأندلس سير جيوشه إليهم واستولى قائد جيوشه «شير بن أبى بكر» على مدن مرسيه وشاطبة ودانية ثم بلنسية وأشبيلية وبطليوس وتم له ملك الأندلس كلها وبالرغم من هذا لم يخرج على الخلافة العباسية حتى توفى فى مراكش سنة ٥٠٠هـ.



عودة الاعتداء على المساجد بكندا

اعتدى متطرفون من المعادين للوجود الإسلامى بكندا على أحد مساجد مدينة «تورنتو» عقب اعتقال «١٧» شخصاً مسلماً تتهمهم السلطات الكندية بالتخطيط لهجمات إرهابية، وهو ما أثار مخاوف المسلمين من أن يكون الاعتداء على المسجد بداية لردود فعل عكسية ضدهم.

وأعرب «محمد علم» رئيس المؤسسة الإسلامية فى «تورنتو» عن مخاوفه من أن «الحادث ربما يكون بداية عمليات انتقامية ذات دوافع دينية ضد السكان المسلمين فى كندا» الذى يقدر عددهم بأكثر من «٦٠٠» ألف نسمة.

حظر عمل المحجبات فى ثامن ولاية ألمانية

لحقت ولاية «وستفاليا» الألمانية بغيرها من الولايات التى تحظر رسمياً على المعلمات المسلمات ارتداء الحجاب بالمدارس وذلك بعد أن أقر برلمان ولاية شمال الراين تعديل قانون التعليم الذى يقضى بمنع المعلمات المسلمات من ارتداء الحجاب أثناء التدريس بأغلبية أصوات الائتلاف الحاكم المكون من الاتحاد المسيحى الديمقراطى وحزب الديمقراطيين الأحرار.

أما حزبا المعارضة الخضر والاشتراكى الديمقراطى فقد عارضا تعديل قانون التعليم

بشدة، فى حين يعتبره المجلس الأعلى للمسلمين فى المانيا سلباً للمرأة المحجبة حق ممارسة ممارسة مهنة التدريس.

كما وصف حزب الخضر ذلك التعديل بأنه خطأ فادح قد يؤثر سلبا على عملية الاندماج فى المجتمع الألمانى لأنه لا يحل المشاكل ومن الممكن أن ينظر إليه على أنه رمز للتمييز كما اتهم الحزب «لورمان باربارا سومر» وزيرة التعليم فى الولاية بانها لم تلتفت لكل الحجج التى تبرهن على مساوئ تعديل قانون التعليم.

كما انتقد المجلس الأعلى للمسلمين فى المانيا منع المعلمات من ارتداء الحجاب واعتبره تمييزاً واضحاً ضد المسلمين ووصفه بأنه بمثابة قرار يمنع المسلمات المحجبات من ممارسة وظيفة التدريس وخاصة أن الحجاب لا يتسبب أبداً فى نشوب الصراعات داخل المجتمع كما يزعم البعض.

محاكمة الكاتبة الإيطالية «فلاتشى» بتهمة إهانة المسلمين

بدأت جلسات محاكمة الكاتبة والصحفية الإيطالية المعروفة «أوريانا فلاتشى» فى مدينة «بيرغامو» شمالى إيطالى وذلك بتهمة القذف وإهانة الديانة الإسلامية وكان رئيس الجمعية الإسلامية الإيطالية قد رفع دعوى قضائية ضد «فلاتشى» بعد أن نشرت كتاباً عنوانه «قوة العقل» وقد ضمنته العديد من الجمل المهينة للمسلمين.

وقد عبرت بعض الأوساط اليمينية فى إيطاليا مثل حزب «عصبة الشمال» عن تضامنها مع الصحفية الإيطالية.

وحذر بعض السياسيين والمثقفين الإيطاليين من مغبة الحجر على حرية التعبير فيما اتهم آخرون «أوريانا فلاتشى» بتأجيج مشاعر الكراهية ضد المسلمين.

إسرائيل حولت «٧٣» مسجداً لملاه ليلية

كشفت صحيفة «هآرتس» العبرية النقاب عن قيام الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بتنفيذ مخطط مدروس بعناية شديدة من أجل تدمير المساجد الفلسطينية بخاصة

التاريخية منها وتحويل أغلبها إلى معابد يهودية وأماكن لهو وقد تم تنفيذ جزء كبير من هذا المخطط بصورة سرية إلى حد ما بحيث لاينتبه أحد ولايتكلم عنها من بعيداً وقريب اللهم إلا عرب إسرائيل الذين لايجدون من ينقل عنهم آلامهم حول تلك المساجد التى تم تدميرها وتدنيسها.

وأورد التقرير الذى أعده الصحفى الإسرائيلى «روبرت ميرون» أن هناك ما يقرب من «٣٤» مسجداً تم تحويلها تماماً إلى أماكن أخرى مثل «كنيس يهودى» أو متاحف إسرائيلية أو اسطبلات خيل لمعسكرات الجيش الإسرائيلى.

جائزة عالمية لنصرة الرسول ﷺ

أعلنت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى عن جائزة عالمية خاصة بالتعريف بنبى الرحمة محمد ﷺ بتمويل من مؤسسة الشربتلى الخيرية ومجموع جوائزها «٦٠٠» ألف ريال سعودى لثلاثة فائزين وذلك للإسهام فى الدفاع عن الرسول ﷺ من خلال التعريف بشخصيته ومكانته فى قلوب المسلمين وبسنته وهديه ومآثره العظيمة وإبراز منهاجه فى معالجة المشكلات المعاصرة.

ودعت الأمانة العامة للرابطة الكتاب والمفكرين والباحثين والمتخصصين فى السيرة النبوية للمشاركة فى المسابقة.

وأوضح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى د. عبدالله التركى «أن باب المشاركة فى الجائزة مفتوح لجميع الراغبين فى تقديم الدراسات والبحوث الخاصة بموضوع الجائزة وتم تحديد عدد من الشروط للمشاركة منها أن تحقق الكتابة أهداف الجائزة بالتركيز على مآثر النبى ﷺ وخلقه ومعاملاته مع غير المسلمين وعلى آراء غير المسلمين المنصفين فيه.

رابطة لتوضيح مفاهيم الإسلام بالكونجرس الأمريكى

«الموظفون المسلمون بالكونجرس» هو اسم رابطة شكلها موظفون مسلمون يعملون فى مبنى الكونجرس الأمريكى لتغيير المفهوم المشوه عن الإسلام لدى موظفى وأعضاء

الكونجرس وذلك من خلال تنظيم عدة محاضرات تعريفية لتوضيح المبادئ الحقيقية للإسلام وإزالة الصورة المشوهة من أذهانهم وتعمل المحاضرات على توضيح معنى الجهاد الإسلامى الذى يستخدمه الأمريكيون للإشارة لأعضاء القاعدة رغم ماتحمله الكلمة من معان أوسع وأشمل من هذا التغيير.

بالإضافة إلى استعراض حياة سيدنا محمد ﷺ وتوضيح الآثار النفسية السيئة التى انتابت المسلمين عقب نشرصحف غربية رسوماً كاريكاتيرية مسيئة للنبى ﷺ والتى آثارت تظاهرات واسعة فى أنحاء العالم.

حصاد الحرية الأمريكية فى العراق

كلما تحدث الأمريكيون عن الحرية المزعومة فى العراق كشفت الأقدار عن جرائمهم التى يندى لها الجبين ضد الإنسانية فى السجون فضلا عن المذابح فى العديد من مدن العراق خاصة فى سجن أبوغريب ومذابح جماعية فى الحديثة حيث يطلق الأمريكيون النار على الأطفال والنساء، وآخر التقارير العراقية كشف عن زيادة عدد القتلى فى مايو الماضى عن إبريل الماضى بنسبة ٣٨٪.

وبحسب الأرقام قتل ١٠٥٥ عراقياً وأصيب ١٤٢٣ آخرون بجروح فى مايو مقابل ٧٦٢ قتيلاً و١٠٨٨ جريحاً فى إبريل الماضى.

***

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ محمد قطب خضير
رئيس قطاع مكتب الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الشيخ/ عمر الديب ـ وكيل الأزهر الشريف ـ الدكتور/ محمد فخر الدين عبدالمعطي ـ المستشار التعليمي بسفارة ماليزيا بالقاهرة.

رحب فضيلة وكيل الأزهر بالسيد المستشار التعليمي ودار الحديث حول المنح التي يخصصها الأزهر لطلاب وطالبات ماليزيا الذين يفدون للدراسة بالأزهر وجامعته العريقة، وأكد فضيلة وكيل الأزهر علي أن طلبة وطالبات ماليزيا يحافظون علي دينهم وعلومهم وهم مثال للانضباط وتحمل المسئولية، وبالأزهر الشريف أعداد كبيرة من الطلبة الدارسين من دولة ماليزيا ـ كما أشاد فضيلة وكيل الأزهر بمدارس ماليزيا ومعاهدها التي تقوم بتدريس مناهج الأزهر الشريف وهي بذلك مثال صادق للتعاون بين الأزهر وماليزيا، حيث تهتم ماليزيا بتعليم الدين الإسلامي من خلال وسطية واعتدال المناهج الأزهرية.

ومن جانبه أشاد المستشار التعليمي لدولة ماليزيا بالقاهرة ـ بالأزهر الشريف ودوره العالمي تجاه تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم بوسطية واعتدال، وأنه جاء لمزيد من المنح الدراسية، حيث إن للأزهر قبول حسن لدي حكومة ماليزيا والتي ترجع دائماً للأزهر الشريف في الأمور الدينية، وخاصة أن معاهد ومدارس ماليزيا تطبق المناهج الأزهرية في فكرها.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالي الدكتور باسم نعيم وزير الصحة بالسلطة الوطنية الفلسطينية يرافقه سعادة السفير/ منذر الدجاني سفير فلسطين بالقاهرة.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بمعالي الوزير مؤكدا علي أن الشعب الفلسطيني دائما في قلوبنا ونتمني له التقدم والرخاء وأن يكون للفلسطينيين دولتهم المستقلة، مضيفا بأننا نشعر بما يعاني

منه الشعب الفلسطيني ونطالب بوحدة الصف الفلسطيني وأن يفرج الله كربه، كما أوضح فضيلة الإمام أن معهد غزه الديني يؤدي واجبه التعليمي تجاه أبناء الشعب الفلسطيني حيث يشرف عليه الأزهر الشريف كما أن الدراسة فيه قائمة علي المناهج الأزهرية والتي تمتاز بواسطيتها واعتدالها.

وقدم فضيلة الإمام الأكبر النصح لشعب فلسطين بالتعاون والتصافي وأن يكونوا جميعا كالبنيان المرصوص، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وإذا كانت هناك بعض الخلافات فيجب الا تؤثر علي وحدة الشعب الفلسطيني كما طالب في دعوته بنبذ الخلافات فيما بينهم.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفداً يتكون من أساتذة جامعات أزربيجان وعضوتان من البرلمان الأزربيجاني وذلك في إطار الدورات التدريبية في الثقافة العربية والإسلامية التي يعقدها مركز جامعة القاهرة للغة والثقافة العربية علي نفقة الصندوق المصري للتعاون الفني مع دول الكومنولث بوزارة الخارجية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد الأزربيجانى فى الأزهر الشريف موضحاً بأن أعداداً كبيرة من الطلاب يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وأن هناك عدداً من علماء الأزهر معارون لأزربيجان للتعاون مع هيئات التدريس بالمعاهد والجامعات هناك كما يقدم الأزهر منحاً دراسية تقدر بحوالى ٢٠ منحة كل عام، وقدم فضيلة الإمام الأكبر شرحاً مبسطاً عن التعليم بالأزهر الشريف وجامعته العريقة والتى تمتاز الدراسة به بالوسطية والاعتدال والسماحة واليسر.

قدم أعضاء الوفد الشكر لفضيلة الإمام الأكبر لإتاحة الفرصة لهم لهذا اللقاء وعلى مايقدمه الأزهر من منح ومساعدات دراسية لأبناء ازربيجان.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد المستشار/ محمد على أبوغازى مستشار رئيس جمهورية الجزائر وتأتى هذه الزيارة فى إطار التعاون الثقافى والدينى بين الأزهر الشريف وجمهورية الجزائر.

وأعرب الضيف عن سعادته لإتاحة الفرصة له لهذا اللقاء مؤكداً بأن الأزهر له مكانة خاصة لدى أبناء شعب الجزائر، حيث إن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال ويشهد بذلك أبناء الجزائر الذين تلقوا علومهم بالأزهر الشريف.

ومن جانبه رحب فضيلة الإمام بالضيف مشيراً إلى أن الأزهر الشريف لايدخر وسعاً فى تعليم أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض وبخاصة أبناء دولة الجزائر الشقيق كما بين فضيلة الإمام

الأكبر أن الدورة التدريبية التى يعقدها الأزهر الشريف كل ثلاثة أشهر لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى يشارك فيها خمسة من دولة الجزائر يتلقون خلالها المحاضرات فى الأحكام الشرعية والفقهية ويتعرضون فيها لأمور الفتوى ومستجدات العصر، وهم ينقلون ماتعلموه على أيدى أساتذة وعلماء الأزهر الشريف من فتاوى وأحكام شرعية إلى أبناء بلدهم.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير/ إبراهيم أدريس ـ سفير أثيوبيا بالقاهرة بمناسبة تولية مهام عمله كسفير جديد لبلاده بجمهورية مصر العربية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير بالأزهر الشريف، متمنياً له التوفيق فى علمه كسفير لبلاده بجمهورية مصر العربية، وبين فضيلة الإمام بأن لدولة أثيوبيا طلبة وطالبات يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة يزيد عددهم على المائة بمراحل التعليم المختلفة بالأزهر، كما خصص الأزهر عشرين منحة دراسية لأبناء أثيوبيا. وأن الدراسة بالأزهر تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التطرف الأعمى.

ومن جانبه شكر سعادة السفير فضيلة الإمام الأكبر على إتاحة الفرصة له لهذا اللقاء مشيداً بدور الأزهر الشريف فى تعليم أبناء أثيوبيا بالأزهر، وأن العديد من خريجى أثيوبيا اللذين تلقوا تعليمهم وتخرجوا فى الأزهر الشريف يحتلون بعض المناصب العليا بالحكومة الأثيوبية، كما أن المسلمين يمثلون ٤٠٪ من تعداد سكان أثيوبيا الذى يبلغ ٧٨ مليون نسمة وأن حرية ممارسة العقيدة مكفولة للجميع.

وفى نهاية اللقاء طلب سعادة السفير زيادة التعاون الثقافى بين أثيوبيا والأزهر وزيادة عدد المنح الدراسية.

***

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ السيد اللورد/ جورج كارى ـ رئيس أساقفة كانتربرى السابق والوفد المرافق له.

بدأ اللقاء بترحيب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف، قائلاً بأن مثل هذه اللقاءات تتيح لنا الفرصة لتبادل الآراء ومناقشة الأمور التى تهم المسلمين والمسيحيين فى شتى بقاع الأرض وخاصة فى هذا الزمن الذى نواجه فيه التحديات ومشاكل العصر، لأننا مسلمين ومسيحيين نعتبر الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة وأن اختلاف العقائد لا يمنع من التعاون، وأن العقائد لاتباع ولا تشترى، والذى يحاسب على العقائد هو

الله ، وأن العقول الانسانية السليمة سواء للمسلم أو غير المسلم متفقة على ما جاءت به الأديان بأن هناك فضائل يجب أن تتبع وأن هناك رذائل يجب أن تجتنب ، ونحن نؤكد أن أى إساءة للرسل هى إساءة للمسلمين والمسيحيين جميعاً .

وأضاف فضيلته بأنه تحدث مع بعض القيادات الدينية فى العالم بشأن إصدار قرار من مجلس الأمن يقول بأن حرية التعبير مكفولة للجميع بشرط ألا تسىء للأنبياء والرسل ، ونطالب بتجريم الإساءة للرسل .

ومن جانبه شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوى والاستقبال ، مؤيداً ماسمعه من فضيلة الأكبر بأن المجتمع الدينى مستاء لما يحدث وأن من قاموا بهذه الرسوم ليس لهم دين ولا يمثلون الفكر المعتدل فى الغرب ، وأن حرية التعبير يجب أن تكون مقرونة بالمسئولية ، ويجب علينا كرجال دين أن نعمل معاً لإيجاد حل لهذه المشاكل ، وأرى أن دور القيادات الدينية يتخلص فى :ـ

- الإدانة الكاملة لمثل هذه الإهانات .
- الدعوة لأن يكون للحرية مسئولية مقترنة بالحوار العاقل والتعبيز العاقل .

***

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفداً من دولة المانيا يمثل السياحة والتنمية وبعض قيادات الإعلام الالمانى ، برئاسة البروفسور الدكتور/ فريد مان بوتنر .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف ومؤكدا على أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وهم أخوة في الإنسانية يتعاونون من أجل خدمة الإنسانية وتبادل المنافع التى أحلها الله فيما بينهم ، وأن الحضارات تتعاون ولاتتصادم الأمر الذى يعود على بنى البشر بالخير ، وأن الأديان السماوية التى أنزلها الله تدعو إلى المحبة والتسامح والبعد عن التعصب الأعمى ونبذ العنف وتحرم قتل النفس البشرية وهو ما تؤكده الشريعة الإسلامية التى تعتبر قتل النفس الواحدة ظلما وعدوانا هو بمثابة قتل الناس جميعا .

كما أجاب فضيلته عن أسئله واستفسارات السادة أعضاء الوفد حول رأى الأزهر فى التحديث والتطوير ـ قائلا بأن التقدم الصناعى والزراعى والعلمى نسعى إليه مع الاحتفاظ التام بعقائدنا كمسلمين .

كما أجاب فضيلته عن سؤال حول قتل الأبرياء قائلا :ـ بأنه حرام حرام فى الإسلام ، فالدين الإسلامى يحرم قتل الآمنين من الأطفال والنساء والشيوخ كما أن الاديان السماوية تتمسك بالفضائل وفى الوقت نفسه تدعو إلى البعد عن الرذائل .

some of the daily newspapers, which were too blind to see that those who said so did not like Islam to be supported by the prominent among the Western thinkers. That was the logic of people whose souls were filled with hatred against Islam. True are the Words of Allah in which He said:

{And Allah refuses (anything) except to perfect His light, though the disbelievers hate (that).}

[At-Tawbah (Repentance): 32]

Al-Azhar's Invitation

It was my pleasure to deliver a speech at Al Mansura's Arabic Faculty on the occasion of celebrating Al-Azhar Millennium. I gave mention to the strong reasons that pushed Roger Garodi to embrace Islam and I asked Dr. Muhammad Al-Tayyib Al-Najar, Al-Azhar University's President, to invite the great thinker, in the name of Al-Azhar University, to attend the big celebration at Cairo and deliver a comprehensive speech about the reasons that guided him to Islam. As expected, Dr. Muhammad Al-Tayyib responded to my suggestion and invited Garodi to Egypt. Garodi gladly came to Egypt and gave an exquisite speech about the reasons that motivated him to embrace Islam. He was the focus of mass media then, and his meaningful words decorated the newspapers, radio and television. Moreover, his fruitful ideas about Islam and its history, and the Arabian civilization and its pioneering status, exhorted the prominent thinkers to comment on them.

To conclude, Roger Garodi would find contradictory opinions about Islam so that he was suffering confusion. He used to read the books of some writers who, unfortunately, would color Islam with their personal inclination and desire, so their works would be void of objectivity. Nevertheless, the aspiring researcher kept reading, balancing and reasoning while wishing to reach the truth. He eventually did.

The strange thing about this was that Roger Garodi had criticized the US bias to Israel but he did not suffer the attack he suffered at Paris when he criticized Israel itself. Those who would claim the freedom of publishing and freedom of speech at the City of Light were themselves who prevented Roger Garodi from publishing his books. The publishing houses feared and thus abstained from printing and distributing his books.

Hereupon, we have to record for those who speak about the City of Light and Capital of Liberty and Equality that such light is restricted to their country and that such freedom does not go beyond their borders, while the freedom of man in all countries and the light that covers every horizon are but illusions belied by the painful facts.

Resonant Echo

The event of Garodi's embracement of Islam had a resonant reverberation all over the globe, even for those who tried to ignore such an event from among the enemies of Islam. Their attempt to ignore and disregard such an event indicated a psychological repression that was about to explode. Sometimes they tried to belittle the rank of the great thinker, despite his massive contributions to the human thought and which, before his conversion to Islam, gained their admiration. However, when he embraced Islam, all that admiration turned into hatred, and they began to contradict themselves declaring their suspicion of Garodi's intellectual faculty, which they had confessed once. What an irony!

On the other hand, there were some people who felt the intensification of Garodi's embracement of Islam and wanted to belittle it. They said that Islam was not in need of the likes of Garodi in order for it to be firmly established, for Islam possessed deep and original principles that would suffice it and thus it did not need a new supporter. Such malicious words were published at

Roger Garodi
How Islam Lightened up His Heart?!
By: Dr . Mohammad Rajab Al-Bioumy

When the severe campaign in France was launched against the great Islamic thinker Roger Garodi, Cairo called to honor him and give him the chance to talk about the mean attack he, and his supporter Father Pierre, suffered. For that aim, various meetings were held at Journalists Syndicate, Ain Shams University and other places. As for the one who invited the struggling researcher, Roger Garodi, it was the prominent writer Sa`d Wahbah who sincerely talked about that unjust stance saying:

> "I do not think that a great philosopher, or a broad-minded thinker, well versed at logic, knowledge, and history, and of the highest intellectual rank as Roger Garodi, would suffer persecution, attack and criticism for just revealing the truth of 'The Holy of Holies' i.e., the Zionistic policy. This is because he dared to reveal the falsehood and deviation in all that the Zionists themselves claimed of fake and invented matters. That was the reason behind deserving all that happened to him at the Capital of Light (i.e., Paris), where he, as well as Father Pierre, was attacked. Moreover, publishers stopped printing his books and he was brought before court but he refused to defend himself."

Sa`d Wahbah went on:

> "What happened to Roger Garodi depicts the ordeal of man under the new world system. That is why it was urgent to invite Roger Garodi to come to Cairo to raise his voice and declare that there are still peoples who respect the truth and stand in the face of persecution and deviation."



in the situation. Such a move would require more efforts so as to encourage the other parties to contribute to peace and stability. That is why the whole world was surprised to see the US declarations issued soon after signing the agreement. Such declarations stated the necessity of referring Darfur file to the Security Council in order to issue a decree of sending international forces to the region. This attitude was strongly opposed by the Sudanese government in addition to the fact that the African Union struggled along three years to avoid such a thing.

It is worth noting that the Sudanese Foreign Minister, Dr. Lam Akol, praised, at a press conference held at Sanaa, the significant and active role played by Egypt, under the auspices of President Mubarak, as a neighbor of the Sudan and a member of the League of the Arab States and the African Union. That is, coordination between the two countries would continue in order to reach a permanent and comprehensive peace.

Additionally, Dr. Lam Akol stated that signing the peace agreement by the other rebellious parties was a possible matter had the United Stated not intervened through its representative, Robert Zoellick, the Deputy Secretary of State, who managed to persuade the leaders of the two rebellious movements to standstill and reconsider the situation again. It seems that the US administration was surprised to see the Sudanese government sign the agreement that soon.

been extended for two times. This is despite the fact that the draft agreement suggested by the African Union was supported by the international community and it came as a result of the estimation of the participating mediators as regards the views and attitudes of the concerned parties and the overall commitments of the Sudan at both the internal and external levels.

Mr. Abdullah Massar stated that the government's approval of the draft agreement reflected its persistence and seriousness towards solving Darfur issue, as well as its responsibility towards relieving the suffering of the displaced and refugee at the region. The Sudanese government thought that reaching a settlement, as soon as possible, would contribute to restoring peace and stability at the region.

As a sign of hope, the Sudan Liberation Army, under the leadership of Mini Arkoi Minawi, signed the draft agreement. This represented a good omen of reaching an end of the bloodshed and displacement of people at Darfur. This is based on the fact that the followers of Mini Arkoi Minawi represent the strongest wing in the Sudan Liberation Army. On the other hand, the party of Khalil Ibrahim and Abdel-Wahed Mohamed Al Nur, the two representatives of the "Justice and Equality Movement", refused signing the agreement.

Undoubtedly, reaching an agreement at Abuja, through the signing of both Mr. Magzoub Al-Khalifa, representing the Sudan Government, and Mr. Mini Arkoi Minawi, the leader of the greatest party in the Sudan Liberation Army, came as a great turning point

negotiations taking place at Abuja. Egypt also takes part in the consultations related to such negotiations through President Mubarak's Personal Representative, Ambassador Ahmed Hajaj. The official source at the Foreign Ministry declared that Egypt welcomed the draft peace agreement, at Darfur, delivered by the African Union Mediation to the concerned parties days ago. He stated that the suggested draft agreement reflected the aspirations and hopes of all parties, and offered a great deal of balance and realistic view.

The official source also said that the Ministry of Foreign Affairs appreciated the efforts exerted by the African Mediation along the past months as well as its role in exhorting the concerned parties to sign the suggested draft agreement as soon as possible. The same official source affirmed that Egypt intended to continue cooperation with the delegations participating in the discussions at Abuja with the aim of reaching an immediate peace settlement. Moreover, the official source indicated that Egypt should work hard during the coming days to increase the humanitarian aids offered to the people of Darfur. The reason behind this is that Cairo hopes that the suffering of the Sudanese people at Darfur comes to an end, and that peace and stability prevail over that important region.

In this regard, the Sudanese President's Advisor, Abdullah Massar, accused the rebels of Darfur of hindering reaching a draft peace agreement at Abuja negotiations. He demanded the rebels to sign the draft agreement suggested by the African Union before the termination of the specified period which would end on Tuesday, 2 May 2006. It is worth mentioning that the specified period for signing the draft agreement had

of the transitional constitution of the Sudan as well as the agreements of Nifasha. In his talks, the Chief Mediator of the African Union praised the Sudanese government for accepting the draft of the peace agreement despite its reservations, especially the term related to referring the issue of whether Darfur is to be regarded as a united or separated into states, in respect that a referendum to be conducted after the transitional period.

The Chief Mediator of the African Union expressed his surprise when one part of movement of "Liberation" along with "Justice and Equality" movement refused to sign the agreement. Dr. Salim Ahmed Salim affirmed the difficulty of accepting the demand of the rebels as regards taking over the office of the vice-president, and which constituted the basis on which they established their refusal to sign the agreement. This is due to the fact that the Sudanese transitional constitution states that the office of presidency is restricted to one president and two vice-presidents. The Mediation suggested founding an office of President's First Assistant to be filled by a representative of the people of Darfur. Such an office should be of wide jurisdictions and authorities so as to avoid the failure of negotiations due to the refusal of the demand of the two movements. That suggestion was also aimed to increase the representation of the people of the region at the legislative and executive authorities at all levels in the Sudan.

A responsible official source at the Egyptian Ministry of Foreign Affairs stated that Egypt, in the light of its role in observing the developments of the situation at Darfur, is attentively following up the

The Sudanese government does not spare any effort in order to reach a settlement with the rebels in the region so as to prevent the intervention of the US imperialistic power represented in making Darfur case of an international concern as well as applying the terms of Article (7) of the United Nations Charter, revolving around imposing sanctions on Al Khartoum government. Yet, the efforts exerted by Egypt along with other Arab, African and other international parties resulted in reaching a compromise represented in that the African Union shall send African forces to keep peace at Darfur, observe ceasefire, and secure the camps of the displaced and arrange their return to their villages.

Meanwhile, representatives of Al Khartoum government met with the leaders of the rebels at the Nigerian capital, Abuja, to search for a peace settlement in order to keep security and stability at the disturbed region, realize the comprehensive development at the three states of Darfur, and organize the participation of the citizens of the region in authority on the principle of sharing authority and wealth. This is intended to be similar to the peace treaty held between the South and North of the Sudan.

On Tuesday, 2nd of May 2006, the African Union reached an agreement called "Peace Agreement", about which Dr. Salim Ahmed Salim, the Chief Mediator of the African Union, said, "It is the fruitage of the efforts and participation of the parties and experts of the international community." He described it by not being ideal but fair enough, and that it was intended to end the crisis soon through adopting compromises agreeing with the values of democracy and avoiding the violation

complex one, and turn concord into severe civil war in which sophisticated weapons are brought to the rebels. What helps the continuity of war is the topographical relief in the region, including the rough mountains and spacious valleys.

What makes the matter difficult before the Sudan's government is that Darfur region is located along the eastern borders of the Republic of Chad whose tribes are related to the region's tribes, especially Al-Zaghawa tribe distinguished by its manpower and trade resources. To Zaghawa tribe, the present President of Chad, Idriss Déby, belongs. Moreover, to that tribe the two rebellious movements belong, and they include former officers from the Chadian army, which caused Chad to play an important role in the problem and made its president undertake a crucial role in mediating between the government of the Sudan and the two rebellious movements in Darfur.

Along three years, the war resulted in the death of more than 300.000 peoples not to mention making more than two million peoples homeless. These consequences urged the African Union to undertake the burden of reaching a settlement, so as to protect the Sudan from the awaiting foreign interference. Mr. Ahmed Ibrahim Al-Taher, the President of the Sudanese National Assembly (i.e., the Parliament) welcomed the decree of the African Peace and Security Council issued by the African Union. That decree involved extending the tasks of the African forces at Darfur for six months. That action delayed the possible confrontation with the international community, under the increasing American pressures, calling for implanting international forces in the region.

war had and still has its negative results on the country's economic.

Fortunately, that war was stopped via signing an agreement giving the people of the South, after six year, the right of self-determination through a referendum in which they would choose whether to preserve unity between the two areas, under a federation, or separate between them. This is provided that the South should receive half the oil revenue and be assigned to 30% of positions at the new federation. This is in addition to reorganizing the country, so the South becomes a federal region ruled by a different system based on positive law and prevalent conventions in the South, while the North region is ruled according to the Islamic Shari`a. This should be the case on the condition that the Islamic Shari`a is to be enforced, at Khartoum, on only the Muslim citizens, while the non-Muslims are to be ruled according to the positive laws.

As a result of the long civil war, the Sudan's economy has been badly affected. Many areas have been deprived of basic services. Darfur, located at the west, is one of these areas, where the seeds of dissention and rebellion have appeared under the leadership of the two movements, "Liberation" and "Justice and Equality." Both of them oppose the legal government, and put conditions to guarantee that the region is going to be ruled by them. This can lead to foreign interference, especially the new American imperialism, which grows severer when discovering resources of oil and uranium in the region. This imperialistic power does not calm down except when planting its roots in others' countries. To that end, it works hard to widen the gap of differences and turn the solvable situation into a

Darfur Issue: Settlement Efforts and Foreign Conspiracies!!!

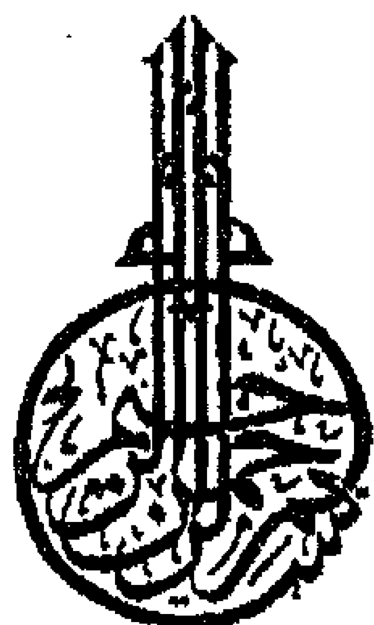
By: Dr. Ibrahim Al-Assil

Witnessing all the circumstances surrounding the Sudan these days, it can be felt that there is a kind of outside lurking against that Arab country that connects the north and south of the African continent. Across phases of history, the Sudan has been a bridge connecting the Arab Islamic culture with the African culture. The former would spread a light that illuminated the hearts of multitudes of people and prepared them to embrace Islam. In Africa, Islam reached people at the hands of the Arab traders moving to and across the African countries. Those people were attracted to Islam due to its unique principle of equality between the Muslim and the non-Muslim regardless of race, color or wealth.

The imperialistic powers have concentrated, since a long time, on how to cause a division between the south and north of the Sudan. That is why they have established barriers between the two areas, so that unity and intimacy may be replaced with violence and hatred. Further, they have paid much attention to Christianize the South completely and drive it away from Islam as well as its language, in a step towards separating it from the North part. Moreover, they planted the seeds of enmity between the citizens of the two areas, which eventually led to the outbreak of a civil war that continued for about twenty years and resulted in the death of two million peoples from the two sides. That

الأزهر

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumadal-akhera, 1427 A. H.



ENGLISH SECTION
June. 2006

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah, Who guided us to this; and in no way could we have been guided, unless Allah has guided us."

(Al A'raf 43)

EDITOR : Dr. IBRAHIM AL-ASSIL,
Professor at the Faculty of Languages and Translation
Al-Azhar University

الفهـــــرس



AL AZHAR MAGAZINE

Jumadal-Akhera , 1427 A.H.July, 2006.
Vol. 79, Part VI.

